ردمد : ISSN :1071-2335
ديسمبر 2018
المجلد السادس
العدد 24

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون – تيارت

فصل الخطاب

ملف العدد:

- حِجَاجيّة المنجز الكلامي في لامية الأمير عبد القادر الجزائري.
- الحِجَاج في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر في ضوء المنهج التداولي.
- الخطاب الحجاجي ودلالته في الفكر النقدي العربي المعاصر.
- القرائن اللغوية والعقلية في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم، دراسة نقدية.
- الأفعال اللغوية في اللغة القانونية، مرافعة جنائية أنموذجا .

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية
النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

فصل الخطاب العدد 24 ديسمبر 2018
Revue N 24 decembre 2018
Faslo El-Khitab

ردمد : ISSN :1071-2335
decembre 2018
Volume 06
Revue N 24

Laboratoire du discours argumentatif
Ses origines, ses références, ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Revue périodique à vocation scientifique ,traitant
des domaines de la critique littéraire, la Linguistique et la rhétorique
en langues arabe et étrangère

ردمد : ISSN :1071-2335

ديسمبر 2018
المجلد السادس
العدد 24

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون – تيارت

فصل الخطاب

فصل الخطاب العدد 24 ديسمبر 2018 Revue N 24 decembre Faslo El-Khitab

ملف العدد:

- حِجَاجيّة المنجز الكلامي في لامية الأمير عبد القادر الجزائري.
- الحِجَاج في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر في ضوء المنهج التداولي.
- الخطاب الحجاجي ودلالته في الفكر النقدي العربي المعاصر.
- القرائن اللغوية والعقلية في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم، دراسة نقدية.
- الأفعال اللغوية في اللغة القانونية، مرافعة جنائية أنموذجا .

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية
النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

المجلد السادس
العدد الرابع والعشرون

ديسمبر 2018

ردمد ISSN 2335-1071
E-ISSN 2602-5922

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون - تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدث المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.

2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.

3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .

4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط **(Traditional Arabic)** قياس 14 في المتن و11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط **Times New Roman** قياس 12 في المتن و10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسيمات والأشكال فتكون صورا **IMAGE** .

5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .

6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترِد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصفيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

الرئيس الشرفي للمجلة

أ.د. بلفضل شيخ

مدير جامعة ابن خلدون . تيارت

مدير المجلة

أ. د. داود امحمد

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

المدير المسؤول عن النشر: أ.د. زروقي عبد القادر

رئيس التحرير : أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور: زروقي عبد القادر، جامعة ابن خلدون تيارت

الأستاذ الدكتور: داود امحمد، جامعة ابن خلدون تيارت

الدكتور: عزوز ميلود، جامعة ابن خلدون تيارت

الدكتور: سبع بلمرسلي، جامعة ابن خلدون تيارت

الدكتور: مكيكة محمد جواد، جامعة ابن خلدون تيارت

اللجنة العلمية:

أ.د. بوزيان أحمد	أ.د. داود امحمد
أ.د. زروقي عبد القادر	أ.د. بوعرعارة محمد
د. غربي بكاي	د. كراش بن خولة
د. قوتال فضيلة	د. مكيكة محمد جواد
د. دبيح محمد	د. بن الدين بن خولة
د. معازيز بوبكر	د. بوعمامة نجادي

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. طيب بن جامعة . ج. تيارت . الجزائر	أ.د. بشير بويجرة محمد . ج. وهران . الجزائر
أ.د. بوهادي عابد . ج. تيارت . الجزائر	أ.د. عبد السلام محمد الشاذلي . بنها . مصر
أ.د. عباس محمد . ج. تلمسان . الجزائر	أ.د. مرتاض عبد الجليل . ج. تلمسان . الجزائر
أ.د. حسن البنداري . عين شمس . مصر	أ.د. سطمبول الناصر. ج. وهران . الجزائر
أ.د. إبراهيم عبد النور . ج. بشار. الجزائر	أ.د. دراوش مصطفى . ج. تيزي وزو. الجزائر
أ.د. بوحسن أحمد . المغرب	أ.د. بوعرعارة محمد . م. ج. تسمسيلت . الجزائر
أ.د. فيدوح عبد القادر. ج. قطر	أ.د. حسن نعمي . المملكة العربية السعودية

أ.د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي . ج. الفلوجة . العراق

الفهـــــــــــرس

- كلمة رئيس التحرير.....05
- حجاجية المنجز الكلامي في لامية الأمير عبد القادر الجزائري(عفاف بورزق).....07
- الحجاج في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر في ضوء المنهج التداولي
قراءة في قصيدة: "مهد البطولة" للشاعر الجزائري "جيلالي حلام"(بن يمينة فاطمة)....19
- الخطاب الحجاجي ودلالته في الفكر النقدي العربي المعاصر(عبد القادر قعموسي).....33
- القرائن اللغوية والعقلية في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم
(دراسة نقدية)(فاطمة بوغاري).....49
- الأفعال اللغوية في اللغة القانونية، مرافعة جنائية أنموذجا(هالة فغرور).....71
- الشعرية قراءة في المصطلح والمفهوم(لعرشي سهام).....85
- بين الفني والواقعي في رواية "الصدمة" للروائي ياسمينة خضرا(رفيقة سماحي).....109
- ابن المرأة الأندلسي وجهوده في التصوف وعلم الكلام(زوهري وليد).....119

المادة غير العربية

- Introducing Audiovisual Aids in EFL Listening Setting: The Case Study of 3rd Year Secondary School Students (Foreign Languages Stream)Sidi Brahim Secondary School. Sidi Bel Abbès. Algeria. (Belhadj Fatiha).....135

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم:

هاهي ذي مجلتنا (فصل الخطاب) تختتم عامها السادس في عددها الرابع والعشرين، مواصلة إشعاعها المعرفي المبني على أسس علمية ذات كفاءة أكاديمية، محافظة على نهجها، متوشحة في هذا الإصدار ـ فضلا وإضافة عن الإصدارات السابقة التقليديةـ بحلة إلكترونية من حيث استقبال المقالات وتحكيمها؛ فهي تصدر اليوم عن طريق البوابة الوطنية للمجلات الجزائرية خاضعة لشروطها بعد أن مرت بجميع المراحل من استقبال للمقالات وقبولها وإسنادها للمراجعين والأخذ بملاحظاتهم العلمية.

وهاهي ذي مقالات العدد التي رشحت للنشر بعدما وافقت ولفقت تطلعات فريق التحرير حيث تم إعطاء الأولوية للباحثين الناشئين إيذانا بأنَّ الإقصاء لا حظ له في مجلتنا، وقد بدت الأبحاث متنوعة الإشكالات، ثرية المضامين، متناولة الحجاج في عمومها، مركزة على الخطاب الجزائري، شعرا وسردا، وذلك في مجموعة من المقالات كان مبتدأها بحث "في حجاجية المنجز الكلامي في لامية الأمير عبد القادر الجزائري" الذي رُصدت فيه الأفعال الكلامية من خلال خطاب الأمير عبد القادر الجزائري الشعري، وما تؤديه هذه الأفعال من وظيفة حجاجية؟، أما مقال "الحجاج في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر في ضوء المنهج التداولي، قراءة في قصيدة: "مهد البطولة" للشاعر الجزائري "جيلالي حلام" فقد كشف القناع عن ثراء الخطاب الشعري الجزائري في بعده التعبيري الغني بالمقاصد الخفية للمتكلم، التي يروم من ورائها التأثير في متلقيه والعمل على إقناعه بتغيير وجهة نظره أو تعديل سلوكه، وإن كان تركيزنا واهتمامنا على المقاربة الحجاجية فذلك لم يمنعنا من المقاربات الجمالية كما هي الحال في المقال الذي جال "بين الفني والواقعي في رواية "الصدمة" للروائي ياسمينة خضرا"، ليسلط الضوء على قضية بناء الشخصية ومدى أهميتها في روايات ياسمينة خضرا الذي جعل شخصياته المبدعة تنبض بالحياة مصورة بشكل فني دقيق، لا يحس القارئ بأنها شخصيات فنية ليس لها وجود حقيقي.

لنعود إلى ما عودنا قراءنا عليه في كل الأعداد السابقة وهو التركيز على الدرس الحجاجي في مختلف الخطابات فضلا عن الجانب التنظيري وقد كان الحضور في هذا العدد للخطابين القرآني والقانوني، وقد تبدى كل ذلك في بحث "الخطاب الحجاجي ودلالته في الفكر النقدي العربي المعاصر" الذي قارب الشق النظري للحجاج، وأما ما اختص بالتطبيق فقد تجلى في مقال "القرائن اللغوية والعقلية في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم،

دراسة نقدية" لتخلص الباحثة إلى العور الذي شاب بعض القراءات الحداثية للقرآن الكريم نتيجة افتقارها إلى المنهج في التعامل مع اللغة بما يتناسب مع طبيعة النّص القرآني، وأما مقال "الأفعال اللغوية في اللغة القانونية، مرافعة جنائية أنموذجا" فكشف عما في لغة القانون من تعدد للخطابات، التي تختلف من مقام لآخر، لكن الجامع فيها أن الفعل القانوني فيها يتمتع بقوته الإنجازية التي يتميز بها عن باقي أفعال الكلام في سائر الخطابات.

هذا، ومما زاد ثراء مواضيع العدد تضمنه مقالات أخر كالشعرية قراءة في المصطلح والمفهوم، ومقال "ابن المرأة الأندلسي وجهوده في التصوف وعلم الكلام" والمقال الأجنبي الذي تعلق باستعمال الوسائل السمعية البصرية في إعداد الاستماع للغة الإنجليزية كلغة أجنبية، وقد كانت دراسة ميدانية لحالة تعلقت بطلاب المرحلة الثانوية الثالثة شعبة اللغات الأجنبية.

لنُثبِت بذلك أن مجلة (فصل الخطاب) تعنى بنشر كل البحوث الجادة والمتميزة، وتنتقي ما يخضع للشروط العلمية ولا تحابي أحدا، وترفض بل تعادي كل ما يَتَجَانَف والبحث العلمي، لذا فالأبحاث تخضع للتحكيم الموضوعي بفضل إغفال أسماء الباحثين ورتبهم، مما يضفي على كل عدد من أعداد المجلة تنوعاً في الرؤى بفضل تنوع الباحثين من جامعات مختلفة ورتب علمية متعددة خاصة الطلبة الباحثين الذين نشجع فيهم روح الاجتهاد، لذا فالمجلة ترحب ببحوثهم ومقالاتهم، من داخل الوطن وخارجه إيمانا منها بأنه لا وطن للمعرفة ولا حدود لها، وتعدهم بنشر ما يستحق النشر منها دون إقصاء.

والله من وراء القصد **والموفِّق إلى ما فيه صلاح السبيل**

رئيس المجلة

الأستاذ الدكتور: داود امحمد

حجاجية المنجز الكلامي

في لامية الأمير عبد القادر الجزائري

الطالبة الباحثة: عفاف بورزق — إشراف الدكتور: غانم حنجار

مخبر الخطاب الحجاجي — مخبر الخطاب الحجاجي

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر — جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

الملخص: صار الحجاج في الدراسات اللغوية والبلاغية الحديثة أوسع مجالا، بل تحول مع تيار التداولية المدمجة في الدراسات اللسانية، إلى فعلا كلاميا، كامنا في اللغة تجب دراسته في نطاق دراسة اللغة في حد ذاتها، لا بالبحث عما هو واقع خارجها، أي أنه يتخذ من بنية اللغة موضوع اشتغاله، بدل الانكباب على هذه المعطيات المختلطة، التي لا تمت بصلة إلى الظاهرة اللغوية في حدودها الفعلية، وهذا ما يدعو إلى اعتبار اللغة مسرحا لنشاط المتحاورين، لدلالتها على الأقوال والتوجيهات الحجاجية، الناتجة عن متوالية من أفعال التكلم التي تحكمها قواعد تدفع بها لتحقيق أكبر قدر ممكن من التحاج بين الذوات المتواصلة، وذلك من خلال الأفعال التي تنجزها بعض التلفظات التي تتيحها استعمالات اللغة، فاللغة تمثل انجاز وممارسة وفعلا، حيث الأمر والنهي والاخبار والاستفهام ووغيرها تمثل انجازات لغوية والملفوظ يجسد هذه الانجازات. انطلاقا من هذا الدور الفعال الذي تؤديه أفعال الكلام عمل البحث على رصد الأفعال الكلامية في الخطاب الشعري للأمير عبد القادر الجزائري، بين المتكلم (الشاعر) والمتلقي، وما تؤديه هذه الأفعال من وظيفة حجاجية؟ وهو ما ستحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عنه.

الكلمات المفتاحية: المنجز الكلامي؛ الأمير عبد القادر الجزائري؛ الحجاج؛ التداولية المدمجة؛ التوجيهات الحجاجية؛ أفعال الكلام؛ الخطاب الشعري الجزائري؛ الوظيفة الحجاجية؛ لامية الأمير عبد القادر.

تاريخ إيداع البحث: 24 سبتمبر 2018.

تاريخ قبول البحث: 10 ديسمبر 2018.

Argumentation of Speech
In Lamiat El Amir Abdul Qadir al - Jazairi.

Abstract:
In recent linguistic and rhetorical studies, argumentation has become more overt. Instead, it changed with the deliberative stream integrated in linguistic studies into a verbal, latent language that must be studied within the scope of language study per se rather than looking at what is outside. This is why the language is considered an arena for the activity of the interlocutors, because it is indicative of the words and guidance of the argument, resulting from a succession of acts of speech governed by rules that push them to achieve greater as much as possible production between continuous selves, This is done through acts performed by some of the flaps made by the uses of the language. Language is an achievement, practice and action. Since the command, the prohibition, the telling, the questioning and the like represent linguistic achievements and the spoken embodies these achievements. Based on this active role played by the acts of speech, we worked in this research on the monitoring of acts in the poetry discourse of Al Amir Abdul Qader Jazairi, between the speaker (the poet) and the recipient, and what these acts do as argumentative functions? This is what this paper will attempt to answer.
Key words: Accomplished speech, el Amir abdelkder el jazairi, argumentation, integrated deliberation, argumentative directives, speech acts, Algerian poetic speech, argumentative function

نظرية الحجاج التداولي، تعد امتداد وتطويرا لنظرية أفعال الكلام، حيث ذهب غروتندورست وفان ايمرن (GROTendorst van Eemeren) إلى أن الحجاج "فعل إنجازي مركب يمتد عبر سلسلة الملفوظات"[1] أما ديكرو (DUCROT) وأنسكومبر(Ancombre) انطلقا من قاعدة عامة مفادها أن الكثير من الأفعال الكلامية لها وظيفتها الحجاجية، حيث أعطيا كبير اهتمامهما للحديث عن قيمة الجملة معتبرين أن هذه القيمة تتحدد انطلاقا من علاقاتها بالوحدات الأخرى التي تشترك معها في الانتماء إلى النسق، ذلك أن الوظيفة الحجاجية تحمل علامات داخل هذا النسق، أي داخل الجملة نفسها، لأن دلالة الجملة تتحدد انطلاقا من مجموع "التأليفات الحجاجية " التي تنتجها هذه الجملة.

وقد تم تطوير هذه النظرية من قبل أوستن (AUSTIN) وسورل(Searle)، حيث ذهبا إلى أن التلفظ هو الأساس الذي تبنى عليه نظرية أفعال الكلام فهو "ممارسة يباشرها المتكلم ابتغاء إنجاز فعل محدد من خلال الكلام، فكلامه هو ما يوحي به التلفظ"[2].

وقبل سبر أغوار الأداء الشعري، ومحاولة القبض على مراميه الحجاجية، ينبغي أن نعرج بالبحث أولا عن مفهوم الأفعال الكلامية الذي قصدناه في العنوان بالمنجز الكلامي، والمقصود من الفعل الكلامي " كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وعلاوة على ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعيد... الخ) وغاياته تأثرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل

يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، ومن ثم إنجاز شيء ما"[3] فغاية الفعل الكلامي هو تحقيق التأثير والإنجاز، والحجاج باعتباره فعلا تداوليا، لا يمكن توضيحه إلا من خلال مراتب المتخاطبين وأدوارهم في أفعال الكلام، وقد ميز أوستن بين أفعال ثلاثة ترتبط بالقول، وتمكن من إنجاز شيء ما عن طريق عملية التلفظ أو التكلم، وهي "فعل القول والفعل الإنجازي والفعل التأثيري" وفعل القول يقع دائما مع كل قول يعطي معنى معينا حيث تطلق الألفاظ على صورة جملة مفيدة، لتنتقل الجملة المحورية وتصير ملفوظات محقّقة، حين يتم لفظها أي حين يتم استعمالها في سياقات محددة.

وقد ترجم طه عبد الرحمان الفعل الكلامي بمقابل (L'acte locutoire) والفعل التكلمي بمقابل (L'acte illocutoire) والفعل التكليمي بمقابل (L'acte perlocutoire) ، حيث أن الفعل الكلامي هو فعل التلفظ بصيغة ذات صوت محدد وتركيب مخصوص ودلالة معينة أما الفعل التكلّمي هو الفعل التواصلي الذي تؤديه هذه الصيغة التعبيرية، في سياق محدد كالوعد في قول القائل "سأعود إلى القدس" في حين الفعل التكليمي هو أثر الفعل التكلمي في المستمع[4]

والملفوظ يدلي بتوجهات حجاجية من خلال عمله على توجيه المتلقي، وجهة دون أخرى ومن بين الأفعال الكلامية التي تبرز فيها القيمة الحجاجية، الأفعال التوجيهية وهي أفعال تواصلية تحمل المتلقي على إنجاز فعل معين، والأفعال العرضية وهي أفعال تواصلية أيضا تستعمل لعرض المفهوم وتوضيحه قصد النقاش والحجاج [5]

وبهذا التقديم يمكن أن نرخص لأنفسنا معالجة نص شعري، وفق المستويات التي وضعها أوستن لأفعال الكلام، وقد وقع اختياري على خطاب من الخطابات الشعرية الجزائرية الأكثر تميزا، والتي مازالت أرضها خصبة تحتاج إلى البحث والتقصي، والمتمثلة في قصيدة الأمير عبد القادر الجزائري المعنونة بـ "أستاذي الصوفي" بحيث نستهله على مستوى فعل القول أو التلفظ في تقصي البعد الدلالي للقصيدة، وتحديد مختلف العلاقات الحجاجية، التي شكلتها آليات الحجاج اللغوي التي تعد من أهم الوسائل اللغوية في العملية الحجاجية، أما على مستوى الفعل الإنجازي، نحاول رصد أغراض لمنجز الكلامي من استفهام ونهي وتمن وأمر ونداء، وما يمكن أن تحققه باعتبارها أفعالا لغوية يستهدفها مرسل الخطاب قصد تحقيق مقاصده الحجاجية والإقناعية، عند المتلقي، وأهم الوسائل التي بفضلها يتحقق نجاح الخطاب أي قدرة النص على الفعل والإنجاز، بالتأثير في المتلقي وإقناعه.

1. البعد الدلالي لمتن القصيدة: "أستاذي الصوفي أو لامية الأمير عبد القادر الجزائري" من أجمل مدائحه وأطولها وأهم قصائده وأشهرها، وهي من البحر الطويل، ذات قافية مطلقة،

رويها حرف الراء، ومجراها الضمة، بلغت أبياتها مائة وأحد عشرا بيتا، وباعتبارها القصيدة المنتقاة للتحليل، نستدل بترقيم أبياتها للتوضيح.

يستهل الأمير رائيته بأداة نداء للقريب (أمسعود) تحدد طبيعة العلاقة بينه وبين مخاطبه وهذا يمثل شكلا من أشكال التواصل، ويدل النداء من خلال نبرته الخطابية، عل معنى التبجيل والتكريم والتنويه بفضل شيخه، فالفرج القريب والأمل المفقود لاحا بلقاء هذا الصوفي الزاهد، بعدها، يستطرد بالجانب التقريري في وصف حالته النفسية البائسة، قبل الفوز بلقاء هذا الصوفي الزاهد، تتضح هذه الدلالة في البيت الثاني والثالث والرابع والخامس فهو لم ير للاطمئنان نورا ولا للراحة سببا، ولم يذق من حلاوة الدنيا غير الجفاء، بل إنه كان في عداد الموتى، فأحياه شيخه وبعث فيه الحياة، وتتضح هذه الدلالة أكثر في البيت السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر أما الأبيات اللاحقة للقصيدة، ترتبط بالأبيات السابقة لها ارتباط السبب بالنتيجة، حيث يظهر الأمير فيها معللا ومبررا الأسباب التي دفعته إلى اتخاذ هذا الشيخ، الملاذ الأمين الذي يحتمي به من صروف الدهر بتعداد خصاله وشمائله الإنسانية التي بلغت درجة الكمال.

2. آليات الحجاج اللغوي :

1. 1. ألفاظ التعليل :

التعليل من الناحية اللغوية، هو التبرير، وتبيان السبب، أما في اصطلاح النحوين هو "الوصف الذي يكون مظّنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم أو بعبارة أوضح هو الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجها معينا من التعبير والصياغة"[6]

وللتعليل ألفاظ تعد من أهم الوسائل اللغوية المستخدمة في العملية الحجاجية والتي منها "المفعول لأجله وكلمة السبب، لأن، إذ، لا يستعمل المخاطب أي أداة من هذه الأدوات إلا تبريرا لفعله أو تعليلا له، بناء على سؤال ملفوظ به أو مفترض "[7] ومن شواهده في لامية الأمير عبد القادر الجزائري :

إنّ :

وقال فإني منذ أعداد حجة لمنتظر لقياك يأيها البدر

الأمير هنا في موضع إقناع المخاطب بأن سبل صبره، قد طالت واستمرت لعدد كبير من السنين، مستخدما الرابط "فإني" ليتبادر إلى ذهن المتلقي سؤال مفترض، ولم الانتظار؟ ليرد بجواب مؤكد "لمنتظر لقياك أيها البدر" وهذه الجملة أخذت موقع العلة للجملة الأولى أما الرابط "فإن" مستعمل لتبرير الانتظار، فالأمان والراحة والاطمئنان تجسدا في ظل هذا الشيخ الذي طال انتظاره فهو البدر المنير الذي أضاء حياة الأمير بعد طول انتظار.

قد :

ويواصل الأمير سرد حججه، لإقناع المخاطب بمناقب شيخه مستخدما الرابط قد :

أبو حسن لو قد رآه، أحبّه وقال له : أنت الخليفة، يا بحر

والأمير يحقق بأستاذه درجة الكمال بهذه الصفات الكريمة، مستعينا برابط التعليل "قد" الذي يتضمن جواب "لو قد رأى الإمام عليا كرم الله وجهه هذا الشيخ لأحبه وجعله خليفة لعلمه الواسع".

1. 2. ألفاظ الوصف :

تزيد ألفاظ الوصف، في شحن الطاقة الحجاجية للخطاب، على تعدد أنواعها، ذلك أنها تقرب حالة وشكل الموصوف بكلمات يكون لها وقع على نفسية المتلقي، فتؤثر فيه، وقد أسهب الأمير عبد القادر في توظيفها، ليبين أنه شيخه يتميز بمنزلة لا ينازعه فيها أحد من عامة الناس ولا من خاصتهم.

1. 3. الصفة : تعد من فنون الاتصال اللغوي، وتستخدم وسيلة للتعبير عن المواقف والمشاعر والانفعالات بطرق عديدة، كالتأكيد والتكرار اللذين يزيدان في التأثير، لإقناع المخاطب؛ يقول ابن يعش " وقد تجئ الصفة للتأكيد نحو قولهم أمس الدابر، وأمس لا يكون إلا دابرا... ومعنى التأكيد هنا أن مدلول الصفة أستفيد مما في الموصوف، فصار ذكره في الصفة كالتكرار " (8)

ومن خلال تعداد الأمير لخصال شيخه، وشمائله الإنسانية نجده يقدم صفات ليستدل بها، على أن هذا الشيخ الصالح يستحق هذه المنزلة الرفيعة فهذه المناقب التي خص الله بها هذا الصوفي الزاهد تغنيك عن الاستشهاد بغيرها :

محمد الفاسي، له من محمد صفي الإله، الحال، والشيم الغر

بفرض، وتعصيب، غدا أرثه له هو البدر، بين الأولياء، وهم الزهر

شمائله تغنيك، إن رمت شاهدا هي الروض. لكن شقّ اكمامه القطر

والأمير بهذا الوصف يسعى إلى إقناع المتلقي بالمناقب، التي اختص بها هذا الصوفي، فلا عجب أن يكون هذا الشيخ شمسا وغيره الكواكب، ومن يسوي الشمس بالأنجم الزهر، بل إن هذه المناقب قد بلغت الكمال والتمام وهي أشبه بروضة تساقطت عليها قطرات ماء، فتفتحت أزهارها وتضوغ عبيرها عن رائحة المسك والكافور والعطر (9).

1. 4. صيغ المبالغة :

تنتقل اللغة من بلاغة الابلاغ إلى بلاغة الإبداع، والفراغ واختراق المألوف، فتتحول إلى نوع من علاقات، ترتقي بدوالها، إلى فضاء تأويلي لا نهاية لدلالته، ومن الوسائل اللغوية

المساعدة على ذلك صيغة المبالغة، وصيغ المبالغة هي "أسماء تشتق من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل، مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه، ومن ثم سميت صيغ المبالغة وهي لا تشتق إلا من الفعل الثلاثي"[10] أما الصيغ الصرفية التي تفيد المبالغة في الوصف خمسة أوزان وهي صيغة (فعال، فعول، فعيل، مفعال، فعل)، أما دورها الحجاجي فيكمن، في أنها تتضمن صيغا تمكن المرسل من التأثير على المخاطب بذكر المتكلم "وصفا فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده"[11] ومن أمثلة ذلك قول الأمير:

صفوح، يغض الطرف، عن كل زلة — لهيبته، ذلّ الغضنفر، والنمر
هشوش، بشوش يلقى بالرحب، قاصدا — وعن مثل حبّ المزن تلقاه يفتر
ذليل أهل الفقر، لا عن مهانة — عزيز، ولاتيه، لديه، ولا كبر
حريص على هدي الخلائق، جاهد — رحيم بهم، بر، خبير، له القدر

وقد استند الأمير في بناء خطابه هذا على استراتيجية قدم من خلالها مجموعة من الحجج المتوالية لكي يقنع المخاطب بمناقب شيخه الصوفي، فبجانب كونه عفوا شجاعا رحيما، فهو كريم بشوش الوجه، بادي البسمة ومن صفاته ايضا التواضع، فهو ذليل عزيز شريف، ولكن ليس جبارا متكبرا ولا مختالا فخورا.

2. أغراض المنجز الكلامي:

الاستفهام :

الاستفهام آلية حجاجية ترتبط بوقع استعمال اللغة، غنية بالقيم التداولية، يصبح المخاطب من خلالها شريكا في صناعة الخطاب، عن طريق بحثه عن الإجابات المحتملة، والتي تكون حجة محتملة في الغالب، أراد من خلالها صانع الخطاب من المخاطب أن يصل إليها، فالاستفهام ما هو إلا "استعلام ما في ضمير المخاطب"[12] "وطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن، إما أن يكون بشيء على شيء أو لا يكون"[13] وهذا يعني أن الاستفهام يرتبط تحقيقه بفعل داخلي نتيجة تعلقه بما في ذهن المخاطبين خلافا للأمر الذي يرتبط تحقيقه بفعل خارجي، ويهدف الاستفهام في رائية الأمير عبد القادر إلى تحقيق مرامي حجاجية، في الخطاب كفعل لغوي منجز من طرفه لإحداث غاياته التأثرية في المتلقي وقد استفهم الأمير بعدة أدوات منها (هل) في البيت السادس :

أمولاي طال الهجر، وانقطع الصبر — أمولاي هذا الليل، هل بعده فجر؟

ولا يقصد الأمير من هذا الاستفهام طلب معرفة عن جواب يجهله، إنما القصد منه الاستبطاء فمن البديهي أن يأتي الفجر بعد ليل طويل، غير أن هذا الفجر تثاقل وتوانى ولم يسرع في مجيئه للأمير عبد القادر.

2. 2. النهي :

من الأساليب التي يظهر بعدها الحجاجي في النص أسلوب النهي، والمرتبطة أساسا بالمخاطب وهو "طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء فهو يقابل الأمر ويحذو حذوه"(14) في أن أصل استعمال (لا تفعل) يكون على سبيل الاستعلاء، واشتراط الاستعلاء يعني توجيه الخطاب، إلى من هو أدنى مرتبة من المتكلم، فالنهي هو المنع من الفعل بقول مخصوص مع علو الرتبة، ولم يتعدد النهي في لامية الأمير عبد القادر إلا ما جاء في هذا البيت على سبيل النصح والإرشاد ليتضمن الخروج من معنى الإنشاء إلى معنى الخبر.

ولا تسألن عن ذي المشايخ، غير من　　　له خبرة، فاقت. وما هو مغتر.

3. 2. التمني :

من الأساليب الحاضرة بقوة في القصيدة، "حصول شيء مرغوب بشرط المحبة واللفظ الموضوع له "ليت" وقد يتمنى ب (لو)"(15) ومن شواهده في القصيدة :

أبو الحسن، لو قد رآه، أحبه　　　وقال له : أنت الخليفة، يا بحر

استعمل الأمير صيغة الأمنية القابلة للتحقيق على الرغم من أن هذا التمني بعيد عن التحقيق ذلك أن الإمام عليا يستحيل على شيخه أن يراه، ويستحيل أن يجعله خليفة له، أما دلالته الحجاجية تتمثل في إقناع المتلقي، بسمو أخلاق شيخه ورفعتها التي بلغت درجة الكمال.

4. 2. الأمر :

لا يختلف الأمر عن النهي، في ارتباطه بواقع استعمال اللغة، فكتب اللغة لم تفصل بينهما وتناولتهما في حديث واحد، (الأمر، النهي) نحو قول المبرد "اعلم أن الطلب من النهي بمنزلته من الأمر يجري على لفظه كما يجري على لفظ الأمر"(16) والأمر هو "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"(17) وينبغي أن يكون المتكلم في وضع يخول له الأمر، وأن يتصف بما يجعله آمرا لمخاطبه ويوجه إليه الأمر.

وتتضح حجاجية أسلوب الأمر في لامية الأمير عبد القادر الجزائري، بخروجه من معناه الحقيقي، إلى معاني أخرى ومن بينها الدعاء، ويقع حين لا يكون الآمر في منزلة تسمح له بطلب تنقيذ الأمر، كون الأمر يكون في الأصل من الأعلى لمن هو أقل منه رتبة وهذا مالا يمكن أن يصدر من الأمير لشيخه الذي جعل موضعه أدنى معه وإن توجه اليه آمرا، فإن في عبارة أمره كثيرا مما يخرج إلى الدعاء والرجاء ومن شواهده :

أغث، يامغيث المستغثين والها　　　ألم به من بعد أحبابه، الضرّ

2. 5. النداء :

النداء من الأساليب الحجاجية التي تتعدد في لامية الأمير عبد القادر، بنوعيها القريب والبعيد، "وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة، ينوب كل حرف منها مناب الفعل "أدعو""[18] ومن أمثلة القريب "الهمزة" واستعملها الأمير ست مرات، لمنادين هما (أمسعود. أمولاي) حيث نودي مسعود مرتين والأربعة الأخرى نودي بها مولاي ومن أمثلة البعيد "الياء"، وتظهر حجاجية النداء في القصيدة بخروجه عن معناه الحقيقي (طلب التفات المخاطب واقباله) إلى معاني أخرى أهمها الخبر ومن شواهده :

أمسعود جاء السعد، والخير، واليسر ... وولت جيوش النحس، ليس لها ذكر

كما أن النداء يخرج في لامية الأمير من معناه الحقيقي إلى معاني أخرى يحملها السياق من بينها المدح والمناجاة، ومن أمثلة المدح :

وقال : فإني منذ أعداد حجة ... لمنتظر لقياك. يا أيها البدر

ومن أمثلة المنجاة :

أمولاي طال الهجر. والصد وانقطع الصبر ... أمولاي هذا الليل، هل بعده فجر
أمولاي إني عبد نعمائك، التي ... بها صار لي كنز. وفارقني الفقر
أمولاي إني عبد بابك، واقف ... لفيضك محتاج. لجودك مضطر

ويظهر البعد الحجاجي للنداء في هذه الأبيات، بخروجه عما حدد له، ذلك أن النداء بالهمزة يكون للقريب، والأمير يخالف هذا الاستعمال وينادي شيخه من مكان بعيد، ولهذا الاستعمال دلالته الحجاجية المتمثلة في تنزل هذا الزاهد الصوفي البعيد منزلة القريب في قلب الأمير.

3. حجاجية التراكيب في لامية الأمير عبد القادر الجزائري :

تؤدي التراكيب اللغوية وظيفتها الحجاجية، بلجوء المتكلم، إلى التغير بين التركيب اللغوية، ليتأتى سامعه من مداخل عدة، ويجعله أدعى على الإقناع ذلك أن الجملة العربية تخضع لترتيب، ينظم تتابع أجزائها في الهيكل للبناء اللغوي ومن ثم تستكمل عناصر أخرى يتم بها التعبير وتنقل الآراء والانفعالات، فهناك التركيب الإسمي للجملة، وفيه يتقدم المبتدأ ثم يليه الخبر، والتركيب الفعلي للجملة، يبدأ بالفعل ثم الفاعل وبعده المفعول به، ثم تتوالى الأجزاء الأخرى، التي تكون مشتركة في الجملة الاسمية والفعلية، كالحال والتميز وغيرها والمبدع يتنقل من شكل تعبيري إلى آخر يختلف عنه تماما وربما يكون عكسا له، ومن ذلك التقديم والتأخير والانتقال من التعبير بالفعل إلى التعبير بالاسم والعكس، والانتقال من الخبر إلى الإنشاء والالتفات... وغيرها من الاشكال التعبيرية التي تعد محاجة للسامع للتأثير فيه ولتغير مواقفه المخالفة للموضوع، والتأثير والإقناع، لا يكون بما وقع للجملة من مخالفة لنظام النحو

فحسب، بل ما توقعه أيضا بجماليتها وما تضفيه من قوة أو تغير للدلالة، فالتراكيب "إذا رأيتها راقتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازا في نفسك، فعد فانظر في السبب واستقص في النظر، فإنك تعلم أن ليس إلا أنه قدم وأخر وعرف ونكر وحذف وأضمر، وأعاد وكرر"[19] وفيما يلي عرض لأهم هذه الخصائص مع شواهدها في لامية الأمير عبد القادر الجزائري.

3. 1. التقديم والتأخير:

التقديم لغة" من قدم الشيء أي وضعه أمام غيره والتأخير نقيض ذلك"[20] وقد استعمل الأمير هذه الخاصية في قصيدته خارقا بذلك النظام النمطي الذي تتأسس عليه الجملة بنوعيها الاسمية والفعلية.

التقديم في الجملة الاسمية :

يعتبر النحاة أن الجملة الاسمية هي ما تصدرها اسم، يقول ابن هشام " فالاسمية هي التي صدرها اسم كزيد قائم"[21] أما الخبر يقع دائما في الرتبة الثانية بعد المبتدأ، غير أن هذه القاعدة يمكن خرقها حيث يلجأ المتكلم إلى التغيير بين هذه التراكيب نحو قول الأمير:

إلى أن دعتني همة الشيخ من مدى   بعيد ألا فادن. فعندي لك الذخر

ورد تقديم الخبر جار ومجرور في قوله (لك الذخر) وحقه التأخير، لكن هذا التقديم مناسب لمعاني الشاعر وترتيبها في نفسه، وفي هذا محاجة للسامع إذ يجعله لا يشك فيما ذهب الشاعر إليه، ولا فيما عرضه لأن المعاني "ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك وتعمل رؤيتك وتراجع عقلك وتستنجد في الجملة فهمك"[22].

التقديم في الجملة الفعلية :

يعرف النحويين الجملة الفعلية بأنها "الجملة المصدرة بفعل"[23] فالأصل في العامل أن يقدم على المعمول لكن هذه القاعدة قد تكسر ويقدم المفعول فيكون هذ الأمر أفيد من الناحية الحجاجية للمخاطب وأجلب لاقتناعه نحو قول الشاعر:

عياذي ملاذي عمدتي، ثم عمدتي   وكهفي، أذا أبدى نواجذه، الدهر

قدم الشاعر ماحقه التأخير المفعول (نواجذه) وهي الأضراس، ليوجه عناية سامعه إليه ويطلب اهتمامه وهنا تظهر القيمة الحجاجية للتقديم، حيث اتخذ الأمير من هذا الشيخ الملاذ الأمين الذي يحتمي به من صروف الدهر وتقلبات الزمن، والتقديم في هذه الحالة يثير في المتلقي توجها نحو حصر الحكم وقصره على المقدم.

الحذف في التراكيب لأبعاد حجاجية :

يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام أو حذف ما يمكن السامع أو القارئ فهمه اعتمادا على القرائن المصحوبة، عقلية كانت أم لفظية، وقد وصف اللغويون

والنحويون هذه الظاهرة وأطلقوا عليها الحذف أحيانا والاضمار أحيانا أخرى يقول الجرجاني "وكما يضمرون المبتدأ فيرفعون قد يضمرون الفعل فينصبون"[24] ويظهر البعد الحجاجي للحذف، في إحالة السامع، إلى خطاب آخر غير خطابه المنطوق، وليس أبلغ من هذا لإقناعه والتأثير فيه. ويظهر الحذف في لامية الأمير عبد القادر بعدة أشكال منها :

حذف المبتدأ لدلالة الخبر عليه : نحو قوله

محمد الفاسي، له من محمد صفّي الإله، الحال، والشيم الغرّ
هشوش، بشوش يلقى بالرحب، قاصدا وعن مثل حبّ المزن تلقاه يفتر
ذليل أهل الفقر، لا عن مهانة عزيز، ولاتيه، لديه، ولا كبر
حريص على هدي الخلائق. جاهد رحيم بهم. بر. خبير. له القدر

في هذه التراكيب يعدد الشاعر مناقب شيخه فهو (صفوح، هشوش. بشوش. ذليل. حريص) ووردت كلها أخبارا لمبتدأ محذوف، تقديره (هو) وهذه التراكيب وسياق أدائها كفيلة بأن تحدد هذا المحذوف والغاية من حذفه، حتى وإن حذف فهو معلوم حيث يحيلنا تقدير المبتدأ بالضمير (هو)، على صورة مرسومة في أذهانا لشيخه وما ينقصنا إلا بعض الإخبار عنه، وهذا من الناحية الحجاجية أبعث على الإقناع وأدعى إلى التأثير.

في الأخير يمكن أن نخلص، إلى أن عملية الإنجاز الكلامي، تجلت في الخطاب الشعري للأمير عبد القادر بمراحلها الثلاث، من التلفظ إلى الفعل اللغوي الإنجازي، إلى الفعل التأثيري، وأخذت بعدا حجاجيا لا يمكن اغفاله أو المماراة فيه، حيث استطاع الأمير أن يوظف وسائل اللغة وأدواتها خير توظيف من أجل العملية الإقناعية، ليتجلى فعل القول هنا في الهيئة التركيبة النحوية المستندة إلى مرجعية، أما الفعل الإنجازي تجلى فيما استهدف الأمير تحقيقه من استفهام ونهي وأمر وتمن ونداء، وبما أن الوظيفة الحجاجية ترتبط بالوظيفتين التأثيرية والإقناعيه فإن الفعل التأثيري في لامية الأمير عبد القادر الجزائري، يتجسد من خلال ما حققه الفعل اللغوي عند المتلقي، والذي يترجم بإنجاز فعل معين في سياق معين، وعليه كان نجاح الفعل الإنجازي مرهون بالفعل التأثيري الذي يحققه من خلال الاقتناع الفعلي.

مراجع البحث وإحالاته:

*_ النموذج المختار لهذه الدراسة قصيدة " أستاذي الصوفي " للأمير عبد القادر الجزائري. عن ديوان الشاعر، شرح وتحقيق الدكتور ممدوح حقي، ص 197.

1_ ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط01، 1988م، ص263.

2_ ينظر رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط1، 2014 ص 169.

3 _ خديجة بوخشة، حجاجية الحكمة، في الشعر الجزائري الحديث، منشورات الدار الجزائرية، طبعة 2015، ص 193. 194.

4_ ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 260، 261.

5 _ عليوي أبا سيدي، الحجاج والتفكير النقدي، مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية، دار نشر المعرفة، طبعة 2014، ص 290، 2091.

6_ مازن المبارك، النحو العربي، المكتبة الحديثة، بيروت ط1، 1995، ص 90.

7_ عبد الهادي بن ظافر الشهري، أليات الحجاج وأدواته،، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجلاته، ج1، عالم الكتب الحديث، الأردن2010، ص80.

8- ابن يعش، شرح المفصل للزمخشري، تحقيق اميل بديع يعقوب، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ص128.

9_ ينظر عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص 131..

10_ عبد الرحمن الراجحي، التطبيق الصرفي، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط1، 2008، عمان، ص 75.

11 _ أبو البقاء الكوفي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيرت، ط1، 1992، ص851.

12_ الجرجاني (الشريف علي بن محمد) كتاب التعريفات، مع فهرست تعريفا ومصطلحات لغوية وفقهية وفلسفية جمعت من الكتب اللغوية والفقهية والفلسفية، ورتب على حروف الهجاء من الألف إلى الياء، مكتبة لبنان ناشرون ط200، ص18

13 السكاكي (أبو يعقوب يوسف) مفتاح العلوم، ظبطه وكتب على هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2، 1987، ص303.

14- محمد عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي بمصر، ط2، 1979، ص 15.

15_ الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن) تلخيص المفتاح، قرأه وكتب حواشيه وقدم له ياسين الأيوبي، بيروت المكتبة العصرية، ط1، 2002.

16 _ المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت (دت) ج2، ص 135.

17_ عبد العزيز عتيق، علم المعاني في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط 1، 2009، ص 75.

18_عبد العزيز عتيق، علم المعاني ص 118.

19_ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق أبي فهد محمود محمد، شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص 54.

20- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، 200، ص 404.

21_ جمال الدين ابن هاشم الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، نص يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر بيروت، ط1، 1997، ص 420..

22 _ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 64.

23_ علي أبو المكارم، الجملة الفعلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط1 2008، ص29

24_ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

الحجاج في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر في ضوء المنهج التداولي
قراءة في قصيدة: "مهد البطولة" للشاعر الجزائري "جيلالي حلام"

الطالبة الباحثة: بن يمينة فاطمة
مخبر الخطاب الحجاجي
جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

إشراف الدكتور: خروبي بلقاسم
مخبر الخطاب الحجاجي
جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

الملخص: يعد الخطاب الشعري الجزائري من أهم الخطابات التعبيرية الغنية بالمقاصد الخفية للمتكلم، الذي يروم من ورائها التأثير في متلقيه والعمل على إقناعه بتغيير وجهة نظره أو تعديل سلوكه، وهو ما يؤهله بأن يكون خطابا حجاجيا بامتياز. لذا أصبح مركز استقطاب وإغراء للدراسات النقدية التحليلية. وهو ما دفع بنا إلى مقاربة قصيدة "مهد البطولة" للشاعر الجزائري جيلالي حلام محاولين الكشف عن تجليات الخطاب الحجاجي فيها. وكل ذلك في ضوء المنهج التداولي

الكلمات المفتاحية: الحجاج؛ الخطاب الشعري؛ الشعر الجزائري المعاصر؛ مهد البطولة؛ جيلالي حلام؛ المنهج التداولي.

Argumentation in contemporary Algerian Poetic Discourse under the scope of the Deliberative Approach Reading in the Poem:
"The birthplace of the heroism" of the Algerian poet "Gjilali Halam"

Abstract:

The Algerian poetic discourse is one of the most important expressive speeches rich by the hidden purposes of the speaker, which aims to influence the recipient and work to persuade him to change his view or modify his behaviour, which qualifies it to be an argumentative speech by excellence. Consequently, it became a centre of attraction and temptation for critical analytical studies. And pushed us to approach the poem "The birthplace of the heroism" of the Algerian poet Djilali Halam, trying to reveal the manifestations of the argumentative speech under the scope of the deliberative approach

Key words: Argumentation, poetic discourse, contemporary algerrian poetry, the birthplace of heroism, djilali hallam, deliberative approach

تاريخ إيداع البحث: 17 ماي 2017.
تاريخ قبول البحث: 09 ديسمبر 2018.

يرجع ظهور المنهج التّداولي، إلى الفيلسوف الإنجليزي "أوستن" Austinإثر صدور كتابه: "نظرية أفعال الكلام العامة –كيف تنجز الأفعال بالكلام- (1955)"؛ حيث حدد مفهوم التداولية بأنّه: "العلم الذي يعني بالشروط اللازمة لأن تكون الأقوال مقبولة وملائمة بالموقف التواصلي الّذي يتحدث فيه المتكلم "[1]؛أي يهتم بدراسة كيف يكون للمقول معنى في السياق التخاطبي، المراعي لمجمل العلاقات القائمة بين مجموع المشاركين في عملية التخاطب من: (مرسل ومرسل إليه ورسالة وسياق ولغة مشتركة بين المتخاطبين) .

ورغم تطور نظرية أفعال الكلام مع "سيرل" Searl ومجموعة من التداوليين آخرين في السبعينات والثمانينات، إلاّ أنّهم بقوا أوفياء لفكرة "أوستن" التي ركز فيها على اللغة واستعمالاتها من طرف قطبي العملية التخاطبية؛ أيّ أن التداولية تهتم بمختلف استعمالات اللغة وعلاقات العلامات بمستعمليها المؤولين لها، بالاعتماد على جملة من الأفعال الكلامية التي ينتجها المتكلم مع مراعاة قصده ونواياه، وتهتم بالشروط الملائمة لنجاح الأفعال من خلال الأثر الذي تتركه في المتلقي ضمن سياق معين[2].

هكذا، اهتم كل من "أوستن" و"سيرل" و"غرايس" Grice وغيرهم من التداوليين بالفعل الكلامي الذي يؤدي إلى تحول وضع المتلقي، وتغيير نظام تفكيره ومعتقداته، وتبديل مواقفه السلوكية، فكان تركيزهم في دراستهم للمنهج التداولي على مرتكزات العملية التخاطبية من متكلم ومخَاطب وخطاب، والبعد الحجاجي والإقناعي للفعل الكلامي في الخطاب.

ويعتبر الخطاب الشعري من أهم الخطابات التعبيرية الغنية بالمقاصد الخفية للمتكلم، الذي يروم من ورائها التأثير في متلقيه والعمل على إقناعه بتغيير وجهة نظره أو تعديل سلوكه، وهو ما يؤهله بأن يكون الخطاب المناسب للدراسات التداولية.

تعد قصيدة "مهد البطولة" للشاعر الجزائري "جيلالي حلام"* من الخطابات الشعرية الساعية إلى التأثير في المتلقي وحمله على الإذعان والاقتناع. بما تحمله من توجيه، وإرشاد وحث، وتوظيف للأفعال اللغوية المتمثلة في النفي، والأمر، والاستفهام، والنداء، وغيرها.

وعليه، يمكننا أن نتساءل عن الدور الفعال لهذه الأساليب، والأفعال اللغوية في إكساب خطاب جيلالي حلام الطابع الحجاجي؟. وكيف أسهم الرابط والعامل الحجاجي في بناء الخطاب الحجاجي لقصيدة "مهد البطولة"؟.

وفي محاولتنا للإجابة عن هذه الإشكالية سيكون تركيزنا على العناصر الأساسية للتداولية، وهي طرفا الخطاب (المتكلم والمتلقي)، والسياق الزماني والمكاني للخطاب، والهدف من عملية التخاطب، ونوع الخطاب مع وضوحه، واللغة المستعملة، والقواعد التي تتحكم في إنتاج الخطاب من متكلم إلى آخر. ونحن في هذا المقام لا يسعنا أن نتطرق لكل هذه العناصر

وعليه سنقف على المتكلم والمتلقي أما البقية منها فستأتي مبثوثة داخل الاستراتيجيات الحجاجية للقصيدة، وحجاجية الأفعال اللغوية للقصيدة.

المتكلم (المخَاطِب): هو الطرف الأول في العملية التواصلية، فهو منتج الخطاب الحامل لمقاصد معينة، بصياغته لعدة مفاهيم وتصورات في نسق كلامي يمرره إلى متلقيه عبر قناة لسانية[3]. والمتكلم في خطاب "مهد البطولة " هو الشاعر الجزائري جيلالي حلام الناطق باسم كل جزائري غيور على وطنه

ومقدساته. إذ نجده يتكلم مرة باسمه الخاص فيوظف ياء النسبة التي تحيل القارئ إلى الشاعر مباشرة، أو نون الجماعة الدالة على مشاركة الشاعر لبقية الجزائريين في الانتماء إلى بلد الفخر والبطولة. أو مخاطبا لغيره باستعمال أداة النداء "يا"، ناهيك عن أسلوبه المشحون بعواطف جياشة اتجاه وطنه وأبناء وطنه. الدال على الارتباط الوثيق للشاعر بالأنا الجمعي.

ويعتبر الشاعر الذات المتكلمة التي تنصهر فيها كل الذوات؛ حيث أنّه يتزاوج تزاوجا ينقله من ذاته الخاصة إلى ذات الأنا الجمعي، حتى يحيا فيها ما يحياه هذا الكل. فيعتبر اعتقاداته وأفعاله وردود فعله. كما يعتبر اعتقاداته هو وأفعاله وردود أفعاله. ويترتب على هذا التزاوج أنّ المتكلم –الشاعر- يجتهد في أن يعامل الكل مثلما يريد أن يعامله هذا الكل[4]؛ أي أن الشاعر يتكلم بلسان قومه فيكون المرآة العاكسة لغيره. وهو ما نلاحظه في "مهد البطولة".

المُخَاطَب: هو أحد المكونات الثلاثة الأساسية للعملية التخاطبية، والعامل الفاعل في إنتاج الخطاب من منظور نظرية التلقي، والبلاغة الجديدة، وقد يكون فردا أو جماعة حاضرا أو غائبا، افتراضيا أو حقيقيا، قارئا أو مستمعا. وقد أطلق "برلمان وتيتكا" على المتلقي النوعي مصطلح "المستمع الكوني" هذا المستمع المبدع الموحي بالإدراك المعمم المتجاوز لحدود الزمان والمكان. [5] والذي يظل رضاه حلم كل كاتب.

لذا فالكاتب بوصفه فردا من أفراد مجتمعه لا يكتب إلا لقارئ من حيث هو فرد من أفراد المجتمع نفسه، لأن الأدب لا تبرز قيمته إلا إذا دُرِس كعملية جدلية بين الإنتاج والتلقي ومن ثم تتم سيرورة العملية التواصلية بين المتكلم والمتلقي بنجاح.

والمتلقي المقصود في خطاب "مهد البطولة" هو المتلقي الجزائري، وخاصة المثقف منه، بوصفه مستمعا كونيا يشترك مع الشاعر في معرفة ثقافة المجتمع الجزائري، والذي سيتفاعل مع الخطاب الحامل لهمومه وآلامه وآماله وطموحاته تفاعل المتلقي الإيجابي الذي ذكره سارتر في كتابه: "ما الأدب" ومن بعده أمبرتو إيكو الذي ركز على القدرات التي ينبغي أن يمتلكها المتلقي حتى يكون "قارئا نموذجيا يستطيع أن يتعاون من أجل تحقيق النص بالطريقة التي يفكر بها المؤلف ويستطيع أن يتحرك تأويليا كما تحرك المؤلف"[6] لذلك اشترط على قارئه أن يكون مر

بنفس التجربة التي مر بها هو ويكون قرأ ما قرأه هو وكل ذلك لأجل أن يضمن لرسالته فهما وتأويلا قريبا من مقصديته في كتابته لها. باعتبار أن لا وجود لخطاب خال من مقاصد ونوايا صاحبه.

الاستراتيجيات الحجاجية للقصيدة

رسم الشاعر عدّة استراتيجيات من خلال بنائه لخطاب " مهد البطولة" ومن أهمها:

1-حجاجيةالعنوان واستراتيجية استدراج المتلقي:

العنوان أول رسالة يتلقاها المرسل إليه، وهو أول محطة يقف عندها القارئ، إذ يجد فيه: "ما يدعوه للقراءة والتأمل"[7]، وله دور مهم وفعال في تقديم يد العون لمحلل الخطاب، كما يساعد على فهم ما غمض من الخطاب، بوصفه المحور الذي يتوالد ويعيد إنتاج نفسه ومن قراءته تتحدد هوية القصيدة[8]بناء على علاقته بالمتن.

و"مهد البطولة" هو العنوان الذي اختاره الشاعر لقصيدته، والّذي جاء بصيغة اسمية مكونة من وحدتين لسانيتين، الوحدة الأولى "مهد" خبر لمبتدأ محذوف وهو مضاف والوحدة الثانية "البطولة" مضاف إليه، ويبدو أن المتكلم سكت عن المبتدأ المتمثل في "**الجزائر** مهد البطولة" أو "**بلدي** مهد البطولة" ليدعو مخَاطبِيه إلى «التفكير في الخطاب لمعرفة الجزء المحذوف، ومن ثم الوصول إلى المعنى»[9] المقصود. وتشغيل ذهن المتلقي لاستنباط المحذوف هي طريقة استراتيجية عمد إليها الشاعر للدفع بمخاطبه إلى الدخول في ممارسة حجاجية داخل فضاء تأويلي[10] مستخدما عقله وتفكيره لفهم الرسالة الموجهة إليه، ومن ثمّة إما يستجيب، لما يُطرحُ عليه من قضايا فيقبلها ويُدافِع عنها، أو يرفضها ويعارضها.

وإذا استجاب، وأذعن المتلقي الجزائري لما طلبه منه الشاعر، يكون هذا الأخير قد حقق ما يرمي إليه الحجاج من تغيير في الفكر والسلوك إذ أن: «أنجع الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو ما وُفِّق على الأقل في جعل السّامعين مهيّئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة»[11]وهذا مذهب من مذاهب منظري النظرية الحجاجية.

وإذا ما سلمنا بأن هذا العنوان هو خطاب حجاجي، فذلك «معناه أن هذا الخطاب يحتوي ملفوظين اثنين على الأقل (م) و (م) حيث يقوم أحدهما بتعزيز وإسناد الآخر، فيسمى الأول حجة والثاني نتيجة»[12]ويمكننا أن نمثل لذلك باعتبار أنّ:

م: مهد البطولة والإلهام يا ولدي ⟵ حجة أولى

م: بلد الشاعر هي الجزائر ⟵ حجة ثانية

إذن ⟵ الرابط

ن: الجزائر مهد البطولة ←——— نتيجة

إن حذف الشاعر للمبتدأ هو دفع بالمتلقي لأن يقف على الفرضيات والمقدمات المضمرة في الخطاب، ومنه الوصول إلى النتيجة الحتمية، «ليحصل بذلك التّصديق الذي هو مناط الحجاج ونقطة الارتكاز فيه»[13] وهكذا يُحْكِم الشاعر قبضته على ذهن المخَاطب فيجعله يسلم بكل ما يُعرَض عليه من تصورات وأفكار. وبالتالي يسهل عليه قيادته وتوجيهه إلى الوجهة التي يريد.

حجاجية المتن واستراتيجية الاقناع والتأثير:

تقتضي هذه الاستراتيجية وجود طرفي التخاطب؛ من حيث يرمي المتكلم التأثير في سامعه أو قارئه بما يقدمه إليه، بغية جعله يهتم « بتفاصيل الرسالة، ويدرك مضمونها، ويفهم محتواها، ويقبله فيحدث الاحتواء، ويكون المُخَاطَب داخل رؤية المُخَاطِب»[14]. وهو ما يصادفنا في هذه القصيدة. إذ يقوم المتكلم بتشغيل الوظيفة الانتباهية لدى المتلقي باعتماده على حرف النداء "يا" الذي يفيد مناداة البعيد أو تنبيه المدعو وطلب إصغائه وإقباله على الداعي[15]. ساعيا من وراء ذلك شدّ انتباه المتلقي وإبقاءه معه على الحبل التواصلي. وقد جاء هذا الحرف "يا" في البيت الأول:

مهد البطولة والإلهام يا بلدي شبل العروبة والاسلام يا ولدي[16]

دالا على اعتزاز وافتخار الشاعر بانتمائه القومي والديني، مبرزا لحسه الوطني وحبه لأبناء بلده. وما يدعم هذا الرأي تكراره لحرف النداء في كل من:

- البيت الثالث:

يا جيل كن مشعلا يهدي الضليل إلى قصد الرشاد وكن للخصم في رصد[17]

- البيت الرابع:

يا جيل عزتنا فكر ومدرسة تهدي العقول وتمحي غفلة السهد[18]

- البيت الأخير:

فجددوا العهد يا أشبال عزتنا على المضيّ جميعا في سنا الرشد[19]

وقد لجأ الشاعر إلى تكرار هذا الحرف لقدرته على التنبيه وإثارة التوقُّع لدى السامع، وهذا التوقُّع من شأنه أن يجعل المتلقي أكثر تحفّزا لسماع الشاعر والانتباه إليه، كما نجد النداء متبوعا بفعل الأمر "كن" المتكرر في البيت الثالث:

يا جيل كن مشعلا يهدي الضليل إلى قصد الرشاد وكن للخصم في رصد[20]

وهو أسلوب يوحي بأنّ خطاب المتكلم يحمل مقصدية مبيّتة، الهدف منها جعل المتلقي يذعن ويقتنع بكل ما يُطرح عليه دون أيّ معارضة، وهي استراتيجية تأثيرية تقوم« على عملية

فرض لجملة من المعطيات والنتائج الموجهة حواريا بصفة حتمية لا تترك للمتلقي؛ أي خيار في اختيارات أخرى؛ بل هو مطالب بالاقتناع بصحة ما توصل إليه بفعل القراءة أو السماع... إذن فهو مطالب بقبولها بدافع نفسي»[21] ولاسيما إذا كان ما يطرحه الشاعر يلامس العمق الشعوري للمتلقي.

وشاعر الجزائر يعرف متلقيه جيدا، ويعرف أنه لن يستجيب لأي خطاب ما لم يكن مرتبطا بواقعه وحياته، وذلك أنه «كلما كانت معاني الشعر مرتبطة بالواقع وبحياة الإنسان كلما كان الشعر أكثر وقعا على النفس وأدعى إلى التلقي والقبول من طرف السامعين»[22] وقصيدة "مهد البطولة" ارتبطت بالواقع المعيش، إذ يسعي الشاعر من خلالها إلى تغيير رؤية الجزائري المستهتر بقيم بلاده الجاري وراء التقليد الأعمى لغيره مفرطا بما لديه من ثروة، فحاول المتكلم دغدغة مشاعر قارئه بتذكيره بمكانته ومكانة بلاده بين الأمم وبالتاريخ الذي يشهد للجزائر وأبناء الجزائر وبالثورة الجزائرية التي أسهمت في تحرير الكثير من الدول العربية، والتي بفضلها ينعم أبناء الاستقلال بالحرية والعيش الكريم، وهو ما يبعث على الفخر بالانتماء إلى هذا البلد العزيز المتمسك بعروبته ودينه فقال:

واذكر جهادك للأجيال مفخرة عصماء غراء لم تخطر على خلد
في الكون بات لها بحر يباركها نصرا فنصرا، وكان الله بالمدد
ألحانها من صدى الرشاش كالبرد رنت فدوّت على وهران صيحتها[23]

وقد اتسمت هذه القصيدة بطابع الخطابة، بوصف الخطابة فنا للإقناع والاستمالة، وقد عرفها أرسطو بأنها « قوة تتكلف الإقناع الممكن»[24] لتعاملها مع العقل والعاطفة، مع تركيزها على العاطفة بصورة واضحة، في توصيل معلومات أو مفاهيم معينة لجمهور المستمعين.

ولعل الشاعر انتهج نهج الخطيب في النصح والوعظ والإرشاد، رغبة منه في استنهاض الهمم باستثارة عواطف مخاطبيه، محاولا أن يترك في نفوسهم أعمق الأثر[25]. لذلك اهتم في قصيدته بالبعد التوجيهي الأخلاقي، وهو بعد حجاجي يعول عليه في «جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء»[26] وهو دلالة على أن الشاعر يهدف إلى التأثير في أكبر عدد ممكن من المتلقيين. وهو ما أكسب القصيدة الطابع الخطابي، إذ تبدو للقارئ بأنها «قول خطبي عدل به عن منهاج الخطابة»[27] ويمكننا أن نمثل لهذه القصيدة التي تحمل في طياتها وظيفتين: وظيفة إقناعية ووظيفة إمتاعيه بهذا المخطط:

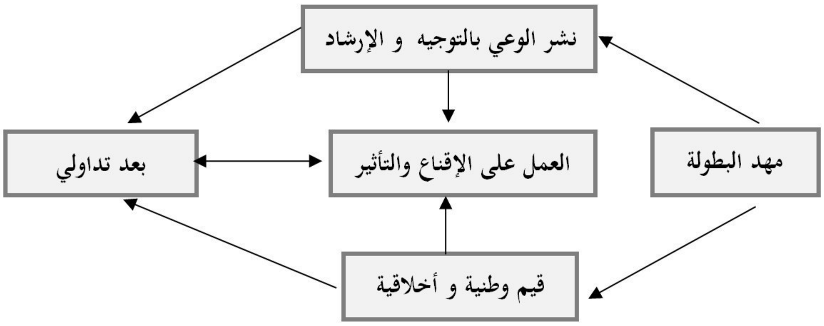

ومن هذا المخطط يبدوا أن جيلالي حلام يقصد بخطابه متلقيا بعينه: «لا يحفل بالشعر ولغته وجوانبه الجمالية إلا ما يجد فيه من الخبر الجديد أو الرأي الوطني أو الحكمة الأخلاقية أو التوجيه الديني»[28]، وهذا يعني أن تفاعل المتلقي مع المتكلم مبني على ما تحمله لغة الخطاب من قوة تأثيرية إقناعية.

البعد الحجاجي للأفعال اللغوية في القصيدة

ربط أقطاب مدرسة "أكسفورد" أمثال "أستين"Austin، و"سيرل" Searl، وبعدهما "ديكرو" Ducrot الحجاج ببنية الأقوال اللغوية واشتغالها داخل الخطاب؛ حيث أصبح الفعل اللغوي «نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنّ كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية... إلى تحقيق أغراض إنجازية... وغايات تأثيرية... تخص ردود فعل المتلقي... ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطَب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما»[29]فالفعل الكلامي وظيفته التأثير في المتلقي وبالتالي فهو يسعى إلى الإقناع الذي هو خاصية من خاصيات الحجاج.

من هنا سنحاول إبراز البعد الحجاجي للأفعال اللغوية في قصيدة "مهد البطولة"، من خلال تصنيف "سيرل" للأفعال اللغوية والذي هو تعديل لتصنيف أستاذه "أوستن".

لقد صنف "سيرل" الأفعال اللغوية إلى خمسة أفعال: (التأكيدية أو التقريرية Assertives، الأفعال التوجيهية Directives، الأفعال الالتزامية Commissives، الأفعال التعبيريةExpressives ، الأفعال التصريحية Déclarations) [30] وقد تنوع خطاب جيلالي حلام بهذه الأفعال ولعل أهمها: الأفعال التصريحية، والتوجيهية المتمثلة في صيغ (الاستفهام، والأمر، النهي، والرجاء، والنصح، والتشجيع، والدعوة، والاستثناء، والاستفسار، والتحدي) والتي سنمثل لها من القصيدة بدءا بـ:

- الأفعال التصريحية

الغاية من توظيف هذه الأفعال هو « جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم»[31] وخطاب شاعرنا يبدو قراءة ذاتية للواقع الجزائري، إذ رسم الشاعر بكلماته صورة حقيقية منقولة من واقع حقيقي عن الجزائر. فقوله مثلا:

بالضّاد نَنطِقُ والقرآنُ يَجْمَعُنا مُسْتَرْشِدِين بهدي الوَاحِدِ الأَحَد[32]

و قوله أيضا:

واليَوْمَ نَرْفَعُ هَامَاتِنّا شِمَما نَبْغِي ذُرا المَجْدِ لا نَبْغِي على أَحَدِ[33]

فأفعال القول (ننطق، ويجمعنا، ونرفع، ونبغي) كلها أفعال مضارعة مبنية للمعلوم ومسندة إلى ضمير المتكلم "نحن" موجه لمخاطبة الآنا الجمعي، ويتضمن كل فعل قول منها قوة إنجازية مولدة لقوة تأثيرية؛ فمثلا يتضمن فعل القول "ننطق" قوة إنجازيه مفادها أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للجزائر، والقوة التأثيرية عن هذه القوة الإنجازية لفعل القول "ننطق" تصديق المتلقي للمتكلم ومساندته الرأي.

-الأفعال التوجيهية

1- الأمر

وظف الشاعر أسلوب الأمر الذي ينتمي «إلى صنف الأفعال التي وسمها أوستين بـ: "Actes Perlocutionnaires" أيّ الأقوال التي فيها إنجاز لأفعال معيّنة ولكنّه إنجاز ضمنيّ لأنّ صيغتي (الأمر والنهي) تحملان معنى الدّعوة ومن ثمة تبدو صلتها بالحجاج وثيقة لأنهما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معيّن تحدّده أطروحات الشاعر ومبادئه»[34]ويمكننا التمثيل له من خلال أفعال القول الآتية:

يا جيلَ كنْ مَشْعَلا يَهْدِي الضّليلَ إلى قَصْدِ الرشّادِ وكنْ للخَصْمِ في رَصْدِ
وأذْكُر جِهَادَك للأجيَالِ مفْخَرَة عصمّاء غرّاءَ لم تخْطُر على خلْدِ
فجدّدوا العهد يا أشبال عزّتنا على المضـيّ في سنا الرشد[35]

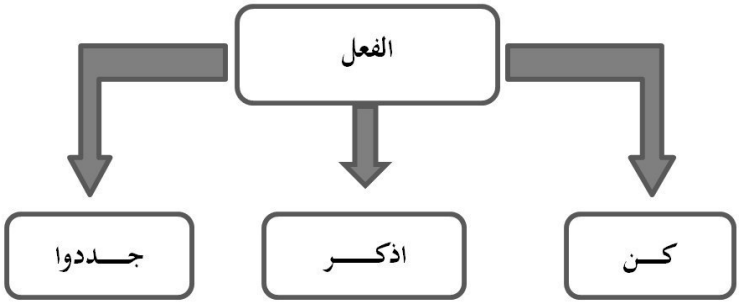

فكل فعل من هذه الأفعال الثلاثة يحمل في ذاته دعوة للقيام بفعل معين؛ حيث يتضمّن القول "كن" قوة إنجازية تتمثل في تحريض وتشجيع جيل الاستقلال على أن يكون مشعلا يُهتدى به وخصما يترصد أعداءه، وللقوة الإنجازية هذه قوة تأثيرية على المتلقي الجزائري المعروف بطبعه الحماسي.

أمّا فعل القول "اذكر" فيتضمّن قوة إنجازية تتمثل في إحياء ذكرى الثورة والجهاد في نفوس الجزائريين بغية ربط جيل الاستقلال بتاريخه ومن ثمّة ينتج عن القوة الإنجازية قوة تأثيرية تتمثل في تفاعل المتلقي الجزائري مع كلمات الشاعر.

أمّا فعل القول "جدّدوا" يتضمّن قوة إنجازية تتمثل في دعوة الشاعر أبناء وطنه عبر هذه الكلمات إلى إكمال مسيرة الآباء والأجداد في بناء بلدهم، وبلا شك أنّ كل جزائري أبي قرأ هذه الأبيات إلاّ وتأثر بها وهذه هي القوة التأثيرية التي تحملها الإنجازية لفعل القول "جدّدوا".

2- النفي

إن أسلوب النفي لا يقل دوره في العملية الإقناعية؛ إذ يعتبر من «الأبنية القولية التي تسمح بإدخال متحدّث آخر في النّصّ ذاته بشكل غير مباشر»[36] وذلك لأنه يدل على التعدّدية الصوتية، حيث يسمح للمتكلم بالتعبير المتزامن عن الصوتين المتقابلين، أيّ النفي ذو وجهين؛ وجه للنفي وهو الظاهر من القول، ووجه للإثبات وهو ما يتضمنه القول[37] وهذا ما نجده في قول الشاعر:

ليس الرُقيّ بتقلّيدَ الحَضَـارَة	**بل إنّ الرُقي تصنّيعٌ بكل يـــدٍ**
ليس الرقي بأثواب وتلـفزة	**إنّ الرقي لفي الإعداد والعدد**
ليس الرقي بجلباب وحوقلة	**إنّ الرقي لفي الإيمان بلا فـند**
ليس الرقي بأقــوال منمقة	**إنّ الرقي وفاء القوم إنْ تعـد**[38]

حيث؛ ينطلق الشاعر من تخطئة وجهة نظر إبطال معتقد باستعمال أداة النفي "ليس" لإثبات وجهة نظر أخرى وترسيخ معتقد آخر بتوظيف أداة التّوكيد " إنّ" وذلك بالرد عن المفترض طرحها بهذا الشكل:

- أنرتقي بتقليد الحضارة؟.
-أنرتقي بأثواب وتلفزة؟.
- أنرتقي بجلباب وحوقلة؟.
- أنرتقي بأقوال منمقة؟.

إنّ هذه الاستفهامات المضمرة في الخطاب هي ما أكسب فعل القول" نرتقي" قوة إنجازية تمثلت في رفض الشاعر انحراف أبناء مجتمعه عن الأصول والثوابت وانجرافهم وراء المظاهر الخداعة، مقترحا عليهم البديل الّذي يمكّنهم من الرقي والازدهار.

وهكذا يكون قد قام بمحاججتهم سعيا لإقناعهم بتغيير أفكارهم، من خلال نفيه لما يعتقدون أنّه صحيح، مقدّما لهم ما يعتقده هو أنّه الأفضل والأصح.

الروابط والعوامل الحجاجية في القصيدة

أ- الرابط الحجاجي

إذا كانت الروابط النحوية تحقق للنصّ الإبداعي اتساقه وتلاحمه وانسجامه النحوي وتعالقه النّصي، فإنّ الروابط الحجاجية تحقق له الترابط التداولي والحجاجي[39] وقصيدة "مهد البطولة" لا تخلو من هذه الروابط ولعل أهمها: الرابط "بل" الّذي «يختص بإرشاد حجاجي يقتضي بأن يتم تأويل الحجة الّذي يسوقه باعتباره أقوى من غيره في إسناد النتيجة الواردة في هذا التأليف الخطابي الحجاجي»[40] وقد جاء ظاهرا مرة واحدة، ومضمرا ثلاث مرات في قول الشاعر:

ليس الرُقيّ بتقلّيدَ الحَضَـارَة بل إنّ الرُقي تصنّيعٌ بكل يــدٍ
ليس الرقي بأثواب وتلـفزة إنّ الرقي لفي الإعداد والعدد
ليس الرقي بجلباب وحوقلة إنّ الرقي لفي الإيمان بلا فـند
ليس الرقي بأقــوال منمقة إنّ الرقي وفاء القوم إنْ تعـد

بوصف كل بيت من هذه الأبيات ملفوظا، فإنّ ورود الرابط "بل" بين شطري الملفوظات أدى إلى انبثاق وضع حجاجي مميز، أسهم بشكل محكم في الربط بينها، إضافة إلى، جعلها تتجه إلى مساندة نفس النتيجة التي يريد الشاعر ترسيخها في ذهن المتلقي. ويمكننا التمثيل له بذلك:

ليس الرُقيّ بتقلّيدَ الحَضَـارَة بل إنّ الرُقي تصنّيعٌ بكل يدٍ

- ليس الرقي بتقليد الحضارة ⟵ الحجة الأولى
- بل ⟵ الرابط الحجاجي
- إنّ الرقي تصنيع بكل يد ⟵ الحجة الثانية

ليس الرقي بأثواب وتلـفزة [بل] إنّ الرقي لفي الإعداد والعدد

- ليس الرقي بأثواب وتلـفزة ⟵ الحجة الأولى
- بل ⟵ الرابط الحجاجي
- إنّ الرقي لفي الإعداد والعدد الحجة الثانية

ليس الرقي بجلباب وحوقلة ⟵ [بل] إنّ الرقي لفي الإيمان بلا فـند

- ليس الرقي بجلباب وحوقلة ⟵ الحجة الأولى

- بل ⟵ الرابط الحجاجي

- إنّ الرقي لفي الإيمان بلا فند ⟵ الحجة الثانية

ليس الرقي بأقــوال منمقة [بل] إنّ الرقي وفاء القوم إنْ تعـد

- ليس الرقي بأقــوال منمقة ⟵ الحجة الأولى

- بل ⟵ الرابط الحجاجي

- إنّ الرقي وفاء القوم إنْ تعـد ⟵ الحجة الثانية

ما نستخلصه أن كلاّ من الحجج الواردة قبل وبعد الرابط الحجاجي "بل" في الملفوظات السابقة تخدم نتيجة واحدة مفادها أن: من أراد العلا والرقي عليه بالجد والعمل، والتمسك بالقيم الوطنيّة، والدينيّة بعيدا عن الانبهار بكل ما يأتي من الغرب.

ب - العامل الحجاجي

إنّ وظيفة العامل الحجاجي في ربط القضايا الحجاجية لا تبتعد كثيرا عن وظيفة الرابط الحجاجي؛ حيث أن «العامل الحجاجي هو صُرَيْفَة (مورفيم) إذا تم إعمالها في ملفوظ معين، يؤدي ذلك إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ... على أن التحول الّذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي (الملفوظ) الذي يرد لا يكون مستمدا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، وإنّما من مجرد وظيفته التحولية الحجاجية الخالصة»[41] ومن أهم هذه العوامل، الأدوات التّوكيدية (إنّ، واللام) التي وردت في الأبيات (12-13-14-15) وسنبين الدور الطاقوي الحجاجي الذي تولّده هذه العوامل في الملفوظ الأصلي القائم بذاته في الجدول التالي:

الملفوظ الأصلي (الجملة الابتدائية)	العامل	الملفوظ زائد العامل
الرقي تصنيع بكلّ يد	إنّ	إنّ الرقي تصنيع بكلّ يد
الرقي في الإعداد والعدد	إنّ، واللام	إنّ الرقي لفي الإعداد والعدد
الرقي في الإيمان بلا فند	إنّ، واللام	إنّ الرقي لفي الإيمان بلا فند
الرقي وفاء القوم إن تعد	إنّ	إنّ الرقي وفاء القوم إنْ تعد

إنّ الملفوظات (إنّ الرقي تصنيع بكل يد)، و (إنّ الرقي لفي الإعداد والعدد)، و (إنّ الرقي لفي الإيمان بلا فند)، و (إنّ الرقي وفاء القوم إنْ تعد)، اكتسبت قوة حجاجية إضافية بفضل العامليْن (إنّ، واللام) بوصف العامل "إنّ" يعمل على دفع الشك والظّن وذلك عن السؤال الذي يطرحه السامع على المتكلم، كما أن زيادة "اللام" في الملفوظ المسبوق بالعامل "إنّ" يزيد في ترسيخ فكرة المتكلم في ذهن السامع وذلك بدفع الانكار الذي يبديه السامع[42] أثناء استقباله وتحليله للمحتوى القضوي للخطاب الشعري.

عودا على بدء نصل إلى أن قصيدة " مهد البطولة" انطبعت بطابع الشعر الالتزامي الذي لا يخلو من طرحه لقضايا وطنية أو قومية أو دينية، هذه القضايا التي لا تخلو بدورها من مقاصد التغيير والإصلاح بالاعتماد على ثنائية (التأثير والإقناع) التي تعتبر من أساسيات الدراسات الحجاجية، والذي وجدناه حاضرا وبكثافة في خطاب جيلالي حلام مما جعله خطابا حجاجيا توفرت فيه أغلب شروط المحاججة من استراتيجيات حجاجية وأفعال لغوية، وروابط، وعوامل حجاجية أسهمت بدورها في اكساب القصيدة الطابع الحجاجي.

مراجع البحث وإحالاته:

1- يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة المخبر – مخبر بحث معتمد- أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مطبعة جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (10)، 2014م، ص: 104

2- ينظر: ياسين سرايعية، تداولية الخطاب الشعري المعاصر- قراءة في عناصر السياق لدى الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي-، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، مجلة محكمة ومفهرسة تصدر عن جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد: 33، 2013م، ص: 86

*- الجيلالي بومعزة حلام من مواليد1949م بولاية سيدي بلعباس وتوفي بها 2006م، كان له حضورا في الساحة الأدبية والثقافية، ومشاركات في الكثير من الندوات والملتقيات، نال الكثير من الجوائز منها: الجائزة الأولى في الشعر من جامعة وهران 1968م، ومن مؤلفاته: المعجمية العربية" تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة" ومباحث في علم الأصوات" قراءة في المصطلح الصوتي" وله ديوان شعري "تسابيح فجر العرب" قدمه إلى جمعية مفدي زكريا بسيدي بلعباس لنشره 2003م، غير أن هذه الأخيرة لم تنشره بسبب توقفها عن النشاط الثقافي. ليغمر في طي النسيان مدة من الزمن، حتى سنة (2013-2014) استطعنا أن نتحصل على نسخة من الديوان المخطوط. وعليه كانت أول دراسة نقدية أكاديمية لإحدى قصائده: قدمت بوصفها مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، بجامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر بعنوان: " مقاربة نصية وتداولية لقصيدة تسابيح فجر العرب" وها نحن نعود من جديد لننفض الغبار على ديوان جيلالي حلام وانتشال قصيدة "مهد البطولة" من حيز الصمت الرهيب، واستنطاقها في هذا المقال. وبهذا يكون عملنا هذا ثاني عمل لم يسبقنا إليه أحد من الدارسين في تسليط الضوء على شعر جيلالي حلام الشاعر الجزائري المعاصر الذي لا يزال أغلب شعره مطمورا.

3- ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977م، ص: 58

4- ينظر: طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص: 04، وخديجة الصافي، البعد الحجاجي في الإشارات الصوفية عند الأمير – تحليل وظيفي لبعض مواقفه-، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، بسكرة، الجزائر، العدد: 12، 2016م، ص: 418.

5- ينظر: أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب –في ضوء البلاغة الجديدة-، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط01، 1432هـ - 2011م، ص: 139

6- أمبرتو إيكو، القارئ النموذجي، تر: أحمد بوحسن، طرائق تحليل النص الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، سلسلة ملفات (1992)، ط01، 1992م، ص: 160

7- أحمد مداس، لسانيات النص" نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري" عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط(02)، 1430هـ - 2009م، ص: 40

8 - ينظر: محمد مفتاح، دينامية النص " تنظير وإنجاز"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط(03)، 2006م، ص: 72

9- زروقي عبد القادر، الاستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت "قراءة في حجاجية الحذف في القرآن الكريم، مجلة فصل الخطاب، دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر، جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)، ع (07)، سبتمبر 2014م، ص: 12

10- ينظر: المرجع نفسه، ص: 14

11- عبد الله صولة، في نظريّة الحجاج " دراسات وتطبيقات"، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط(01)، 2011م، ص: 13

12- رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج "مدخل إلى الحجاجيات اللسانية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط(01)، 2014م، ص: 77

13- على الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل" بحث في الأشكال والاستراتيجيات"، تقديم: حمادي صمّود، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط(01)، 2010م، ص: 99

14- أحمد منداس، لسانيات النص " نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط(02)، 1430هـ - 2009م، ص: 169

15- ينظر: أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، دار الفكر، بيروت، 1978م، ص: 105

16- جيلالي حلام، ديوان " تسابيح... فجر العرب"، مخطوط، ص: 09

17–المصدر نفسه، ص: 09.

18– م. ن، ص. ن.

19- جيلالي حلام، ديوان " تسابيح... فجر العرب"، ص: 09

20- المصدر نفسه، ص: 09

21- محمد شطاح بوقرة "تحليل الخطاب الأدبي والإعلامي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط(01)، 1427هـ - 2006م، ص: 15

22- بوخشة خديجة، حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، رسالة دكتوراه في اللسانيات التداولية، جامعة وهران (الجزائر)، 1436هـ - 2014م، ص: 47

23- جيلالي حلام، ديوان " تسابيح... فجر العرب"، ص: 09

24- أرسطوطاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بدوي، ص: 09

25- ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي الجزء الأول (1929 – 1940)، ط(01)، 1997، ص: 67

26- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج " دراسات وتطبيقات"، ص: 26

27- أحمد قادم، شعرية الإقناع في الخطاب البلاغي النقدي، المطبعة والوراقة الوطنية، الداوديات، مراكش، ط(01)، 2009م، ص: 85

28- أحمد شوقي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري، (1925- 1954)، دار الهدي، عين مليلة (الجزائر)، 2010م، ص: 204

29 - سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي "بنيته وأساليبه"، ص: 54 - 55

30- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية- ص: 185

31- عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية- ص: 185

32- جيلالي حلام، ديوان " تسابيح.... فجر العرب" ص: 09

33- المصدر نفسه، ص: 09

34- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي – بنيته وأساليبه-، ص: 149

35- جيلالي حلام: ديوان " تسابيح... فجر العرب"، ص: 09

36- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992م، ص: 94

37- المرجع نفسه، 94

38- جيلالي حلام، ديوان "تسابيح... فجر العرب"، ص: 10.

39- ينظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط(01)، 2010م، ص: 44

40- رشيد الراضي، المظاهر اللّغوية للحجاج "مدخل في الحجاجيات اللسانية"، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2014م، ص: 111

41- رشيد الراضي، المظاهر اللّغوية للحجاج "مدخل إلى حجاجيات اللسانية"، ص: 102

42- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج "دراسات وتطبيقات"، ص: 121

الخطاب الحجاجي ودلالته في الفكر النقدي العربي المعاصر

الدكتور: عبد القادر قعموسي

جامعة جيلالي اليابس ـ سيدي بلعباس ـ الجزائر

الملخص: يسلط هذا البحث الضوء على مفهوم الخطاب الحجاجي ودلالته في الفكر النقدي العربي المعاصر وبُرُوزِه إثر التوسع الذي شهده الفكر العربي على الفكر الغربي عن طريق الحملات التعلمية والترجمة فعمل على قراءة التراث بآليات ومناهج غربية جعلت الساحة العربية تعكف على دراسة الحجاج وذلك بظهور البلاغة الجديدة على يد برلمان وتيتيكا، فظهرت مدارس عربية درست الخطاب الحجاجي وتقنياته وآلياته محاولة إيجاد تنظير له يستمد روحه من التراث.

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ الحجاج؛ الفكر النقدي؛ الدلالة؛ الفكر المعاصر.

The Argumentative Discourse and its Significance in Contemporary Critical Arab Thought

Abstract:

This research sheds light on the concept of argumentative discourse and its significance in contemporary Arab critical thought and its emergence as a result of the expansion witnessed by the Arab thought on Western thought through the learning and translation campaigns. So it worked on reading the heritage with Western mechanisms and methods that made the Arab arena study argumentation with the emergence of the new rhetoric by Perleman and Titika. This gave birth to the Arab schools that studied the discourse of the argumentation and its techniques and mechanisms to try to find a perspective that derives its spirit of heritage.

Keywords: discourse; pilgrims; critical thought; significance; contemporary thought

تمهيد

اهتم العرب بالحجاج وممارسته، فأخذ مسمّيات عدّة من بينها الجدل، والمناظرة، والمحاجة، كما ظهرت تلك الممارسات الحجاجية في الخطابة والبيان بشتى أنواعه، فوُجد الحجاج بقوة لضرورة أوجدتها البيئة، التي عرفت صراعات كثيرة بين الفرق الإسلامية، واستُعمل في دفاع عن الدين ضد الشعوبية والفِرق الملّحدة، ولم يرْقَ الحجاج إلى التنظير وذلك

تاريخ إيداع البحث: 02 أوت 2018.

تاريخ قبول البحث: 09 ديسمبر 2018.

مطلب أوجدته الضرورة التي كانت تستدعي الحجاج ممارسة أكثر منه تنظيراً. أمّا الفكر العربي المعاصر فيجد المفكر نفسه أمام ركام معرفي هائل ومعارف شتى، تتخللها بلاغة معيارية لا تتجاوز التعليم المدرسي، وبقي الحال على ما هو عليه حتى عصر النهضة الذي مسَّ مصر واحتكاك العربي بغيره، وحملات التعلمية التي قام بها علي باشا إلى دول الغرب، ممّا أدى إلى الانفتاح على الغرب عن طريق المثاقفة والترجمة التي أنتجت محاولات لقراءة التراث بآليات ومناهج غربية ممّا جعل الساحة العربية تنقسم بين مؤيد ومنكر وما بينهما.

كانت دراسة الحجاج وظهور البلاغة الجديدة على يد برلمان وتيتيكا من بين تلك المظاهر التي ظهرت على الساحة العلمية العربية، فوُجدت مدارس عربية عملت على دراسة الخطاب الحجاجي وتقنياته.

فماهي ارهاصات الأولى للخطاب الحجاجي في الساحة العربية؟

وما مفهوم الخطاب الحجاجي، وماهي توجهاته؟ وما هي تقنياته وأنواعه؟

المدرسة المصرية:

برزت جهود المدرسة المصرية في كوكبة من الباحثين منها دراسات أحمد الشايب وخاصة في كتابه الأسلوب: دراسة تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، وكان وراء صنع الكتاب قناعة راسخة بأن الأسلوب هو الوريث الشرعي للبلاغة لمختلف المستويات، وبعده توالت الدراسات البلاغية والأسلوبية، محاولة الاستفادة من الدرس النقدي الغربي، كل بحسب موقعه وطاقة صاحبها، لكن يلاحظ أن معظم هذه الدراسات غلب عليها الاهتمام بإعادة بعث التراث البلاغي القديم بدءا من الجاحظ ووصولا إلى السكاكي والقزويني والسيوطي، أي اهتمت بالتاريخ الذي قطعته البلاغة العربية من عصر التدوين حتى عصر التقعيد[1].

والمتتبع لحركة البحث في البلاغة المعاصرة داخل المدرسة المصرية سيجد أن كتاب "بلاغة الخطاب وعلم النص" لصلاح فضل يعد من بواكير المصنفات في حقل الدراسات النقدية المعاصرة والتي تهتم بدراسة الحجاج ورائدها برلمان، وقد كان يهدف لتبيان أوجه الإقناع في بعض الخطب العربية القديمة وخاصة في العصر الإسلامي، وكان هذا الاهتمام بالإقناع مرحلة دفعته إلى الانتباه إلى الحجاج[2].

1-1 صلاح فضل وجهوده:

الدكتور صلاح فضل مفكر وناقد عربي مخضرم الثقافة، جمع مع اطلاعه الواسع على حركة النقد والفكر العالميين، ثقافة عربية أصيلة وخبرة بالتراث العربي، وتشهد على ذلك مصنفاته وآراءه وإحالاته المتعددة المتنوعة إلى القديم والحديث والمعاصر في الثقافة العربية

والعالمية. نستطيع أن نقسم اسهامات صلاح فضل إلى ثلاثة مراحل: المرحلة البنيوية، المرحلة البلاغية النصية، المرحلة القرائية التحليلية(3).

1-1-1 المرحلة البنيوية: يعد صلاح فضل أول ناقد عربي يُدخل البنيوية بمفهومها الحديث إلى حقل الدراسات النقدية العربية المعاصرة في كتابه " النظرية البنائية في النقد الأدبي" والذي تناول فيه المنهج البنيوي نظريا. ولم يكن اهتمام صلاح فضل بهذا المنهج في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الدرس النقدي العربي إلاّ لوعيه بأن هذا المنهج ليس مدرسة أو حركة بل هو نشاط يمضي إلى ما وراء الفلسفة، يتألف من سلسلة متوالية من العمليات العقلية التي تحاول إعادة بناء الموضوع لتكشف عن القواعد التي تحكم وظيفته من جهة، وتقف على أهـم المفاهيم والمفاتيح التحليليـة في نص ما من جهـة أخرى(4).

وبنيوية صلاح فضل بنيوية متحركة ومتطورة تُطور الآراء المتناسلة منها، وتشهد على ذلك أعماله ومسيرته النقدية من البنيوية إلى الأسلوبية إلى بلاغة الخطاب إلى الشعرية إلى الدراسات التحليلية لمختلف الأنواع الأدبية وخاصة السرديات وثقافة الصورة، فهي بنيوية غير متحجرة وجامدة. فهي بنيوية واعية من بنيوية كلود ليفي ستروس الاجتماعية، والبنيوية الماركسية العلمية عند ألتوسير (Althusser)، والفينومينولوجيا عند بول ريكور، والسيسيولوجيا التاريخية عند ألان تورين (Alain Touraine)، والتحليل النفسي عند جاك لكان) Jacques Lacan (والنقد الأدبي عند رولان بارت، والتاريخ الاجتماعي عند ميشال فوكو (Michel Foucault)، والفضاء النص الأدبي عند جاك دريدا (Jacques Derrida) (5).

2-1-1 **المرحلة القرائية:** وبعد المرحلة البنيوية تحول الناقد إلى المرحلة التحليلية القرائية التي تميزت بالتنوع ومواكبة الجديد في حقل النقد العـالمي واندرجت أعماله النقديـة في المجالات والدوريات العربية والعالمية ومن كتبه في هذه المرحلة إنتاج "الدلالة الأدبية" و"أساليب السرد في الرواية العربية"(6).

3-1-1 **المرحلة البلاغية النصية:**

بدأت هذه المرحلة بكتاب "بلاغة الخطاب وعلم النص" وهو من بواكير المصنفات في حقل الدراسات النقدية المعاصرة التي تهتم ببلاغة الحجاج، وبرائدها برلمان وكان يهدف في كتابه بيان أوجه الإقناع في بعض الخطب العربية القديمة، حيث دفعته هذه المرحلة إلى الاهتمام والانتباه إلى الحجاج. كما عقد صلاح فضل مبحثا سماه **"بلاغة البرهان"** قدم من خلاله أهم الأفكار التي عرضها أصحاب النظرية الحجاجية خاصة عند برلمان فبيّن الروافد

المعرفية للنظرية وأدوارها الفنية، ويرى أن التيار الحجاجي يعبر عن غايات فنية اجتماعية وثقافية، وذلك من حيث الآليات التي بها يُدفع المخاطبون على تحقيقها وإنجازها وهذا ما جعل ظلاله النفعية حاضرة بنسب متفاوتة في المنهج التداولي والبنيوي. كما ظهرت اضافات صلاح فضل في تميزه في البحث البلاغي والأسلوبي، وتوسيعه لدائرة البلاغة المعاصرة لتشمل إلى جانب الأصول القديمة قضايا علمية كالذكاء الاصطناعي وعلمي النفس والاجتماع[7]. كما وقف عند موقع الاستعارة بين الدلالة ومؤثرات السياق وبين الدور الفعال للاستعارة يقول: «من الضروري أن نضع الاستعارة فوق خلفية فنون المحاكاة من جانب، وفنون البرهان المقنع من جانب آخر»[8]. كما بين خصائص الاستعارة المتعددة من حيث البنية والسياق والدلالات والتي منحتها أدوار حجاجية. ولم يكن صلاح فضل وأحمد الشايب إلا أفرادا من سلسلة فكرية كان لها صدى وجهد لا يمكن إنكاره، أمثال أحمد مطلوب وجابر عصفور وعبد السلام المسدي وغيرهم كثير.

2-المدرسة المغربية:

انقسمت المدرسة المغربية إلى ثلاثة أقسام على حسب الوظائف بين التوجه الفلسفي الذي يمثله طه عبد الرحمان والتوجه البلاغي الذي يمثله محمد العمري والتوجه اللساني الذي يمثله أبوبكر العزاوي.

2-1- الحجاج الفلسفي: يرتبط الدرس الفلسفي المعاصر ارتباطا وثيقا بالفيلسوف المغربي طه عبد الرحمان ولا يُذكر هذا الأخير إلاّ وذكرت الفلسفة والمنطق، عُرف عنه اشتغاله بالتداوليات والمنطق وهما عِلمان يندر المشتغلون بهما لخطورة شأنهما حيث أن موضوعهما "أداة" كل معرفة ممكنة[9]. ومن أعماله "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" و"اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" و"العمل الديني وتجديد العقل" و"تجديد المنهج في تقويم التراث" و"فقه الفلسفة" وغيرها من الكتب القيمة، محاولا وضع مشروع ليقظة فلسفة عميقة تتسم بالتكامل المنهجي بين الفلسفة وباقي العلوم، وبين الفلسفة ومجالها التداولي الذي تريد أن تحيا فيه، وبين الفلسفة والسلوك الأخلاقي للمتفلسف نفسه، أمام المعالم الكبرى لهذا المشروع فتتمثل في: مقومات منهج النظر إلى التراث، وأسس الحوار مع الغير، ونقل الحداثة، ووصل الفكر بمحيطه، ووصل الفكر بالأخلاق[10]. أما مفهومه لطبيعة الحجاج وآلياته يعرضها من خلال مصنفه "اللسان والميزان" و" في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" لذلك يُورد تعاريف مختلفة للحجاج، فيتحدث عنه باعتباره الآلية الأبرز للإقناع، وتارة بوصفه فعالية تداولية جدلية، ومرّة على أنّه فعالية استدلالية خطابية، كما أنّه فعالية فلسفية تداولية.

أولا: الحجاج: «هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق لـه الاعتراض عليـها»[11]. وهـذا يظهر إلى أن طبيعـة الخطاب لا تتحدد فقط في العلاقـة التخاطبية، بل للعلاقة الاستدلالية دور في ذلك يقول: «لا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة (المدعي) ولا مخـاطب من غيـر أن تكـون لـه وظيفـة (المعترض)»[12]، يرى طه عبد الرحمن أن الخطاب يضمر الوظيفة الحجاجية وتكون معلنة وبهذا لا يخلو من دعوة المدعي في إقناع المعترض.

ثانيا: يرى طه عبد الرحمن أن الكلام والخطاب والحجاج أسماء مختلفة لمسمى واحـد وهو: "الحقيقة النطقية الإنسانية" مرتكزا في ذلك على قول الجويني في كتابه "الكافية في الجدل" فالكلام والخطاب والتكلم والتخاطب واحد في حقيقة اللغة، وهوما به يصير الحي متكلما. لاحظ طه عبد الرحمن أن الحجاج يدل على العلاقة المجازية، من حيث أن المجاز هو الأصل في الحجاج، فالذي يحدد ماهية الحجاج إنّما هو العلاقة المجازية وليست العلاقة الاستدلالية وحدها، وحتى وإن تضمن الحجـاج علاقة استدلاليـة، فينبغي إرجاعها إلى العلاقة المجازية. يحاول طه عبد الرحمن أن يقرن بين الحجاج والمجاز ونجده يجعل حد المجاز، الحد نفسه الذي وضعه للحجاج يقول: «المجاز أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها»[13]. ومنه يجد الناظر أن العلاقة المجازية هي في الأصل الحجاج، وهي الفيصل في ضعف الحجج أو في منحها القوة التي تدعم موقف المرسل لتحقيق الإقناع. والمجاز ليس بمفهوم الانزياح اللغوي فقط، بل بمفهومه التناسبي، فالعلاقة التي يقيمها المرسل بين الحجة والدعوى هي علاقة يقيمها المرسل في خطابه على النحو الذي يراه الأنسب لتحقيق مراده، ويبين طه عبد الرحمن أن نموذج[14] العلاقة المجازية ينبني على علاقتين هما: العلاقة الاستعارية وقياس التمثيل. غير أن العلاقة الاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج[15].

ثالثا: الحجاج: فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب اخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة[16].

رابعا: هو مناط الحجاج الفلسفي التداولي الذي صورته المناظرة وهو: فعالية استدلالية خطابية مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو بطلان الرأي المعترض عليه استنادا إلى مواضعات (البحث عن الحقيقة الفلسفية)[17].

يرى طه عبد الرحمن أن جوهر الخطاب يقوم على العلاقة الاستدلالية، وليست ثمة علاقة استدلالية إلاّ بتحصيل قصدين: "قصد الاعتراض"* و"قصد الادعاء"** غير أن هذين القصدين قد يجيئا على مقتضى التجريد أو التفريق أو الجمع. ممّا يجعل العلاقة الاستدلالية على الأصناف ثلاثة بعضها فوق بعض.

2- 1-1- أصناف الحجاج:

2- 1- 1- 1- الحجاج التجريدي: هو الإتيان بالدليل على دعوى على طريقة أهل البرهان؛ علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يُعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها. وهو البرهان الذي يتعاطى فيه المحتج تقليد البرهان الصناعي.

2- 1- 1- 2- الحجاج التوجيهي: يفوق الأول رتبة وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل[18].

2- 1- 1- 3- الحجاج التقويمي: وهو أعلاهما مرتبة؛ ويقصد به إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطَب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يُلقى فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها مستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها[19]. كما تكلم عن أنواع الحجج ومراتبها، يمكن إجمالها في ثلاثة مراتب كبرى وهي: الحجة المساوية، الحجة العليا، الحجة الدنيا.

2- 1- 2 - أنواع الحجج: يذهب طه عبد الرحمن إلى أنه غالبا ما يستخدم لفظ "الحجة" مرادفا لـ "الدليل" عند البعض، بيد أنّه غلب على البعض الآخر استعماله بمعنى أخص، ويورد وجهين تختص بهما الحجة من دون دليل: أ-إفادة الرجوع أو القصد، ب-إفادة الغلبة.

2- 1- 2- 1- إفادة الرجوع: ذلك أن الحجة مشتقة من الفعل: حج، ومن معاني هذا الفعل معنى "رجع" فتكون الحجة أمرا نرجع إليه أو نقصده، ولا نرجع إليه أو نقصده إلاّ لحاجتنا إلى العمل به، فالحجة بهذا المعنى هي دليل الذي يجب الرجوع إليه للعمل به.

2- 1- 2- 2- إفادة الغلبة:

ذلك أن الفعل: حج يدل أيضا على معنى "غَلَبَ" فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجة، فيصير بذلك مغلوبا وهي ترد في سياق المناظرة والجدل. وانطلاقا من أن الحجة تعنى الدليل

الذي يقصد العمل به، لتحصيل الغلبة على الخصم، مع نصرة الحق أو نصرة الشبهة، فإن الدليل يكون أعم من الحجة، إذ لا يقصد العمل به فحسب بل قد يوضع لمجرد النظر فيه، كما لا يؤتى به إلا في موطن الرّد على الخصم فقط[20]. كما نلقى بعض الدارسين العرب يطلقون على لفظ "الحجة" تسميات أخرى مثل: الدليل، الاستدلال، البرهان إلاّ أن هذه التسميات من باب التوسع أو التجوز. وفي فصل **الاستعارة ومنطق الحجاج**: يرى طه عبد الرحمن أن الأسلوب الاستعاري من أقدر الأساليب التعبيرية على إمداد الخطاب بقوة التفرع والتكاثر وقد ظفر بالمعالم الأولى عند عبد القاهر الجرجاني في مفهوم الادعاء والتعارض[21].

في الفصل الثالث من الباب الثالث المعنون بالاستدلال في النص الخلدوني: بين فيه نماذج من التراث اللغوي المنطقي، ومظاهر الاستدلال الحجاجي الطبيعي والتداولي في النص الخلدوني[22].

2- 1- 3- كتاب في أصول الحوار وتجديد علم الكلام:

وضع طه عبد الرحمن في كتابه تعاريف موجزة بما توصل إليه، كما حدد هدفه في أن يكون الكتاب تمهيدا لممارسة علمية باللسان العربي في ميدان تحليل الخطاب، كما يشير أن استفادته من قسم التداوليات بأنواعها الثلاث: باب (أغراض الكلام)، وباب (مقاصد المتكلمين)، وباب (قواعد التخاطب)، كما سرد عدّة تعاريف للحجاج. يقول: «هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[23]. فهو كلام موجه إلى متلقي قصد الاستمالة والإفهام محفوظ له الرّد والاعتراض ويقول: «وحَدُّ الحجاج أنّه فعالية تداولية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية»[24]. وتختلف مراتب الحجاج أو المنهج الاستدلالي حسب السلوك التخاطبي للإنسان، وجعله طه عبد الرحمن على ثلاثة مراتب: الحوار، والمحاورة، والتحاور وهي تتناسق مع النظريات التداولية في مجال التحليل الخطابي وهي على التوالي: النظرية العرضية، والنظرية الاعتراضية، والنظرية التعارضية[25].

الاستدلال البرهاني:

ويتميز بخصائص صورية من تجريد وتدقيق وترتيب ومن تمايز للمستويات وبسط للقواعد واستيفاء للشروط واستقصاء للعناصر.

أما النظرية الاعتراضية للحوارية: العارض (المحاور) يستند إلى المنهج الاستدلالي وهو نموذج داخل إلى المجال التداولي، وكأنه يطوي الكثير من المقدمات والنتائج، ويُفهم من قوله أمورا غير تلك التي نطق بها وكأن يذكر دليلا صحيحا على قوله من غير أن يقصد التدليل به، وأن يسوق الدليل على قضية بدهية أو مشهورة هي في غنى عن دليل لتسليم بها، كل ذلك لأنه

يأخذ بمقتضيات الحال من معارف مشتركة ومعتقدات موجهة ومطالب إخبارية وأغراض عملية ويرى أن هذا المنهج هو سبيل احتجاجي لا برهاني يقيد في المقام التراكيب ويُرجح فيه العمل على النظر[26]. ومرتبة "التحاور" والنظرية التعارضية "تصور النظرية" فإن المتعارض أو المتحاور يعتمد منهجا استدلاليا وهو "التحاج" وتتمثل طرقه في أن يثبت المتحاور قولا من أقاويله بدليل ثم يعود ليثبته بدليل أقوى، أو يثبت قولا بدليل ثم يأتي ليثبت نقيضه بدليل آخر[27].

2- 2- **الحجاج في الدرس البلاغي:** ويمثله محمد العمري وهو من مواليد 1945 بسكورة جنوب المغرب وهو من أبرز البلاغيين العرب، ظهر عنده الاهتمام بمقولات البلاغة المعاصرة عامة والحجاجية خاصة، سواء من خلال ترجماته المتعددة لبعض رواد هذا التيار أو من خلال دراسته المبكرة لمظاهر الحجاج في الخطابة العربية[28].

ومن أهم كتبه في بلاغة الخطاب الإقناعي، موازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها، وترجماته المتعددة لجان كوهين، وهنريش بليث ومارسيلو داسكال، هذا فضلا عن ادارته لعديد من المجالات المتخصصة في الدراسات الأدبية والسيميائية واللسانية التي أكد من خلالها إحساسه بما للبلاغة والحجاج من دور في الخطاب الأدبي الفني المعاصر.

2- 2- 1- **كتاب البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها**

يرى العمري أن التراث البلاغي العربي لا يزال ممتدا في الوقت الراهن بقوة نظرا إلى عمق الأسئلة التي يطرحها وتماسك بنائه، فهو محاور تثير الدهشة من الجانبين من حيث الشمول والعمق[29]. وتبين الدراسة أن الباحث قد استفاد من نظرية التلقي حيث تبدو هذه الأخيرة بارزة، وذلك من خلال الانطلاق من "الأسئلة التاريخية" و"التوقعات" و"المشاريع المنجزات"[30] و"قراءة اللاحق لسابق" وغير ذلك من قضايا التلقي والقراءة، فالكتاب كما لاحظه كثير من قراءه كتاب نسقي، يرصد خطوط الطول والعرض في خريطة زمنية تمتد عبر القرون.

2- 3- **المعنى الحجاجي للتأويل عند محمد مفتاح:**

يعد محمد مفتاح من الجيل الأول من النقاد المعاصرين، وقد توفرت لديه ثقافة واسعة ومتنوعة من مختلف ميادين الدراسة الإنسانية. هذا الرصيد الثقافي المتنوع والرؤية النقدية المستقبلية جعلاه يتبنى مشروعا نقديا حضاريا سعى من خلاله لدراسة الثقافة العربية في تفاعلها مع الآخر[31].

يمكننا تقسيم مشروع محمد مفتاح إلى مرحلتين متمايزتين:

2- 3- 1- **مرحلة البلاغية التأويلية**: ويمثلها كتابه التلقي والتـأويل حيث تتعمق الأفكار فيه وترتبط بالحـركة الثقافية قديما وحديثا، لتجعل من التأويل فعلا حضاريا وممارسة فعلية بالغة العمق والتعقيد، يوظف فيها المؤول كل ما أمكنه وما لم يمكنه، لأن التأويل في النهاية هو بلاغة وصناعة واعية، والتأويل إذا كان بهذا المعنى فإنه يُعد فعلا حجاجيا.

ولعل هذا المعنى الحجاجي للتأويل هو الذي جعل محمد مفتاح يتبناه منهجا لمشروعه النقدي المعرفي الذي يرمي من خلاله إعادة قراءة التراث وبعثه من جديد[32].

2- 3- 1- **مرحلة التناص والمثاقفة**

ويمثلها كتابه "المفاهيم المعالم" و"مشكاة المفاهيم" وهي مرحلة تواصل للمرحلة السابقة؛ أي هي مرحلة التتويج الفعلي لمرحلة النقد المعرفي، وتبدأ هذه المرحلة بدراسة المفاهيم والتي يحاول من خلالها ايجاد تأويل واقعي لها باعتبار المفاهيم هي الضابط الموّجه للحركة في المجال الحياتي اليومي والمعرفي العلمي، وهذا ما يُعبر عنه بالشحنة المفهومية التي تقوى في مجال معين وتختفي في مجال آخر[33].

ومن جهة ثانية فإن للمفاهيم في حد ذاتها مستويات دلالية تتدرج بحسب السياق ويستعين محمد مفتاح في تحليله المفهوم بالمنهج النقدي للعلامة الذي يتبناه "**بيرس**" حيث جمع في تنظيره بين الظاهرآتية والذرائعية، فهو ظاهراتي من أنه يعتبر "الظاهرة" هي كل ما هو حاضر في الذهن بطريقة ما أو بأي معنى دون اعتبار ما إذا كان مناسبا لشيء واقعي أو غير مناسب له، كما أنه أيضا ذرائعي من حيث إنه يتخذ الغاية والمنفعة والعادة والمجتمع منطلقات لخلق الرموز والقوانين[34]. وهذه الأبعاد التي يحويها نموذج **بيرس**"... جعلت نموذجه حيا تستمر بعض مبادئه في نظرية الحقيقة والذرائعية والتداولية وفي البيولوجيا وفي علم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي بما يتناوله هذا العلم من مسائل الادراك والتعرف والفهم، وفي نظرية الأنساق العامة لنظرية التطور المعاصر»[35]. يبين هذا النص اتساع نموذج بيرس لاحتوائه لعديد من نظريات وذلك لطبيعته ومرونته.

2- 4- **الحجاج اللساني: أبو بكر العزاوي**

تأسست البلاغة الجديدة ذات الصبغة اللسانية في ما بين الخمسينات والستينات من القرن العشرين وتُعنى بنظرية الأدب والبحث في أدبية الخطابات والنصوص في ضوء المناهج الحديثة، كدراسات رولان بارت وتودوروف وجاكوبسون، كما تحتل دراسة الصور البلاغية مكانة هامة في الدراسات الأدبية والنقدية البنيوية والسيميائية، لأن الصورة تعتبر جوهر الأدب وبؤرته الفنية والجمالية. كما يُسخِر الأدب الصورة الفنية للتبليغ والتوصيل وإقناع المتلقي[36].

يمثل أبوبكر العزاوي رائد الاتجاه اللساني العربي لإسهاماته من خلال مؤلفاته وحواراته المختلفة التي يؤكد فيها أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية بقصد التأثير والإقناع، انطلاقا من المقولة العامة: «لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل»[37].

كما تمثل الدراسات والأبحاث والترجمات مشروعا علميا يفتح أفقا جديدا للدراسات الحجاجية واللغوية، كما يرى البعض أن كتابيه "الخطاب والحجاج" و"اللغة والحجاج" قراءة نسقية للمدارس اللسانية والحجاجية ودراسة مقارنة تعقد حدود التداخل والتخارج بين الحجاج والحوار واللغة.

2- 4- 1- اللغة والحجاج:

اللغة والحجاج كتاب من الحجم المتوسط يبرز فيه جهد البحث والإبداع وهو من أربعة فصول ومقدمة وخاتمة. تتحدث المقدمة عن دراسة وصفية للحجاج في اللغة العربية ويحاول من خلال دراسته تأكيد فرضية الطبيعة الحجاجية للغة. ثم يعطي تعريفا ضمنيا للحجاج؛ إذ هو انجاز المتكلم لخطاب يعتمد على آليات التقديم والترتيب والاستمالة والإقناع. واتسم الفصل الأول بالحجاج اللغوي والدلالات الحجاجية، بيّن فيه نظرية الحجاج في اللغة كما تعرض لمفاهيم ومصطلحات: كالحجة، النتيجة، الروابط، العوامل الحجاجية والسلم الحجاجي... الخ[38].

أما الفصل الثاني تحت مسمى "بعض الروابط الحجاجية في اللغة العربية" تكلم عن الروابط ذات الاستعمال الحجاجي مثل: حتى، لكن، بل.

وتكلم عن الاستعارة والحجاج في الفصل الثالث بَيّن مظهرها الحجاجي لبعض أنواعها، كما يرى أن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية مقارنة مع الأقوال العادية.

الفصل الرابع تكلم فيه عن "اللغة بين الانجاز والحجاج" وهي مقارنة بين الجوانب الاخبارية للكلام وجوانبه الإنجازية والحجاجية، محاولا إظهار سلطة اللغة وذلك من خلال نظرية أفعال الكلام ونظرية الحجاج في اللغة ثم خاتمة.

2- 4- 2- الخطاب والحجاج:

كتاب "الخطاب والحجاج" الذي عدّه امتداداً للمشروع العلمي الذي أطلقه كتابه السابق 'اللغة والحجاج. تناول فيه مسألة التحليل الحجاجي للخطاب من خلال مقاربة أربعة خطابات، الخطاب القرآني والخطاب الشعري والخطاب المثلي والخطاب البصري الإشهاري. وكان الهدف العام من وراء تلك الإجراءات التحليلية هو تأكيد حقيقة كون كل النصوص والخطابات التي تنجز بوساطة اللغة الطبيعية حجاجية، لكن مظاهر الحجاج وطبيعته ودرجته تختلف من نص إلى نص ومن خطاب إلى خطاب[39].

فالحجاج نجـده في القصيدة الشعرية والمقالة الأدبية والخطبة الدينية والمحاورة اليومية واللافتة الإشهارية والمفاوضات التجارية والمناظرات الفكرية وغيرها. والخطاب هو مجموعة من العلائـق الدلالية المنطقية القائمـة بين الجمل والأقوال إذ الحجة تستدعي الحجة المؤيدة أو المضادة لها، والدليـل يفضي إلى نتيجـة والنتيجة تفضي إلى دليل آخر، وكل قـول يرتبط بالقـول الذي يسبقـه ويوجه القول الذي يتلوه.

وقـد تطرق البـاحث إلى علاقـة الحجاج بالشعر وما أثارته هـذه العلاقة من مواقف عديدة ومتباينة، وكشف تمسكه بحضور الحجاج في الخطاب الشعـري الـذي لا يهدف إلى نقـل تجربـة فرديــة ذاتيــة فحسب، وليس لعبـا بالألفــاظ فقط. إنـه يهدف بالأسـاس إلى الحث والإقنـاع والتحـريض والحجـاج[40].

وبخصوص "الأمثـال" أشـار الباحث إلى عـدم صلاحية النموذج المنطقي والرياضي لدراسـة الخطاب الطبيعي واللغة الطبيعية بشكل عـام، وأكـد على بعض النتائج[41] التي توصل إليـها عبر دراسة الأمثال العامية المغربية من قبيـل اشتمالها على عـلائق دلالية عديدة مثل الشـرط والسببية والاستنتـاج والإثبات، وتنوع بنيـاتها النحوية والتركيبيـة بشكل كبير جـدا. ولما كان الإشهار مجــالا من مجالات الحجاج، فقد تطرق الباحث إلى ما أسمـاه الحجـاج الأيقوني الذي يستلزم إعمـال وسائل ومفاهيم وآليـات جديدة تعمل على توسيع إطار نظرية الحجاج اللغوي لتتمكن من دراسة سائر أنواع الخطاب بما فيها الخطاب البصـري والصـورة الإشهارية[42]. ويظهر في هذا النص اتسـاع ما يسمى بالحجاج الأيقوني وذلك بدراسته لكل أنواع الخطابات البصريــة والإعلانات. وفي نهاية الفصل، أشــار الباحث إلى بعض المشاكل التي تعترض مشروع التحليل الحجاجي والأهداف المرصودة من وراء إجرائه

3- المدرسة التونسية:

وُجد في المدرسـة التونسيـة أعلام فكرية استطاعت أن تضع بصمتها في الفكر العربي المعاصر أمثال حمادي صمود وعبد السلام المسدي وغيرهم، لا يتسع المقام لذكرهم، ويمثل حمادي صمود علمًا في النقد والبلاغة العربية حيث انقسمت حياته العلمية إلى مرحلتين، مرحلة عرفت بالقراءة النقدية انشغل فيها بالنظرية النقدية المعاصرة ومناهجها وروافدها القديمة والحديثة، أما اهتمامه بالحجاج تمثل في البحث داخل البلاغة وعن خصـائصها التي قد تمكنها من استيعاب مختلف خطابات العصر، إذ يعتبر الحجاج أدق مواضيع البلاغة يقول حمادي صمود: «أدق مواضع الدرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة إلينا»[43]. باعتبارها تستغل العناصر المؤيدة إلى فهم الخطاب.

3- 1- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم:

كوّن حمادي صمود نخبة من الدارسين الباحثين قصد النظر في " البلاغة والحجاج" بل في الحجـاج وعلاقته بالبلاغـة لأنه هـو الذي يبدو مغمـورا في التـراث البلاغي.

بدأ حمّادي صمود في كتابه المعنون بـ" مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح" يبيّن بإيجاز آراء أرسطو في الخطابة ومقوماتها وما طرأ عليها عبر العصور من تقلص، كما وضع إشكالية البلاغة العربية إشكالية محتواها وإشكالية قراءتها، ووقف في النهاية على ما طرأ حديثا على بلاغة العبارة من حصرها في عدد من العلاقات وعلى ما شاع[44] من بلاغة الإشهار. أما الكتاب الذي يليه لهشام الريفي "الحجاج عند أرسطو" الذي درس التراث فاستعرض في بحثه الطويل بما عبر عنه من آراء وتأويلات شخصية في قضايا التي كـانت موضـوع خلاف الدارسين والشراح فاستعرض آراء أفلاطون وأرسطو في الحجاج، كما اعتمد على أثار أرسطو من ناحية ومصنفات دارسيه قديما وحديثا، وخاصة أقوال الشراح من الفلاسفة المسلمين بما فتح له أفـاقا لم تتسن لغيره[45].

ثم أورد عبد الله صولة كتابا سماه "الحجاج: أُطُرُه ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة) لبرلمان وتكتيكاه"، كما حاول إخراج الحجاج من دائرة الجدل والخطابة، وتخليص الخطابة مما علق بها من اتهامات كالمغالطة والمناورة وممّـا يفضي إليـه الاستـدلال من وضع المخاطـب في وضع ضـرورة وخشـوع[46].

وقدّم شكري مبخوت المصنف الثالث وهو يندرج في تيار تداولي خـاص سمّي بالتداولية المدمجة القائمة على اعتبار الحجاج محكوما بقيود اللغة متأصلا في أبنيتها. وقـدّم محمد علي القارصي الكتاب الرابع وهو يؤسس نظرية المساءلة التي هي وظيفة الفلسفة في نظر مؤلفه وهذا يجرّه طبعا إلى النظر في مكونات الكلام وفي علاقة السؤال بالجواب وعلاقة الفلسفة بالخطابة والبلاغة. أما المصنف الخامس فقدّمه محمد النويري وموضوعه نقد الحجاج من خلال النظر في أصناف " البرالوجيسم" أو ما سماه العارض بالأساليب المغالطة.

3- 2- الحجاج عند حمادي صمود:

عمل حمادي صمود على تقصي بلاغة الحجاج الغربية حيث يعتبر بلاغة الحجاج أدق مواضيـع الدرس البلاغي لأنها تُعد أهـم مظهر تتجلى فيه خاصيـة التداخل المعرفي، فبلاغة الحجاج تقوم على استغلال جميع العناصر المجاورة (المساعدة في فهم الخطاب وتوصيله) . فالحجـاج هو «علاقة بين طرفين (أو عـدة أطراف) يتأسس على اللغة والخطاب، يحـاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقـابل جنسا من التأثير يوجّه به فعلـــه، أو يثبت لديـــه اعتقـــادا أو يميله عنه أو يصنعه لـه صنعا»[47].

كما توجد وسائل مساعدة تتعلق بالمتكلم وأخرى متعلقة المتلقي ومنها الخاص بالمقام، ومنها خاص باللغة لأن اللغة تمد المتكلم الحاذق بالأساليب الكفيلة بزحزحة المتلقي من موقعه ومنها كانت أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب ثلاثة: **البصر بالحجة** وهي حسن الاختيار والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج، حتى لا يجد المتلقي منفذا في استضعاف الحجة. والقسم الثاني هو ترتيب الحجج التي اختارها المتكلم فيضع كل واحدة في مكانها المناسب. وتعد العبارة هي القسم الثالث وهي الأسلوب الأمثل القادر على حمل تلك المضامين وتوصيلها على أكمل وجه[48].

ويرى صمود ظروف نشأة البلاغة اليونانية تختلف كلية عن ظروف نشأة البلاغة العربية. فالبلاغة اليونانية عند أرسطو تتوسط بين القول الجدلي والشعري، فمجالها الاختلاف والخلاف لأنها مبنية على الحجاج، فهو بنية احتمالية بين آراء متعددة وتكون الغلبة للمتمكنين فقط، في حين أن البلاغة العربية ظهرت تباشيرها في أحضان الشعر والتفوق في الشعر مبني على الإجادة في القول والتصوير وحسن الإيقاع بما يجلب الأسماع إليه ويُطرب السامعين.

ويستغرب الناقد من البلاغيين العرب القدامى لما درسوا إعجاز النص القرآني أرجعوه إلى «الشكل والهيئة وتصارف الكلام ولم يدر بخلدهم أن يأتي إعجاز القول أيضا من الحجج التي يبينها، والسياسة التي ينتهجها في ترتيبها لتتظافر مع الشكل والهيئة فيبلغ النص من سامعه قصده»[49]. ويزداد استغرابه عندما يتكلم عن البيان والتبين الذي يعتبر من أهم النصوص المؤسسة للبلاغة العربية، وقد كَتَبَهُ الجاحظ من منطلق حجاجي مناظراتي بهدف إقامة بلاغة للحجاج كانت تستدعيها البيئة لما نشب فيها من الصراعات المذهبية والفكرية، فوُجِد في كتابه اهتمام بأطراف العملية الخطابية من متلقي ونص ومتكلم، كما ذكر وظائف الخطابة منها (الاحتجاج على أرباب النِحل) و (البصر بالحجة والمعرفة بمواضيع الفرصة) لأن «سياسة البلاغة أشد من البلاغة، وعلى (الخطيب) أن يعرف كيف يضطر الخصوم بالحجة ويطبقهم بها لكن الغريب أنه لم يبق من هذا الفكر الذي يؤلف بين رافدين كبيرين في دراسة الكلام، هما الرافد الخطابي والرافد الشعري... إلا المقاييس المتعلقة ببلاغة النص من جهة ما فيه من حلية وزينة وشكل»[50]. كما أنه لا يستثني عبد القاهر الجرجاني الذي تميز بنزعته الجدلية في الدفاع عن مذهبه "الأشعري" لكنه لم يتجاوز تلخيص الأدلة الدالة على الإعجاز القرآني ومحاولة التوفيق بينها في إطار نظرية النظم التي جعل الالتزام النحوي (السلامة التركيبية) قوامها[51]. وهكذا أصبحت البلاغة مع تقدم الزمن صناعة للزينة والتباهي والزخرفة

اللفظية، "...وعلى هذه المفارقة ستعيش البلاغة العربية طيلة تاريخها باعتبارها احتفاءً بالشكل وتغيباً له في الوقت نفسه، اهتماما بالصياغة واللغة، وحرصا شديدا على وضوح المعنى»[52].

شهد العصر الحديث تطورات مهمة مست جوهر حياة الإنسان، وكان لابد من التوسل في بعض التطورات بالآلة البلاغية اللغوية لتحقيق أهداف معينة، ومن أهم هذه التطورات "...وإغواء الناس بالإقبال على السلعة بما يُستحدث فيها من تطورات إما في مظهرها أو في فاعليتها وهي تطورات مفتعلة ولكنها تُقدم في صورة مقنعة، فدخل العصر في بلاغة الإشهار، مما فتح الأبواب أمام عودة الخطابة، ورجوع وظيفة الإقناع والتأثير في صيغة لم تعرفها من قبل"[53].

وصارت هناك بلاغة تعتمد وتتعمد التأثير بأساليب مختلفة تقوم على بلاغة الصورة المرئية المبنية غالبا على الفكرة استعارية يشارك المتلقي (المشاهد) في فكها وفهمها ليكون اقتناعه بمضمونها أكبر. فنجحت وأصبحت متحكمة في أذواق تتحكم في توجيه اختياراتهم الشكلية والمضمونية.

وينهي حمادي صمود في دراسته إلى أن العودة القوية للبلاغة في عصرنا الراهن كانت نتيجة حتمية لتطور وسائل الاتصال الذي تَأكد معه كون البلاغة الأقدر على استيعاب خطابات العصر[54].

الخاتمة:

نستخلص من هذا البحث مجموعة من النتائج تمثلت في بروز الخطاب الحجاجي على ساحة الفكر العربي المعاصر إثر احتكاكه بالفكر الغربي وبظهور البلاغة الجديدة التي تعتبر انطلاقة جديدة للبلاغة تكملة لبلاغة أرسطو.

ظهور دراسات عربية درست الحجاج وتمسكت كل منها بتوجه خاص كالتوجه الفلسفي لطه عبد الرحمن، والتوجه اللساني لأبي بكر العزاوي، والتوجه البلاغي لمحمد العمري وهذا على مستوى المدرسة المغربية.

ظهور الحجاج كمنهج دراسة للنصوص الأدبية، لتشبعه بآليات واستراتيجيات تعمل على مقاربة النصوص.

دراسة الحجاج لكل الخطابات ولم يقتصر على دراسة الخطابات الثلاث لأرسطو (الخطاب المحفلي والاستشاري والقضائي) .

إظهار الفروقات الموجودة بين مصطلح الحجاج والبرهان والاستدلال.

الخطاب الحجاجي يعبر عن غايات فنية اجتماعية وثقافية، وذلك من حيث الآليات التي بها يُدفع المخاطبون إلى تحقيقها وإنجازها.

مراجع البحث وإحالاته:

(1) ينظر: محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط: 1، ص: 218

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص: 220.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص: 221

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص: 221

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص: 222

(6) ينظر: المرجع نفسه، ص: 222.

(7) ينظر: المرجع نفسه، ص: 234

(8) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 151-152.

(9) ينظر: محمد الهداج، طه عبد الرحمان والمهام العالقة، موقع الشهاب للإعلام https: //www chihab. net.

(10) ينظر: حسن اعبيدو، النظر التأصيلي والأفق الابداعي عند طه عبد الرحمان، الحوار المتمدن

(11) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، المغرب)، (بيروت، لبنان)، ط1، 1998، ص: 226

(12) المرجع المرجع نفسه، ص: 228

(13) المرجع السابق، ص: 235

(14) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، ص: 460-461

(15) ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص: 233

(16) ينظر: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، المغرب)، (بيروت، لبنان)، ط2، 2000، ص: 65.

(17) ينظر: المرجع نفسه ، ص: 226.

* الادعاء: أن يكون المدعي معتقدا صدق دعواه، وأن يكون له بينات عليها يعتقد صحتها وصدق القضايا التي تتركب منها هذه البينات، كما له الحق في أن يطالب مُحَاوِرهُ بأن يصدق دعواه ويقتنع بما يقيمه من أدلة عليها.

* * الاعتراض: أن يَرِدَ على دعواه سابقة، وأن يطالب المعترض المدعي بإثبات دعواه، وألا يُسلِمَ له عند تمام اقتناعه بصحة هذا للإثبات.

(18) ينظر: المرجع السابق، ص: 228.

(19) ينظر: المرجع نفسه، ص: 228.

(20) ينظر: المرجع نفسه ، ص: 137

(21) ينظر: المرجع نفسه، ص: 304.

(22) ينظر: المرجع السابق، ص: 393.

(23) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص: 231 .

(24) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 65.

(25) ينظر: المرجع نفسه، ص: 50.

(26) ينظر: المرجع نفسه، ص: 46.

(27) ينظر: المرجع السابق، ص: 287.

(28) ينظر: محمد سالم أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 287.

(29) ينظر: المرجع نفسه، ص: 259.

(30) ينظر: محمد العمري، المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، 11مارس www. medelomari. net 2006

(31) ينظر: المرجع السابق ، ص: 244.

(32) ينظر: محمد مفتاح، التلقي والتأويل: مقاربة نسقية، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1994، ص: 218.

(33) ينظر: المرجع السابق، ص: 249.

(34) ينظر: محمد سالم أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 250.

(35) محمد مفتاح، المفاهيم ومعالم، ص: 94-95.

(36) ينظر: جميل حمداوي، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، ص: 8.

(37) أبوبكر العزاوي، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، المغرب، ط: 1،2007، ص: 105

(38) ينظر: أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار البيضاء، المغرب، ط: 01، (1426-2006)، ص: 9-10.

(39) ينظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص: 17-18.

(40) ينظر: المرجع نفسه، ص: 25

(41) ينظر: زكرياء السرتي حوار حول الحِجَاج، 01-04-2013، ص: 2.

(42) ينظر: حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، ط: 01، 1999، ص: 08.

(43) حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص: 7.

(44) ينظر: المرجع نفسه، ص: 6.

(45) ينظر: حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص: 6

(46) ينظر: المرجع نفسه، ص: 7.

(47) محمد سالم محمد أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 276.

(48) ينظر: المرجع نفسه، ص: 276-277.

(49) حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص: 277.

(50) المرجع نفسه، ص: 112-113.

(51) ينظر: محمد سالم محمد أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 278.

(52) المرجع نفسه، ص: 265.

(53) المرجع نفسه، ص: 133.

(54) ينظر: المرجع نفسه، ص: 288.

القرائن اللغوية والعقلية في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم

(دراسة نقدية)

الدكتورة: فاطمة بوغاري

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

الملخص: لقد قدّم المفكرون الحديثين العرب في تعاملهم مع الخطاب القرآني مصطلح" القراءة" بديلا عن التفسير منهجا وهدفا، فاستقوا لذلك مناهج معاصرة من جملة ما أفرزته اللسانيّات الحديثة من مناهج نصانيّة، لكن المتأمل لكيفية استغلال هؤلاء الباحثين للغة يلاحظ افتقارها إلى المنهج في التعامل مع اللغة بما يتناسب مع طبيعة النّص القرآني؛ فنجد هذه القراءات تحمل الكثير من القلق والتناقض فيما تستعين به من قرائن لغوية وعقلية في عملية القراءة .نحاول من خلال هذه الورقة البحثية الوقوف على هذه القرائن بالتحليل والنقد في كتاب :الكتاب والقرآن لمحمد شحرور .

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني؛ القراءة المعاصرة؛ التأويل؛ ضوابط وقواعد التأويل؛ القرائن اللغوية؛ القرائن العقلية.

Linguistic and Mental in Clues in Contemporary Reading of the Holy Quran (critical study)

Abstract

Modernist Arab thinkers have presented the term "reading" as a substitute for interpretation as an approach and goal. They have resorted to contemporary approaches of modernist linguistics. However, the contemplators of how these scholars exploit the language note a lack of approach to dealing with language, that suits the nature of the Quranic text; we notice that these readings bear a lot of concern and contradiction in the use of linguistic and mental evidence in the process of reading. In this paper, we try to identify these evidence by analysing and criticising the book: The Book and the Qur'an by Muhammad Shahrour.

Keywords: Quranic discourse - contemporary reading - interpretation - rules of interpretation - linguistic clues - mental clues

---

تاريخ إيداع البحث: 14 نوفمبر 2018.

تاريخ قبول البحث: 09 ديسمبر 2018

توطئة:

معلوم أنّ ظهور مصطلح القراءة المعاصرة أو الحداثيّة، كان وليد تأثر الباحثين من العرب بفلسفات التأويل عند الغرب، وبناءً عليه كانت المناهج النصانية آلية تحليل، والنظريّات العلميّة والاجتماعيّة وحتى النفسانيّة أبعادا دلاليّة للنصوص؛ لكن بين الاستقراء والاسقاط، وبين الإفراغ والتلوين، تاهت خطا المفكر العربي المعاصر، وأصبحت بعض الدراسات شعارات فارغة من المنطق العلميّ رغم أنها تعانقه؛ ومن بين هذه الدراسات كتاب "الكتاب والقرآن" لمحمد شحرور، والذي حاول من خلاله تجديد المفاهيم السائدة في القرآن الكريم، ودعوة جهرية نحو إعادة قراءة القرآن قراءة عصرية.

إنّ المطلع على الكتاب خاصة مقدمته يتراءى له أنّ الكاتب يستند في قراءته المعاصرة للقرآن عل حجج لغويّة وعقليّة، وفق منهج علمي محدد؛ لكنّ متن الكتاب، ومعالجة الكاتب للكثير من المصطلحات القرآنية، والمسائل العلمية والشرعية، فيه الكثير من الاجحاف؛ بل محاولات بيّنة للي عنق النص تماشيا مع الفكر الحداثي. من هذا المنطلق نحاول في هذه الدراسة مساءلة شحرور عن القرائن اللغويّة والعقليّة التي يصرف من خلالها معاني الآيات، إلى مقاصده. من خلال طرح الإشكال الآتي: ما القرائن اللغوية والعقلية التي وظفها محمد شحرور في قراءته؟ وهل منهجه اللغوي لسانيّ؟

01- مفهوم القراءة عند الحداثيين:

تعددت مفاهيم القراءة في كتابات الحداثيين، فهذا المصطلح كما يقول علي حرب « بات يشمل أي معطى كان، ويتصدر مفردات الخطاب المتعلقة بالفهم والتشخيص أو التقييم والتقدير»[1]، فهو بذلك ينزع نحو النقد، ويصبح مرادفا للرؤيا النقدية؛ أمّا محمد الطالبي فالقراءة عنده رديفة لمعنى الاجتهاد حيث يقول: "لابدّ أن نوفر فضاء ثقافيا...يسمح بتطوير قراءة النص وهو ما أُصطلح عليه في لغة الفقهاء بالاجتهاد. »[2] لكن الإشكال الذي نطرحه على هذا المفهوم هو مشروعية هذا الاجتهاد المشبع بفلسفات وجودية مادية تلغي صاحب الوجود، مهما كان نوع الوجود، ولو نصا أدبيا؛ بل تقضي بموته؟!

أمّا عبد المجيد الشرفي فإنّ وجهة نظره تدفعه إلى تجاوز مصطلحي التفسير والتأويل إلى مصطلح القراءة، نظرا لقصور دلالتها، وسعة مصطلح القراءة للانهائية معاني القرآن فيقول: "لئن آثرنا تجاوز مصطلحي التفسير والتأويل إلى استعمال مصطلح القراءة فلأنّ التعامل مع النّص التأسيسي...يحتمل نظريا بحكم أزليته عددا لا متناهيا من المعاني، فسمة الإطلاق فيه تجعله يستوعب قراءات»[3]. فاختياره لهذا المصطلح يعود- بالإضافة إلى توجههم الحداثي في

مخالفة المعهود- إلى نظرتهم إلى النص القرآني؛ فهو «من أكثر النصوص حثا على القراءة واستدعاء لها، فهو فضاء دلالي وإمكان تأويلي وكلّ قراءة له هي اكتشاف جديد لأنّها ستكشف بعدا مجهولا من أبعاد النص، أو تكشف النقاب عن طبقة من طبقاته الدلالية»[4]

فالقراءة الحداثيّة للقرآن تهدف إلى إيجاد تأويلات لنصوص الآيات بحسب مقتضيات البيئة الثقافيّة ومتغيراتها الحضاريّة، وإلغاء الفهم السائد للنصوص الدينيّة. فاستقت لذلك مناهج معاصرة من جملة ما أفرزته اللسانيّات الحديثة من مناهج نصانيّة، بالإضافة إلى علوم أخرى كالأنثروبولوجيا، الفلسفة، التاريخ، وعلم النفس....وبذلك اتخذت القراءة المعاصر بعدا نقديًّا في توجهها نحو النص القرآني، فما عادت ترى في الدلالات الشرعيّة أو الملامح الإعجازيّة هدفا؛ بل المهم في قراءة الحداثيين كيفية انبناء الخطاب وطريقة تشكله وآلية اشتغاله بحيث تتساوى النصوص الدينية والبشرية كونها نصوصا لغوية[5]. وهذا من أهم خصائص القراءة الحداثية.

وإجمالا يمكن القول: إنّ القراءة المعاصرة أو الحداثية هي قراءة تبنى أصحابها فلسفات ومذاهب غربية بكل تياراتها الماركسية والاشتراكية والليبرالية.. تلتقي هذه التيارات في هدف واحد هو محاربة الرجعية.[6] حاول الحداثيون العرب تطبيقها على القرآن الكريم متجاوزين ما جاء به علماء التراث من تفاسير ودراسات، معتبرين أنّ ما جاء به علماؤنا القدامى طرحٌ لا يتجاوز المستوى الظاهر من النّص، ورأوا في المناهج الغربية بديلا عمليّا يسمح باستنطاق النص برؤيا حداثية متجددة!!

ظهرت بوادره هذه القراءة في أربعينيات القرن المنصرم مع مدرسة الأمناء "أمين الخولي، عائشة عبد الرحمن، محمد أحمد خلف الله". فقد بدأوا مخططات واقتراحات في قراءة النص القرآني عبر مناهج التحليل الأدبي، للوقوف على المكونات الأدبية والجمالية في النص القرآني، معتمدين على التفسير الموضوعي، كمظهر من مظاهر التجديد؛ لكنهم غير محملين بأعباء الفلسفة المادية، ولا رافضين للتراث؛ فلم يأخذوا من الحداثة غير مفهوم التجديد مفرغا من حمولته الفكرية والفلسفية الغربية، عكس أصحاب الفكر التنويري، الذين ظهروا وفي أواخر الستينات بعد نكسة حزيران توجهوا نحو قراءة النص القرآني بالاعتماد على المناهج الحديثة، قاطعين الصلة بالتراث. منهم: محمد أركون، نصر حامد أبوزيد، حسن حنفي، عبد المجيد الشرفي، وصاحب الريادة في وضع مصطلح "القراءة المعاصرة" محمد شحرور. الذي اخترنا كتابه "الكتاب والقرآن" للبحث في الأسس التأويلية التي اعتمدها في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم.

02-محمد شحرور والقراءة المعاصرة:

محمد شحرور مهندس سوري، مختص في الهندسة المدنية، له عدة دراسات إسلاميّة منها: دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع سنة، الإسلام والإيمان منظومة، ونحو أصول جديدة للفقه الإسلامي فقه المرأة، السنة الرسولية والسنة النبوية رية جديدة....وتندرج هذه الأعمال ضمن مشاريع حداثية تسعى إلى تقديم نظرة جديدة للقرآن لاعتمادها على رؤى جديدة ومناهج غير تقليديّة؛ حيث يعتبر نفسه أحد الرواد المجدّدين الإسلاميين، ساعيا إلى قراءة معاصرة للقرآن وعلومه، هادفا إلى حلّ مشكلة الركود والتأخر الذي يعاني منه الفكر الإسلامي عبر قرون متتالية، وقد أحدث كتابه "الكتاب والقرآن قراءة معاصرة" ضجة واسعة النطاق بين الباحثين والدارسين وكثرت حوله الردود*.

و في دراستنا النقدية هذه سنقف على بعض المسائل التي تناولها؛ من خلال المقارنة بين المفاهيم والأسس التي يطرحها كأسس لمنهجه العلمي، وبين تطبيقه لها في قراءته لبعض الآيات القرآنية انطلاقا من مفهومه للتأويل، والقواعد التي وضعها له.

01-02 -المنهج اللغوي في "الكتاب والقرآن":

تصدّر كتاب "الكتاب والقرآن" لمحمد شحرور، تقديمٌ للمنهج اللغوي في الكتاب بقلم جعفر دك الباب، يقول فيه هذا الأخير: "إنّ محمد شحرور قد توصّل إلى نتائج جديدة مغايرة لما هو سائد الآن في التراث العربي الإسلامي، ولبيان كيفيّة توصله لهذه النتائج لا بدّ من عرض المنهج اللغوي الذي تبناه المؤلف وهو المنهج التاريخي العلمي في الدراسة اللغوية".[7] وهو منهج طرحه جعفر دك الباب في دراسته: "الخصائص البنيوية للعربية في ضوء اللسانيات الحديثة". وقد استنبط أسس ذلك المنهج من مدرسة أبي علي الفارسي، والذي بلور نظريتها كلّ من ابن جني في "الخصائص"، والإمام الجرجاني في "دلائل الإعجاز". ويقوم هذا المنهج بما يتناسب وطبيعة النظام اللغوي على المبادئ التالية: [8]

1-بين النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ علاقة تلازميّة منذ نشأة الكلام الإنساني، وأول ما تكوّن في تفكير الإنسان العلاقة الذهنيّة بين الصوت وما يشير إليه، فكان نطقه للأصوات نطقا واعيا للتعبير عن أغراضه. [الوظيفة الإبلاغية للبنية اللغوية من المرتكزات الأساسية في نظرية الجرجاني، أمّا علاقة الأصوات بما تشير إليه نظريّة ابن جني اللغوية].

2-كلّ من التفكير الإنساني والنظام اللغوي لم ينشآ متكاملين طفرة واحدة؛ بل نشآ متوازيين وتدريجيا.

3- إنكار الترادف، والنظر إلى ما يُعرف منه في اللغة كمرحلة تاريخية قبل اكتمال النظام اللغوي هي فترة التعبير عن المحسوسات فقط.

4- يؤلف النظام اللغوي كلا واحدا، توجد المستويات المدرجة للبنية اللغويّة فيه في علاقة تبادل فيما بينهما.

وبناء على هذه الأسس اختار شحرور معجم "مقاييس اللغة "لابن فارس، واعتمده مرجعا هاما يستند إليه في تحديد الفروق بين معاني الألفاظ التي بحث فيها[9]. فإلى أي مدى كان شحرور موضوعيا في اعتماده على هذا المنهج؟ وهل ما جاء به في القراءة المعاصرة للقرآن طرحٌ يتناسب وطبيعة النص القرآني والمتغيرات البيئيّة والثقافية بشكل لا يتناقض مع المنطق العلمي والفطرة الإنسانية؟ أم هو انعكاس لفكر حداثي مميع؟

02-02-مفهوم التأويل عند شحرور:

يقول شحرور في تعريفه للتأويل: "فالتأويل مشتق من أول، وهذا الفعل من أفعال الأضداد في اللسان العربي؛ فنقول أول الأمر وهو عكس آخره، هذا في المعنى الأول وفي هذا جاء قوله تعالى" هو الأول والآخر" أماّ المعنى المضاد أي بمعنى آخر الأمر؛ فنقول: إنّ السرقة تؤول بصاحبها إلى السجن. هنا بمعنى تنتهي إليه الآية "أي ما يؤول إليه من قانون عقلي نظري أو حقيقة موضوعية مباشرة، فلدينا الآيات التي جاءت بصيغة نظريّة وعندما نؤولها نستنتج منها قانونا ينطبق مع العقل والحقيقة"[10]. ثم يضيف من الآيات التي جاءت في معنى التأويل، قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[11]

أي الراسخون الذين يعلمون النظريات والحقائق العلمية التي يمكن استنتاجها من الآية القرآنية، كل حسب الأرضية المعرفية. لعصره' حيث يمكن استنتاج نظريات علمية جديدة تعتبر قفزات هائلة في المعرفة الإنسانية مثل نظرية النشوء والارتقاء؛ لأنها تعد نموذجا حيا ممتازا للتأويل. [12]

السؤال الذي يمكن أن يطرح على شحرور في هذا السياق: ماهي القرينة اللفظية أو العقلية المعتمدة في ترجيحه لدلالة التأويل على القوانين العقلية والنظريات العلمية؟ والراسخون بمعنى كبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الكون والإنسان كما قال في موضع آخر؟[13]؛ أي إلى أي مدى كان ملتزما بقواعد التأويل التي سطرها؟

02-03-ضوابط وقواعد التأويل عند محمد شحرور بين التنظير والتطبيق (دراسة نقدية):

لقد حدد شحر ضوابط التأويل وقواعد في ستة ضوابط؛ وهي كالآتي:

القاعدة الأولى: التقيد باللسان العربي

بالإضافة إلى ما عرضه شحرور في مقدمة كتابه حول منهجه اللغوي المعتمد على اللسانيات الحديثة، وأنه اعتمد على أحمد بن فارس كمرجعية لغوية للسان العربي. يضع هذه النقطة -التقيد باللسان العربي- على رأس قواعد التأويل؛ محددا الأسس التي تنبني عليها هذه القاعدة، وهي[14]: خلو اللسان العربي من خاصية الترادف، وخدمة الألفاظ للمعاني، والمعاني مالكة سياستها على حد رأي الجرجاني، وابن جني. كما أنّ أي نص لغوي لا يفهم إلاّ على نحو يقتضيه العقل والمطابقة الموضوعية. والأساس الأخير الأخذ بيعين الاعتبار أصالة اللسان العربي، أي ضرورة معرفة فقه اللغة.

القاعدة الثانية: الفرق بين الإنزال والتنزيل

تناول شحرور الفرق بين مصطلحي الإنزال والتنزيل في الفصل الثالث من الباب الأول-الذِّكْر-، ويعتبر الفرق بينهما أحد مفاتيح التأويل[15]؛ ويتمثل هذا الفرق في: كون التنزيل هو عملية نقل موضوعي خارج الوعي الإنساني؛ أمّا الإنزال فهو: عملية نقل المادة المنقولة خارج الوعي الإنساني من غير المدرك إلى المدرك، أي دخلت في مجال المعرفة الإنسانية[16]. ويستند في تحديده لهذا الفرق إلى المعاني التي جاءت متعلقة بهذين الفعلين في القرآن الكريم، حيث جاء التعبير بهما (نزّلنا وأنزلنا)، عن القرآن، وعن المن والسلوى، وعن الماء، وعن الذكر، وعن الملائكة، وبعد ذكره لأجزاء من الآيات التي تتضمن الفعلين، يتساءل عن مدلول كل منهما في علاقته بموضوعه، ويرى أنه لفهم المصطلحين بشكل منسجم لا بدّ من وجود رباط منطقي بينهما مع مطابقة موضوعية للحقيقة[17]. ويحتجّ لفهمه هذا بقرائن منها:

-قرينة لغوية: تمثلت في التعدية بالهمزة في اللسان العربي؛ لكنه لم يربط بين التعدية ومدلول الآيات التي جاءت فيها صيغة (الإنزال) ؛ بل اكتفى بالتمثيل لذلك بالفرق بين البلاغ والإبلاغ، ذاكرا الآيات التي جاء فيها الفعلان، دون أن يعتمد على تفسير لغوي أو بياني أو موضوعي،

حجته العقلية: تمثلت في مفهومه السطحي للبلاغ والإبلاغ؛ حيث يقول: "عملية البلاغ هي عملية نقل من شخص إلى آخر دون التأكد من أنّ الشخص المنقول إليه البلاغ وصله الخبر، فعندما نقول إنّ هناك بلاغا من وزارة المالية إلى المواطنين في الإذاعة، فهذا البلاغ يتناقل إلى النّاس، ولكن لا يوجد أي تأكد من أنّ كل المواطنين المعنيين بهذا البلاغ قد وصلهم،

فعندما يصل محتوى البلاغ إلى إدراك ووعي كل مواطن مقصود بهذا البلاغ، يصبح إبلاغا"[18]. وعلى ضوء هذا المثال يوضح الفرق بين البلاغ والإبلاغ الذي جاء مسندا إلى الأنبياء والرسل.

لقد اعتمد شحرور على التمثيل من الواقع كوسيلة إقناع- كما رأينا سابقا- وحتى يوضح الفرق بين الإنزال والتنزيل، من حيث إنّ الأول هو دخول المادة المنقولة إلى مجال المعرفة الإنسانية، والثاني هو عملية نقل موضوعي خارج الوعي الإنساني (أي لا يمكن مشاهدتها وإدراكها) [19]. يمثل لهما بنقل مباراة حيّة في كرة القدم بين البرازيل والأرجنتين، يقول: "الآن لنناقش في هذا المثال أين الإنزال والتنزيل: عملية نقل المباراة الأصلية عن طريق الأمواج من المكسيك إلى دمشق هي التنزيل؛ لأنّ هذه العملية تمت خارج وعي المشاهد في دمشق والنقل حصل ماديا خارج وعي المشاهد بواسطة الأمواج، أمّا عملية دخول الأمواج إلى جهاز التلفزيون ليحولها إلى صوت وصورة، أي إلى حالة قابلة للإدراك من قبل المشاهد فهذا هو الإنزال" [20].

إنّ شحرور الذي يتبنى المنهج العلمي يأتي بهذه الأمثلة البسيطة من الواقع ليقيس عليها الفرق بين دلالة المفردات القرآنية!! وها هو بناء على ما سبق يقول عن الإنزال والتنزيل المتعلقان بالقرآن: "إنّ القرآن الموجود بين أيدينا ليس عين القرآن الموجود في لوح محفوظ وإمام مبين، وليست صيغته نفس الصيغة الموجودة فيهما، وإنّما هو صيغة قابلة للإدراك الإنساني (الإنزال) ثمّ التغيير في صيرورتها (الجعل) حتى أصبحت مدركة ثمّ وصلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي (التنزيل) والنبي نقلها آليا إلى الناس"[21] فالكاتب يرى أن بين الجعل الإنزال علاقة تلازم استنادا إلى التعبير عن عربيته بالصيغتين، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[22] وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[23] وينتهي شحرور إلى تحديد للفرق بينهما في القرآن بقوله: "الإنزال هو النقل من صيغة غير مدركة إلى صيغة غير مدركة، أما التنزيل فهو نقلة مادية حصلت خارج الوعي الإنساني كالنقل بالأمواج، ولكن حصلت عن طريق جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم على مدى ثلاثة وعشرين عاما". [24]

لقد أفاض شحرور في الحديث عن الفرق بين الإنزال والتنزيل، وجعل ذلك يشمل الكثير من المسائل في القرآن: الكتاب، القرآن، أم الكتاب، تفصيل الكتاب، الملائكة، المن والسلوى...لكنّه لم يتبع منهجا لغويا نصانيا _كم زعم في مقدمته_ كان يقف على دلالة بعض الألفاظ في اللسان العربي، دون ربط منطقي بينها وبين السياق الذي جاءت به. ليخلص في الأخير أنّ السابقين لم يصلوا إلى درجة فهمه هو للإنزال والتنزيل، من حيث إنّ التنزيل مرتبط بالوجود المادي وبالحقيقة الموضوعية، والإنزال مرتبط بالإدراك. [25]

بينما يقتضي المنهج اللساني الوقوف على الجذر اللغوي لهذين الفعلين، ثم تحديد الفارق بينهما من خلال صيغتي كل منهما، ومعناهما الوظيفي في التركيب بالنسبة لكلّ موضع جاءت فيه، والاستفادة من السياق لتحديد الفروق في المعنى؛ وإن كان لا بدّ من ذكر مثال واقعي فكان من الأجدر العودة إلى أسباب النزول، لأنّها المثال الحي الذي يتجلى من خلاله سبب الانتقاء للفظ عن آخر.

القاعدة الثالثة: الترتيل

الترتيل عند شحرور بمنزلة القاعدة الثالثة، ويعطي له مفهوما مغايرا لمعنى التلاوة؛ يقول: "الترتيل هنا هو أخذ الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد وترتيلها بعضها وراء بعض. والرتل في اللسان العربي هو الصف على نسق معين ولا يقصد الترتيل التلاوة ولا التنغيم"[26] فهو يقصد به جمع الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد وصفها في نسق معين للاستفادة من معناها، وهذا المعنى لا يتناقض مع منهج البحث العلمي في الخطاب القرآني؛ لكن المشكلة في دراسة شحرور هو استثماره لهذا المفهوم بطريقة تتماشى والفلسفة المادية التي يتبناها وليس مع طبيعة النص القرآني والمعاني التي يوحي بها. وهو ما يظهر للمطلع على الكتاب والقرآن لشحرور، (وهو ما سنراه لاحقا في تأويله لآية خلق الإنسان)

القاعدة الرابعة: عدم الوقوع في التعضية

يقول: «والتعضية هي قسمة ما لا ينقسم...والتعضية في القرآن تعني أن الآية القرآنية قد تحمل فكرة متكاملة وحدها أو فقرة من موضوع كامل، وبعد الترتيل مثل آيات آدم وخلق الكون، ونظرية المعرفة الإنسانية فإن جمع كلّ مواضيعها مع بعضها يُخرج الموضوع الكلي كاملا»[27]. ويمضي بشرحها والتمثيل لها من خلال تأويله لمسألة خلق الإنسان من نفس واحدة، وهو ما سنتعرض له في نماذج من القراءة الشحروريّة لآيات قرآنية.

القاعدة الخامسة: فهم أسرار مواقع النجوم

يرى شحرور أن مواقع النجوم المذكورة في قوله تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾[28] تعني فواصل الآيات لا مواقع النجوم في السماء، ويجب الانتباه لها لأنها "من مفاتيح تأويل القرآن وفهم آيات الكتاب كلّه، وبالتالي كلّ آية من آيات الكتاب كلّه تحمل فكرة متكاملة".[29] وقد وضع هذا المفهوم لمواقع النجوم على أساسين، الأول هو مفهومه للقرآن، والثاني المدلول الذي يراه في لفظ (قسم) .

فأمّا بالنسبة إلى القرآن شحرور يرى أنّ "القرآن قوانين لأحداث موضوعية، والموضوع الواحد جاء في عدة آيات".[30] فهو يقسم ما جاء في المصحف إلى كتابين: كتاب نبوة؛ وه والقرآن:

ويشمل على بيان حقيقة الوجود الموضوعي. وكتاب رسالة: ويشمل على قواعد السلوك الإنساني والفرق بين الحلال والحرام.[31]

وأمّا بالنسبة لتأويله لفظ "قسم" في سورة الفجر وسورة الواقعة، فلا يستند فيه إلى قرينة لغوية واضحة؛ فقد ذكر أنّ الآيات: ﴿**وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ**﴾[32] جاءت بهذه الفواصل لأنّ ذلك متعلق بمعنى "قسم" الذي أوّله-شحرور- بمعنى التقسيم؛ يقول: "فإذا أخذنا قاعدة عدم التعضيّة وهي أن الآية قد تحمل فكرة متكاملة، فكانت الفكرة في آية (والفجر) ثم (وليال عشر)، فتصبح (والفجر وليال عشر) لذا قال بعد ذلك (هل في ذلك قسم لذي حجر) أي أنّ ذا التقسيم للآيات مهم جدا لكل ذي حجر"[33] ويؤكد معنى التقسيم في كلمة قسم في تأويله للآيتين (76/75) من سورة الواقعة، حيث يقول: "هنا نرى أهمية مواقع النجوم وعدم التعضية، لذا قال عن تقسيم القرآن إلى آيات مفصول بعضها عن بعض، وهو عين التنجيم ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لاحظ مواقع النجوم في هاتين الآيتين، ففعل "أقسم" في الآية الأولى بمعنى القسم (اليمين) . وفي الآية الثانية لفظ (قسم) بمعنى التقسيم لذا تم الفصل بين الآياتين"[34]

على أيّ أساس أولها بمعنى التقسيم (التجزئة)؟! لم يذكر شحرور حجة لغوية، ولا قرينة عقلية لهذا التخريج. وإن كان المعنى اللغوي لهذا الجذر (ق س م) يدل أحد أصليه على التجزئة، والآخر جمال وحسن، والقسم اليمين كما جاء في المقاييس[35]. لكن بالعود إلى الخطاب القرآني نجد التقسيم جاء على صيغة صفة مشبه بكسر القاف في قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾[36] **وقوله: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾**[37]

وفي حديثه عن الميراث جاءت معرفة بالألف واللام، **قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾**[38]

أمّا بمعنى اليمين فجاءت في ثمانية مواضع بصيغة الفعل أقسم: الواقعة/75، الحاقة/38، المعارج/46، القيامة/1، 2، الانشقاق/16، البلاد/1. وتتفق التفاسير على أنّ قسم في سورة الفجر بمعنى يمين، يقول الطاهر بن عاشور: "هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ، جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْقَسَمِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ جَوَابِهِ أَوْ دَلِيلِ جَوَابِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ [الْوَاقِعَة: 76]. والِاسْتِفْهَامُ تَقْرِيرِيٌّ، وَكَوْنُهُ بِحَرْفِ هَلْ لِأَنَّ أَصْلَ هَلْ أَنْ تَدُلَّ عَلَى التَّحْقِيقِ إِذْ هِيَ بِمَعْنَى (قَدْ) . واسْمُ الْإِشَارَةِ عَائِدٌ إِلَى الْمَذْكُورِ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِ، أَيْ هَل فِي الْقسم

بذلك قَسَمٌ. وَتَنْكِيرُ قَسَمٌ لِلتَّعْظِيمِ أَيْ قَسَمٌ كَافٍ وَمُقْنِعٌ لِلْمُقْسَمِ لَهُ، إذَا كَانَ عَاقِلًا أَنْ يَتَدَبَّرَ بِعَقْلِهِ. فَالْمَعْنَى: هَلْ فِي ذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِمَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ لِلسَّامِعِ الْمَوْصُوفِ بِأَنَّهُ صَاحِبُ حِجْرٍ".[39] لكن شحرور لا يأخذ بما جاء في التفاسير، ويعتبر ذلك ضربا من التقليد تجاوزه العصر، لذا فهو يؤول بحسب قواعده!

القاعدة السادسة: قاعدة تقاطع المعلومات

تقضي هذه القاعدة بانتفاء التناقض بين آيات لكتاب كله في التعليمات والتشريعات، وأن ذلك يقوم على فهم قاعدة الإنزال والتنزيل، ثم مقارنة المعلومات والواردة فيهما[40]. لكن شحرور لم يفصل فيها ويبدو من خلال ما ذكر أنه يقصد المطابقة بين الإشارات العلمية أو الاجتماعية الواردة في الآيات وبين وجودها الحقيقي، وما تقوله فيها النظريّات والعلوم.

02-04- نماذج من التأويل عند شحرور:

- الراسخون في العلم:

احتج شحرور بمدلول عبارة " الراسخون في العلم" في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[41] أنها جاءت في معنى التأويل الذي هو ما تؤول إليه الآية من قانون عقلي أو علمي. ويقول في معناها: "وهنا يجب أن نفهم أنّ الراسخين في العلم هم مجموع كبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الإنسان وأصل الكون وعلماء الفضاء وكبار علماء التاريخ مجتمعين، ولم نشترط لهذا الاجتماع حضور (الفقهاء) لأنهم ليسوا معنيين-في رأينا بهذه الآية-لأنهم أهل أمّ الكتاب".[42]حجته في ذلك كلمة الصدور الواردة في قوله تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾[43] والتي فسّرها تفسيرا خاصا يتماشى مع تأثره بالفلسفة الغربية وروادها. يقول: "فمن هم الراسخون في العلم؟ لقد وضع الكتاب تعريفا لهم بقوله: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ هنا نلاحظ التشابه الكبير بين بقوله (في صدور الذين أوتوا العلم) فالصدر هنا ليس جوف الصدر ولا جوف رأس الجمجمة، وإنّما هو كما يقول الشاعر:

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين والقبر

فالصدر هنا تعني ما نقوله الآن (الصدارة) كأن نقول أنّ إسحاق نيوتن يحتل مكان الصدارة بين علماء الرياضيات، وإنّ أينشتاين يحتل مركز الصدارة بين علماء الفيزياء. فالراسخون في العلم هم من الناس الذين يحتلون مكان الصدارة بين العلماء والفلاسفة،

وهؤلاء من أمثال البيروني، الحسن بن الهيثم، ابن رشد، إسحاق نيوتن، آينشتاين، تشارلز داروين، كانت، هيجل".[44] هل ذكر العلم في هذه الآية دليل عل أنها تعريف للراسخين؟ أو لم يقرأ شحرور قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[45] هذا من جهة استشهاده بالقرآن؛ فمتى كان كانت وهيجل وداروين من المؤمنين؟! أولم تأت جملة (يؤمنون بما أنزل إليك) خبر المبتدأ (الراسخون) . هل فعلا هؤلاء مؤمنون بما جاء به محمد؟! وإن كان شحرور اعتبرهم كذلك حين قال عنهم: "إنّ هؤلاء الراسخين في العلم هم بالضرورة من المؤمنين، لأنهم يقولون: "آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا" (أم الكتاب والقرآن وتفصيل الكتاب) [46].

نرد على شحرور: لِمَ لَمْ تذكر الآية التاسعة والأربعين من سورة العنكبوت كاملة؟ لم حذفت جملة خاتمة الآية؟ حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[47] أليس فكرهم المادي ينكر وجود الإله؟! لقد وقع شحرور فيما نهى عنه وجعله قاعدة خامسة من قواعد التأويل، وهو ما عبّر عنه بفهم أسرار مواقع النجوم، أي الفواصل، وهو نفسه يقول: "فإذا نظرنا إلى آيات الكتاب والفواصل بينها رأينا أمورا عجيبة، ويزول العجب إذا فهمنا مبدأ الفكرة المتكاملة"[48].

أمّا من الناحية اللغوية فقد وقع شحرور هنا أيضا في تناقض مع القاعدة الأولى التي وضعها حين أوّل لفظة الصدور بمعنى الصدارة، دون قرينة لفظية، لأنّ المعنى الذي ذكره من المجاز، وليس معناه الحقيقي دون وجود قرينة، فبالعودة إلى ابن فارس (ت395هـ)، نجده يقول في معنى الصدر: " **(صَدَرَ)** الصَّادُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْوِرْدِ، وَالْآخِرُ صَدْرُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرُهُ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: صَدَرَ عَنِ الْمَاءِ، وَصَدَرَ عَنِ الْبِلَادِ، إِذَا كَانَ وَرَدَهَا ثُمَّ شَخَصَ عَنْهَا. وقَالَ الْأَحْمَرُ: يُقَالُ: صَدَرْتُ عَنِ الْبِلَادِ صَدَرًا، وَهُوَ الِاسْمُ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْمَصْدَرَ جَزَمْتَ الدَّالَ. وَأَنْشَدَ:

وَلَيْلَةٍ قَدْ جَعَلْتُ الصُّبْحَ مَوْعِدَهَا...صَدْرَ الْمَطِيَّةِ حَتَّى تَعْرِفَ السَّدَفَا

صَدْرُ الْمَطِيَّةِ مَصْدَرٌ.

وَأَمَّا الْآخَرُ فَالصَّدْرُ لِلْإِنْسَانِ، وَالْجَمْعُ: صُدُورٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46]، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ. فَالصِّدَارُ: ثَوْبٌ يُغَطِّي الرَّأْسَ وَالصَّدْرَ. وَالصِّدَارُ: سِمَةٌ عَلَى صَدْرِ الْبَعِيرِ. وَالتَّصْدِيرُ: حَبْلٌ يُصَدَّرُ بِهِ الْبَعِيرُ لِئَلَّا يَرُدَّ حِمْلُهُ إِلَى خَلْفِهِ. وَالْمُصَدَّرُ: الْأَسَدُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقُوَّةِ صَدْرِهِ. وَالْمَصْدُورُ: الَّذِي يَشْتَكِي صَدْرَهُ".[49]

أمّا المعنى الذي ذكره شحرور فهو من المجاز، وهو ما جاء في أساس البلاغة للزمخشري (ت: 538هـ): "ومن المجاز طريق وارد صادر: يرد فيه الناس ويصدرون. ورصفت صدر السهم وهو ما فوق نصفه إلى المراش. وسهم مصدر: غليظ الصدر. وطعنه بصدر القناة. وأخذ الأمر بصدره: بأوله، والأمور بصدورها. وهو يعرف موارد الأمور ومصادرها. وإذا أورد أمراً أصدره. وفلان يورد ولا يصدر: يأخذ في الأمر ولا يتمه، ورجل مصدر: متم للأمور. وصادرت فلاناً من هذا الأمر على نجح. وتصادروا على ما شاؤا. وهؤلاء صدرة القوم: مقدموهم. وصدر فلان فتصدر: قدم فتقدم. وصدر كتابه بكذا". [50] كما أنّ الشاهد-البيت الشعري- الذي استشهد به على هذا المعنى، ليس من الشعر الجاهلي، فهو من قصيدة "أراك عصي الدمع" لأبي فراس الحمداني، وهو من شعراء العصر العباسي. كما يجب أن تكون القرينة الصارفة لمعنى اللفظ أو المرجحة له من السياق اللغوي للآية، وليس من خارجها.

وشحرور في الكثير من المواضع يؤكد تناقضه مع ضوابطه؛ إذ يمكننا القول أن استعماله لعبارة (اللسان العربي) محاولة منه لاستغفال القارئ العربي، إذ يقدم ما هو مجاز على أنّه حقيقة.

-تأويل آية خلق الإنسان من نفس واحدة:

عرض شحرور قراءته المعاصرة لآية خلق الإنسان، حيث قام بإسقاط نظرية النشوء والارتقاء لدرواين على معاني الآيات، وتقول هذه النّظرية: «أنّ جميع الأحياء نشأت من أصل واحد، وتكونت بخلق الطبيعة وبالتولد الذاتي، لا بخلق الله وقدرته، وتتعارض بصورة جليّة مع الآيات القرآنية، وخاصة المتعلقة بخلق الإنسان مباشرة من طين، أو بدء خلق الكون بقدرة الله جلّ وعلا» [51]

وفي قوله تعالى: ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾ [52] يقول محمد شحرور في كتابه "الكتاب والقرآن": «هذه الآية تحمل فكرة متكاملة، فالفكرة هي تاريخ خلق البشر ومراحل تطوره حتى أصبح بالشّكل الذي نراه عليه الآن، وهذا الموضوع لا يمكن فهمه وإخراج نظرية نشوء الإنسان على الأرض إلاّ من خلال الترتيل أولاً، ثم فهم كلّ آية على حدة لأنّها تحوي حلقة كاملة في نظرية الخلق» [53] ثم يبدأ بإسقاط نظرية النشوء والتطور على الآية السّابقة، وهو يرى فيه إخراجا!

ويمضي بتأويل الآية؛ فيقول: «تبدأ الآية (خلقكم من نفس واحدة) أي أنّ أساس الخلق أحادي دون قانون الزوجية، فعندما وجدت الحياة على الأرض وجدت خلية واحدة تكاثرت عن

طريق الانقسام الذاتي لا عن طريق التلاقح الزوجي، وبعد ذلك تطورت وحيدة الخلية هذه لتصبح كثيرة الخلايا مع اختلافها بالنوع لذا قال: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[54]، وقد مرت الحياة حتى نضج فيها البشر بثلاث مراحل من الخلق (التصميم): المرحلة الأولى: المرحلة البحرية، المرحلة الثانية: المرحلة البحرية البرّية، المرحلة الثالثة: المرحلة البرّية»[55]، ثم يُسقط الكاتب هذه المراحل على عبارة (في ظلمات ثلاث)، يقول: «ففي ثلاث مراحل يوجد ظلمة: الظلمة البحرية، الظلمة البحرية البرية، الظلمة البرية (الرحم)، فحتى وصل الإنسان إلى الشّكل الذي نراه عليه الآن مرت الحياة العضوية على الأرض بهذه المراحل الثلاث، فكان الإنسان وليد المرحلة البريّة، وفي هذه المرحلة كان التكاثر زوجيًّا، أي عن طريق اللقاح بين الذكر والأنثى، أي كان الفصل موجودا بين الذكورة والأنوثة، لذا قال: (ثم جعل منها زوجها)، والجعل هو: التغيير في الصيرورة، و"ثم" هي للتعاقب مع التراخي، لذا فإننا نرى أنّ الجنين في بطن أمّه يمرّ بهذه المراحل الثلاث، وبما أنّ الفواصل الفعلية بين هذه المراحل عبر ملايين من السنين قال: (خلقا من بعد خلق) أي تصميما بعد تصميم، ولم يقل: (خلقا بعد خلق)»[56].

عندما تجد الكاتب يربط بين الدلالة اللغوية للأفعال والحروف ويُقحم من خلالها أفكار نظرية التطور على مدلول الآية يتراءى لك أنّه يتبع منهجا يتناسب مع طبيعة الخطاب القرآني، لكنّك إذا تأملت تخريجاته تجده يفكّك هذه الآية ويقدّمُ في تراكيبها ويؤخِّر حسب ما يتلاءم مع الفكرة الداروينية، وليس حسب ما يتوافق مع مدلول الآية، فتراه يُقدِّم عبارة (في ظلمات ثلاث) ويربطها بالعبارة الأولى (خلقكم من نفس واحدة) تماشيا مع فكرة نشأة الأحياء من خلية واحدة ومرورها بمراحل التصميم الثلاث، ويؤخر عبارة (ثم جعل منها زوجها) ويجعلها آخر مرحلة بعد تصميم الإنسان، ويستفيد من دلالة "ثم" ويجعلها رابطا بين جملتها وبين الظلمات الثلاث، ليؤكِّد زعم داروين، وزد على ذلك أنّه يُحَمِّل (خلقا من بعد خلق) الملايين من السّنين التي كانت بين مراحل التصميم –على حد تعبيره- ومدلول هذه العبارة واضح في الآية متعلق بما قبلها ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ»، فالآية إذًا متعلقة بمراحل تخليق الجنين.

ويواصل الكاتب البتر في الآية، فيتجاهل عبارة (لكم) في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**﴾ فقط ليثبت أن المرحلة الحيوانية، إحدى مراحل التطور في نشأة الإنسان، يقول: «والآن يظهر السّؤال التالي: متى ظهر البشر حيث ظهر على سلم التطور في المرحلة البرية؟ فيأتي الجواب مباشرة: ﴿**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**﴾، لاحظ قوله (وأنزل) ولم يقل (نزل) ؛ أي أنّ البشر ظهر نوعا مميزا بين الأنواع مع ظهور الإبل والبقر والغنم

والماعز، فتزامن ظهور البشر مع ظهور الأنعام، فإذا أردنا أن نبحث عن بداية ظهور البشر نوعا مميزا على سلم التطور والنشوء، فعلينا أن نبحث في مرحلة ظهور الأنعام على نفس السّلم، حيث كانت غذاءً له حتى وهو في مرحلته الحيوانية»[57] فأيّ منهج هذا الذي يدعو صاحبه إلى إتباعه، وهو يقوم بقص الآية وتجاهل بعض تراكيبها وإعادة تركيبها، فأين هو من قواعد التأويل التي حددها؟! أم أنّ مقتضيات العقل الدارويني هي الدافع الذي دفع بشحرور نحو بتر بنيات لغوية مفردة من الآية، والتصرف في ترتيب أخرى مركبة؟! فقد خرج عن قاعدة التقيد باللسان العربي، ووقع في التعضية.

-تأويل شحرور للمضغة في القرآن:

لقد تعرّض شحرور إلى مصطلح المضغة في سياق حديثه عن قانون صراع المتناقضات الداخلي في الشيء نفسه، واعتبره مما عبّر عنه القرآن بصيغة: (مخلّقة وغير مخلّقة) و(صنوان وغير صنوان)، و(متشابه وغير متشابه)[58].

وفي وصف المضغة بمخلقة وغير مخلقة في الآية الخامسة من سورة الحج في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾[59] **يقول شحرور**: "إذا نظرنا إليه وجدنا أنّها تحتوي على قانون أساسي هو قانون التطور (تغيير شكل المادة باستمرار) باتجاه واحد؛ أي بدأ خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة (خليّة) وبعد اللقاح تجتمع الخلية المنوية مع البويضة (علق شيء بشيء آخر) فتنتج العلقة وبعد ذلك يبدأ النمو والتكاثر الخلوي وتشكّل الأعضاء المختلفة وتشعّبها في المضغة".[60] ثمّ يذهب إلى معنى المضغة في اللغة؛ فيقول: "أصل المماضغة في اللسان العربي هو من: ماضغت فلانا مماضغة: جاددته القتال والخصومة. أي بعد العلقة تبدأ المماضغة وهي تجدد مستمر للقتال "الصراع" والخصومة المكونين للعنصرين للمضغة نفسها وهما العنصر المخلّق والعنصر غير المخلّق".[61]

أين هو محمد شحرور من منهج التحليل اللغوي، والاعتماد على المعنى المعجمي لمفردات القرآن كما جاءت في مقاييس اللغة؛ وهو في هذا الموضع يعتمد على أساس البلاغة للزمخشري، بعد أن بتر القول واختار ما يتناسب مع الفكر الدارويني؟!

بالعودة إلى أساس البلاغة، وجدنا الزمخشري يقول في معنى المضغة، مادة (م ض غ): "مضغ الطعام وغيره"، "وأسرع من مضغ تمرة" ورمى بمضاغته وهي ما يبقى في الفم مما يمضغ، وأطيب مضغة صيحانية مصلّبة وهي مقدار ما يمضغ من اللحم وغيره. وما ذقت

مضاغاً. وما في ماضغيه ضرس قاطع وهما منبتا الأضراس. ورصف القوس بالمضيغة والمضائغ وهي العقبة الممضوغة، ومن المجاز: هو يمضغ لحم أخيه، ورجل مضاغة للحوم النّاس. وهو يمضغ الشّيح والقيصوم إذا كان بدوياً. وماضغت فلاناً مماضغةً: جاددته القتال والخصومة".[62]

لماذا تجاهل محمد شحرور المعنى اللغوي، واعتمد المعنى المجازي وعدّه أصلا في لسان العرب؟! في حين أنّ المعنى اللغوي لمفردة مضغة على جميع المستويات (الصوتي، والصرفي، والدلالي)، يتوافق مع ما توّصل إليه العلم من حقائق علمية حولة هذه المرحلة من مراحل تكوين الجنين.

فإذا تتبعنا دلالة مضغة في القرآن الكريم؛ **نجدها** وردت في ثلاث مرات، في موضعين: في الآية الخامسة من سورة الحج، وفي الآية الرابعة عشرة من سورة المؤمنون؛ قال تعالى: ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[63]

ولغة: مضغة اسم مشتق على وزن فُعْلَة من مَضَغَ، و«الميم والضّاد والغين أصل صحيح، وهو المضغ للطّعام، ومَضَغَهُ يَمْضُغُهُ، والمَضَّاغ: الطَّعام، يمضغ والمضاغَةُ: ما يبقى في الفم مما يمضغ، والمضغة: قطعة لحم، لأنها كالقطعة التي تُؤْخَذُ فتمضغُ»[64]، وجاء في تهذيب اللغة: «مَضَغَ يمضَغُ مضغًا، لاك...والمِضَاغُ بالفتح: الطعام يمضغ، وقيل: هو المضغ نفسه...والمُضَاغ بالضمّ: ما مضغ، والمضاغة ما يبقى في الفم من آخر ما مضغته...والمواضع: الأضراس لمضغها، صفة غالبة...والمضغة: القطعة من اللحم لمكان المضغ أيضا: المضغة قطعة لحم، وقيل: تكون المضغة غير اللّحم...وقال خالد بن جنبة: المضغة من اللحم قدر ما يلفي الإنسان فيه، ومنه قيل في الإنسان: مضغتان إذا صلحتا صلح البد: القلب واللسان، والجمع مُضَغٌ، وقلب الإنسان مضغة من جسده، إذا صارت العلقة التي خلق منها الإنسان لحمة فهي مضغة»[65]. من خلال المدلول المعجمي لمفردة "مضغة" يمكن تحديد القيمة الدلالية لها كمصطلح استخدمه القرآن للتعبير في هذه المرحلة عن تكوين الجنين من الأوجه التالية:

أولاً: التّوافق بين صيغة (فعلة) في دلالتها على الصغر، وبين حجم المضغة أي مقدار حجم ما يلقي به الإنسان في فمه للمضغ في المرة الواحدة وبين حجم الجنين في هذه المرحلة، يقول هارون يحيى في كتابه معجزة خلق الإنسان: «عند انتهاء الأسبوع الثّالث للحمل تكون الخلايا المتكاثرة بفعل الانقسامات قد تحولت إلى قطعة من اللحم بقدر مضغة»[66]، وقد عبَّر الرّسول صلى الله عليه وسلّم عن القلب بالمضغة فقال: «ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب»[67].

وسبحان الله حتى هذه المضغة التي تحدث عنها الرّسول صلى الله عليه وسلّم، فإنّها أوّل جهاز يبدأ في العمل مع نهاية مرحلة العلقة، وبداية مرحلة المضغة، ففي «اليوم الثاني والعشرين يبدأ القلب دقته الأولى»[68]، وهذا من لطائف الإعجاز في خلق الإنسان وفي البيان القرآني.

ثانيا: التّوافق من حيث الشّكل: بما أنّ المضغ يكون بواسطة المواضغ أي الأضراس فلا بدّ من وجود آثار شكل هذه الأضراس على المضغة، وفي مرحلة المضغة الجنينية يبدأ تشكل أعضاء الإنسان على شكل نتوءات غضروفية، مما يعطيها شكل المضغة.

وبهذا تكون قد اجتمعت الدلالة المعجمية، والصوتية، ودلالة البنية الصرفية لهذه المفردة على تشكيل المفهوم القرآني للمرحلة الثالثة من تكوين الجنين؛ من حيث دلالة المعنى على الشّكل، ودلالة الصيغة على الحجم، أمّا دلالة الأصوات فتجمع بينهما؛ إذ انفصال العلقة عن جدار الرّحم على شكل قطعة لحم مرنة يدل عليه مجيء حرف الميم في أوّل تركيب المفردة، من حيث دلالتها على الانقطاع[69]، والمرونة المتأتية من مرونة مخرجها (الشفاه)، كما تدل بحركتها الصغيرة -الضمة- على حجم هذه القطعة، ثم تحدث شدة صوت الضّاد أثرا عليها لانطباق الأسنان على اللسان، فالضاد «صوت أسناني لثوي، شديد مجهور منفتح»[70]، وتسمح انفتاحيته مع رخاوة الصوت الذي بعده –الغين- بإحداث أثر أكثر عمقا دون فساد هذه القطعة، والغين صوت طبقي في مخرجه واستتاري في معناه[71].

إنّ هذه الدلالات تتفق مع الحقيقة العلمية لهذه المرحلة، فبعد تصوير المضغة تحت المجهر وجدوا أنّها أشبه بقطعة لحم ممضوغة، «وقد استعمل القرآن الكريم لفظ "مضغة" ليصف بها الجنين في هذه المرحلة، حيث يبدو كقطعة لحم حجمها بمقدار ما يمضغ، وهذه اللفظة تصف بإيجازٍ معجزٍ ساحرٍ شكل الجنين بالنسبة إلى: 1- حجمه. 2- شكله. 3- قوامه، فإذا ألقينا نظرة على الجنين، فإنّنا نجده يكون في اليومين الثالث والعشرين، والرابع والعشرين في نهاية مرحلة "العلقة" ثم يتحوّل إلى مرحلة المضغة في اليوم الخامس والعشرين والسادس والعشرين، ويكون هذا التحول سريعا جدا، ويبدأ في آخر يومين من مرحلة "العلقة" في اتخاذ بعض خصائص المضغة، فتأخذ الفلقات في الظهور لتصبح علما بارزا لهذه المرحلة»[72].

نقول لشحرور: إنّ كلمة مضغة في القرآن الكريم مصطلح علمي في علم الأجنة وليس مفردة فقط؛ فكيف تحملها مدلول الجدل والخصومة؟ ! قد تقول إنّ هذا نوع من التطور الذي تعرفه المفردة العربية، وبناء على مسلمتك التي تقول ب: "ثبات الصيغة وتغير المحتوى "[73]فإن مضغة تقبل هذه القراءة الجديدة؛ نقول: إن استخدام القرآن للعربية كان دقيقا إلى

حد تخصيص مصطلحات وليس مفردات لوصف الظواهر الطبيعية، والظواهر الحية، تأمل القرآن لن تجد المضغة بمعنى آخر فكل المواضع التي ذكرت فيها كانت في سياق الحديث عن مراحل تكوين الجنين. قد يقول قائل: إن شحرور لم يخرج عن وصف المضغة في هذا السياق؛ فنسأل لما يحملها قانون الصراع بين المتناقضات، وقوانين الجدل والخصومة، لما لم يحملها قانون التفاعل والتكامل بين العناصر الطبيعية وفق النواميس الكونية؟!

من خلال ما سبق يمكننا تسجيل النتائج الآتية:

- لم يعتمد شحرور على منهج لساني متكامل، يراعي التفاعل الدلالي بين المستويات اللغوية في الآية الواحدة.

- اعتماد شحرور الاستعمالات المجازية للمفردات العربية على أنها معان حقيقية في اللسان العربي، وتأويل الآيات على أساسها. وهذا لا يتفق مع قاعدة التقيد باللسان العربي، وضوابطها.

-وقوع شحرور فيما حذر منه: التعضية، وعدم مراعاة فواصل الآيات.

-استغلاله لقاعدة الفرق بين التنزيل والإنزال لإسقاط النظريات العلمية على الآيات القرآنية؛ ولا يجوز مقابلة آية قرآنية بنظرية علمية ما لم تكون حقيقة أُثبتت.

- ما كان يقدمه شحرور من أمثلة واقعية سطحي، وساذج؛ لا علاقة له بالمنطق العلمي ومنهجه، وفيه استهزاء بالعقل العربي، ولا يتناسب مع مكانة الخطاب القرآني.

- أنّ حججه العقلية غير مؤسسة على منطق علمي سليم، بحيث تغيب في كتابه الإحالة والدقة العلميتين، يكفينا في القول بعدم موضوعيته اعتماده نظرية النشوء والارتقاء في زمن أثبت فيه العلم بطلانها.

وفي ختام هذا البحث نقول:

إنّ محمد شحرور ينطلق من خلفية ماركسية متأثرا بالمنهج الجدلي المادي، الذي يرى أنّ المعرفة الإنسانية تنطلق من الواقع المادي القائم على صراع التناقضات الداخلي؛ [74] حيث يفسر الظواهر تفسيرا ماديا وهو ما يظهر جليا في قراءته لسور من القرآن الكريم، محاولا تقديم فهم جديد وعصري للقرآن ومعانيه، فحسب شحرور تتغير المعاني القرآنية وفقا لتغير الأحوال ويضرب مثالا للتشريع الإسلامي فهو عنده « تشريع مدني حنفي متطور يتناسب مع رغبات الناس ودرجات تطورهم التاريخي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ويقرأ بأعراف الناس»[75] وقد وظف الرياضيات ونظرية التطور الداروينية، وبما أنه مختص بالهندسة المدنية مازج

شحرور بين التأويل والهندسة في قراءته للقرآن. غير أن هذه الممازجة أوقعته في شبك الاسقاط اللاموضوعي للنظريات المعرفية والاجتماعية على آيات القرآن. فشحرور لم ينطلق في قراءته من النص القرآني ولم يراع خصوصياته. ولم يكن ملتزما بالمنهج اللغوي الذي اختاره، بل كان يختار من اللغة ومن اللسان العربي ما يعينه على اسقاط أفكاره على النص؛ فلم يكن هناك أي منهج لغوي محدد بل كان هناك وهم المناهج ووهم الحداثة.

لقد احتفى شحرور بكتابه، فتوظيفه لمصطلحات علمية ورياضية وهندسية، جعلته يشعر أن كتابه لا يوجد له مثيل وقد فاق الأولين، ولن يكون له شبه في الآخرين[76]، وهذه الثقة المفرطة بالنفس « جعلته يسقط في الوثوقية وينفي النسبية عن عمله وهذا موقف إيديولوجي صارخ»[77]، ورغم محاولة شحرور قراءة القرآن قراءة عصرية لتجد مكانا ضمن المنظومة الحداثية، غير أنّها تجاهلت طبيعة النص وسياقه الذي نزل فيه وهو ما جعل منها قراءة أسطورية تحاول حلّ إشكالية المقدس والدنيوي عبر موقف إيديولوجي مسبق[78].

إنّ ما وجدناه في كتاب شحرور يعتبر استغفالا للعقل العربي، من خلال توزيعه لعبارات اللسان العربي والمناهج العلمية على صفحات كتاب، كانت حججه اللغوية في معظمها مراوغة، يجنح في معظمها إلى المعنى المجازي، يقتص اللفظ والتركيب من مواضعه، ضاربا بذلك نظرية الجرجاني عرض الحائط لا متبعا لها، فكان بعيدا عن توخي معاني النحو، وعن مفهوم النظم، إلى الاجتزاء، والتلوين، والاسقاط.

فكيف يمكننا الرجوع بالخطاب الديني من التلوين إلى التأويل المؤسس على فلسفة قرآنية بحتة؟

مراجع البحث وإحالاته:

1 - علي حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005ط: 01، بيروت- لبنان، ص: 09.

2-محمد الطالبي، عيال الله، أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه والآخرين، ص: 68، ط: 02، دار سراس، 1992.، تونس.

3-عبد المجيد الشرفي وآخرون، في قراءة النص الديني، ص: 94، ط: 02،، الدار التونسية للنشر، 1990، تونس.

4-علي حرب، نقد الحقيقة، ص: 07.

5- علي حرب، نقد النص، ص: 11، ط: 2، المركز الثقافي العربي، 1995، الدار البيضاء، بيروت

6- ينظر: مفتاح الجيلاني، الحداثيون العرب ف العقود الثلاثة الأخير والقرآن الكريم، ص: 07

* *- من هذه الردود: - سليم الجابي، القراءة المعاصرة للدكتور محمد شحرور-مجرد تنجيم-، 1991، دمشق، سوريا، أيضا رد عليه أحمد عمران في القراءة المعاصرة في الميزان، دار النفائس، 1995، بيروت-لبنان، وكتاب بيضة الديك-نقد لغوي لكتاب "الكتاب والقرآن"، ليوسف صيداوي، دمشق، سوريا....وغيرها من الردود العديدة.

7-محمد شحرور، الكتاب والقرآن، د. ط/د. ت، مطبعة الأهالي، دمشق-سوريا، أيضا تهافت القراءة المعاصرة لمنير محمد الشواف، ط: 01، دار قتيبة، 2004، دمشق-سوريا، ص: 19، 20.

محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص: 24 8-

9-المرجع نفسه، ص: 24

10-المرجع نفسه، ص: 194.

11-آل عمران، الآية: 07.

12-محمد شحرور الكتاب والقرآن، ص: 194

13-ينظر-المرجع نفسه، ص: 192، 193

14-ينظر المرجع نفسه، ص:

15- المرجع نفسه، ص: 147

16-المرجع نفسه، ص: 149

17-المرجع نفسه، ص: 148.

18-المرجع نفسه.

19-ينظر: المرجع نفسه، ص: 149.

20- المرجع نفسه، ص: 150.

21-المرجع نفسه، ص: 153.

22- **سورة يوسف، الآية: 02.**

23-الزخرف، الآية: 03.

24- محمد شحرور، الالكتاب والقرآن، ص: 153.

25-ينظر: المرجع نفسه، ص: 147-163.

26-المرجع نفسه، ص: 197.

27-المرجع نفسه، ص: 198.

28-سورة الواقعة، 76/75.

29-محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص: 199.

30-المرجع نفسه، ص: 198.

31-ينظر: المرجع نفسه، ص: 55.

32-سورة الفجر، الآيات: 01-05.

33-الكتاب والقرآن، ص: 199.

34-المرجع نفسه، ص: 200.

35-ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مادة(قسم)

36-سورة النجم، 19-22.

37-سورة القمر، الآية: 28.

38-سورة النساء، الآية: 08.

39- محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر- تونس، سنة: 1984، ج/30، ص: 316.

40-محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص: 203.

41-سورة آل عمران، الآية: 07.

42-محمد شحرور، ص: 192

43-سورة العنكبوت، الآية: 49

44-محمد شحرو، الكتاب والقرآن، ص: 193.

45-سورة النساء، الآية: 162.

46-محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص: 193

47-سورة العنكبوت، الآية: 49.

48-محمد شحرور، ص: 199.

49-أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة(صدر).

50-جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1499هـ-1998م، ج/1، ص: 540.

51-إسماعيل عبد المعبود، الخلق بين العنكبوتية والداروينية والحقيقة القرآنية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، د. ت، ص: 175.

52 –سورة الزمر، الآية: 06.

53-محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص: 202.

54-سورة الإنسان، الآية: 02.

55- محمد شحرور، ص: 201.

56-المرجع نفسه، ص: 202، 203.

57-المرجع نفسه، ص: 203.

58-ينظر المرجع نفسه، ص: 226.

59-سورة الحج، الآية: 05.

60- محمد شحرور، ص: 226.

61-المرجع نفسه.

62-الزمخشري، أساس البلاغة، ج/02، ص: 226.

63-المؤمنون، الآية: 14.

64-أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة(مضغ).

65-محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، مادة(مضغ).

66- هارون يحي، تح: أورخان محمد علي، معجزة القرآن في خلق الإنسان، استانبول، 2003م، ص: 119.

67- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، ج01 /20.

68- هارون يحي، معجزة القرآن في خلق الإنسان، ص: /120

69-ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، الناشر: المكتب العربي الحديث، د ط، د ت، ص: 151

70- المرجع نفسه، ص: 143.

71- المرجع نفسه، 142، وينظر: ص: 150. وينظر: محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، د. ط، د. ت، ص: 260.

72 - محمد فيّاض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، الناشر: دار الشروق، القاهرة، ط. الأولى، 1999م، ص: 91.

73 – محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص: 190

74-المرجع نفسه، ص: 253

75- ينظر: المرجع نفسه، ص: 580

76- ينظر: المرجع نفسه، ص: 580.

77- عبد المجيد الخليقي، قراءة النص الديني محمد أركون، ص: 57.

78 –ينظر: نصر حامد أبو زيد، النص-السلطة-لحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب/بيروت-لبنان، ص: 115.

الأفعال اللغوية في اللغة القانونية
مرافعة جنائية أنموذجا

الطالبة الباحثة: هالة فغرور

جامعة الهضاب2 ـ سطيف ـ الجزائر

الملخص: أضفت نظرية أفعال الكلام على التداولية طابعا من التجلي خفي على كثير من الباحثين، بعد أن أهملت اللسانيات جانب المعنى في اللغة. إن ما ينعتونه "قمامة اللسانيات" لكفيل برد الاعتبار للمعنى، وإن ما قدمه" أوستين" لجدير بالاهتمام والتطبيق، خاصة أن المعنى متعدد، ففي لغة القانون تتعدد الخطابات، وتختلف من مقام لآخر، فالفعل القانوني له قوته الإنجازية التي يتميز بها عن باقي الأفعال. فالمرافعة لها لغتها الخاصة فلا يتم تطبيقها إلا من خلال الاستعمال الذي يكشف لنا تخصصها وتعددها المصطلحي الذي يزيد من غموضها وصعوبتها مما تكتسي تنوعا وهيبة ملموسين. وعليه، فالأفعال اللغوية في المرافعة تتفاوت من خلال قوتها الإنجازية، وقيمة المعنى تتجلى في تحديد معاني المصطلحات المتعددة، كما أن لغة المرافعة لغة لا تتحقق إنجازيتها إلا من خلال استعمالها واقعا.

الكلمات المفتاحية: القوة الإنجازية- المرافعة- أفعال الكلام-قمامة اللسانيات- المعنى.

Linguistic Acts in the Legal Language
Criminal prosecution as a model

Abstract:

The theory of verbal acts has added a character of transfiguration on deliberation hidden to many scholars, after that linguistics has neglected the side of meaning in language. the so called the "Linguistic Waste" was able to ensure consideration of the meaning, and what "Austin" has added is worthwhile and application, especially since the meaning can be multiple, in the language of the law speeches are multiple, and vary from one scene to another, the legal act has the strength of achievement that is distinct from other actions. The argument has its own language and can not be applied only through the use which reveals to us its specialization and the multiplicity of terminology, which increases its ambiguity and difficulty that give it a concrete variety and prestige. Therefore, the linguistic actions in the argument vary through the strength of achievement, and the value of meaning is manifested in the definition of the meanings of

تاريخ إيداع البحث: 18 أكتوبر 2018.

تاريخ قبول البحث: 12 ديسمبر 2018.

multiple terms, and the language of argument is a language whose achievement can only be perceived through its use.
Key words: Linguistic Waste; Action verbs; the meaning; talk; Advocacy

مقدمة:

لقد ساد التحليل الشكلي للغة مدة طويلة من الزمن، لاتصال اللغة بكثير من العلوم باعتبارها أداة لها، فاهتم كل من الفلاسفة واللغويون باللغة وأهملوا الاستعمال الذي يحدد المعاني السياقية للكلمات، فاهتمت التداولية بدراسة المعنى من خلال مقاصد الكلام، ومنها نظرية أفعال الكلام التي طورها "أوستن" و"غرايس" وسورل"، وهي تستند إلى حقيقة مفادها أن الجمل تؤدي وظائف مختلفة كلما اختلفت السياقات، والمقام يحدد هذا الاختلاف.

إن "بول غرايس "وتشارلز موريس" وغيرهما أعادوا قيمة المعنى وخاصة "أوستين "الذي أضفى جانبا أسمى بنظريته أفعال الكلام التي أبانت عن قيمته في الدراسات اللغوية.

حيث عالجت في هذا البحث إشكالية نظرية أفعال الكلام في لغة القانون، فالخطاب القانوني لا قيمة له إلا من خلال الاستعمال ما يبرر هذه المقولة هو صدور منطوق القرار في الجلسة وإلا تسقط الإدانة. حيث تتجسد إنجازية الفعل الكلامي. وعليه ما مدى إنجازية الخطاب القانوني؟ ما موضعية نظرية أفعال الكلام في لغة القانون؟

وعليه فالغاية من هذا تصنيف الأفعال الكلامية في اللغة القانونية، ومدى تعدد استعمالاتها. وهي لغة إنجازية بدرجة أولى من خلال المقام الواردة فيه.

ونظرية أفعال الكلام صالحة التطبيق لكل الخطابات. فالاستعمال هو الذي يمثل حقيقة هذه اللغة، فالجانب التداولي.

إن شمولية اللسانيات مع حقول معرفية أضاف للتداولية مكونا معتبرا من الاهتمام والاختلاف.

/التداولية:

أ/ المفهوم والنشأة[1]

شاع مصطلح التداولية "progmatique" في الأوساط اللغوية، وتداخل مع مصطلح آخر النفعية أو العملية "progmatique" لأن أصل اشتقاقهما من كلمة "pragma" التي تعني في الفلسفة الإغريقية "العمل" ولهذا تداخلت الترجمات أيضا لكن اللفظين مختلفين.

واستعمل هذا اللفظ أو المصطلح في الفلسفة الواقعية ـ مصطلح pragmatique من قبل الفيلسوف"شارلساندرس بيرس" 1905م" متأثرا بالمنهج التجريبي الذي ترأسه "إيمانويل كانت "kent، حيث عدل في مفاهيم هذا العلم " وليم جيمس" من خلال كتابه pragmatique وبحوثه الفلسفية، حيث استفاد علماء العربية من بحوثه كما اختلفوا في الترجمات وعليه فإن

"بيرس" درس العلامة وعلاقتها بمؤولها لهذا فرق بين ما هو عملي وما هو براغماتي (تداولي)، ومن ثم نشأ علم العلامات البراغماتي (السيمياء) على أسس فلسفية تأملية.

إن ما قدمه (أوستين) لا يقل أهمية، فقد طور نظرية أفعال الكلام وكان له الفضل الكبير في إرساء معالمها من خلال محاضراته "كيف ننجز أفعالا بالألفاظ" حيث جعل اللغة الفكر شيئا واحدا " quant dire c'est faire" ومن ثم ظهر علم اللسان التداولي.

فالتداولية اللسانية منهج غربي حيث تأثر بتيارات فكرية وفلسفية كالفلسفة التحليلية والواقعية والتجريبية وعلم الاجتماع والنفس وغيرها.

اختلفت التسميات أو الترجمات لـ pragmatisme بحكم المرجعية الفكرية والثقافية لكل قطر، فمثلا الحاج صالح ترجمها بـ "علم المقاصد" وهنا كما ترجمها بالذرائعية، والفوائدية والعملية والنفعية وغير ذلك أما المتوكل فترجمها بالتداولية واستحسنوا منه الباحثين هذا الصنيع وهناك من عرفها فنطقها: براغماتية، براغماتيك.

أولا: في المفهوم المعجمي: إذا عالجنا هذا المفهوم من الناحية اللغوية لوجدنا مصطلح التداولية مشتق من المادة المعجمية (دول) ذات الجدر الثلاثي، وهي تدل على التحول والتغير والتداول.

يعبر ابن فارس عن هذا المعنى، فالدال والواو واللام أصلان أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى مكان وتداول على وزن تفاعل التي تدل على نعدد الحال.

ثانيا: في المفهوم الاصطلاحي:

في الاصطلاح عرفها "بيرس" "pierce " بأنها جزء من علم العلامات* التي تعالج العلاقة بمستخدميها[(2)] وهي بهذا أوسع من المجال اللغوي، فالعلامة ذات طابع شمولي، حيث عالجها من جانب فلسفي محض حيث استفادت التداولية من هذا الجانب غير اللغوي، وقد نشأت في ظل الرمز والإشارة لتداخلها مع علوم المنطق وغيرها من العلوم.

رأى جرين (1989م) وبلكومور (1990م) أن التداولية تهتم بدراسة اللغة الطبيعية، ويرى كارناب carnap بأن التداولية قاعدة اللسانيات[(3)]، لأن اللغة جزء من علم العلامات (السيمياء)، والتداوليات تدرس ما فوق اللغة.

أي ظروف استعمال اللغة في المقام، وكيفية إنجازها والاهتمام بحال المتكلم والمخاطب، وما يتوفر فيهما حيث أولت التداولية عناية لعنصري المتكلم والمخاطب، فاعتبرهما (ليتش) ركنين لا استغناء عنهما[(4)]..

وهذا دليل لفهم حقيقة اللغة فما أهملته اللسانيات في الجانب الاتصالي أولته التداولية اهتماما، فلا بد أن يكون هناك تفاعل وذلك من خلال دراسة العلاقة بين اللغة

ومستخدميها[5]، ومن هنا تتجاوز اللغة الوظيفة الاتصالية إلى الوظيفة التأثيرية، وذلك من خلال الخطاب الملقى بين طرفي الكلام، وما يقتضيه المقام من شروط الاستعمال الذي هو أوسع من حصر اللغة في مباحث تقليدية لا تجدي نفعا كالنحو والصرف وغيرها.

والاستعمال يفرض التأويل غالبا لهذا عدت جزءا من السيمياء ونظرا لاهتمامها بالعلامة غير اللغوية.

لهذا يبقى الدرس التداولي يدين إلى "بيرس" فهو من الأوائل الذين اهتموا بالعلامة في إطارها الفلسفي ويعدها أساس النشاط السيميائي وهي أوسع من مجالها اللغوي، حيث يربط فهم اللغة بحال التواصل ويقرن المعنى بظروف الاستعمال[6].

وعليه فظاهر اللغة من ألفاظ حيزت للتواصل، أما عن المعاني المتشعبة عن المعنى الرئيس للفظ، فهي تخضع لظروف المقام أو الاستعمال ويعرفها "آن ماري ديير" و"فرنسوا ريكاناتي" بقولهما: التداولية هي استعمال اللغة في الخطاب[7]

نظرا لأن اللغة استعمال بين المتكلمين لعلامات خاضعة لقواعد الخطاب، فالتداولية لم يعتد بها في الدرس اللغوي بأنها قمامة اللسانيات[8] فهي تعالج ما يكون هامشيا.

ويدحض موشلار Mochler فكرة أن التداولية قمامة اللسانيات لاهتمامها بالمعنى دون اللفظ، بأنه عكس ذلك، فالمعنى هو الجوهر يقول:

(ce que la pragmatuique n'est pas une poubelle de la linguistique, et une composante de la linguistique pragmatique est une théorie du dix ours et s'oppose la linguistique de la phrase) [9]

فالتداولية ليست قمامة اللسانيات، إنما هي التي تكون لنا لسانيات تداولية التي تعنى بنظرية الخطاب (لسانيات النص) وتطرح لسانيات الجملة التي نادى بها دوسوسير.

ويردف القول عن الملفوظ بأنه وحدة لسانية.

(L'énoncé n'est pas une unité linguistique, mais pragmatique)[10]

واللفظ باعتباره معنى لا يظهر إلا حين استعماله، ويعني أن المعنى متجدد من حيث المقام الذي يقال فيه، بينما اللفظ يلزم حالة واحدة نحو كلمة "عين".

وأوجز تعريف للتداولية أنها "دراسة اللغة في الاستعمال" (in interaction) حيث يشير أن المعنى ليس أصيلا في الألفاظ، وإنما الاستعمال يصنع المعاني، وصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين طرفي الخطاب[11] فالاستعمال يضع اللغة وهي في نظر بانيني papini تعي نظرية معينة للحقيقة[12]. لطالما ارتبطت بمباحث فلسفية.

3- نظرية الأفعال الكلامية:

يمكننا تقسيم الأفعال الكلامية إلى أفعال إخبارية، وأخرى أدائية فالأفعال الإخبارية: وهي التي تصف وقائع العالم الخارجي وتكون صادقة أو كاذبة. أما الأفعال الأدائية، تنجز في ظروف ملائمة الأفعال ونقول عنها: موفقة أو غير موفقة[13].. والملائمة هي من الشروط المهمة لتحقيقها، والفعل الكلامي يتأثر بالمواقف التواصلية مما يؤثر المخاطبين لك.

ويعتبر"أوستين" من أبرز مؤسسي الاتجاه التداولي خاصة نظرية الأفعال اللغوية أو أفعال الكلام Les actes de langage أو Les actes parole.

هذه النظرية تنهض على فرضية مفادها أن الجمل في اللغات الطبيعية لا تنقل مضامين مجردة، وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات[14]

وعليه فاللغة تتحدد معانيها باختلاف السياق، فالكلمة الواحدة في سياق ما تعني معنى معنى ما أما السياق في سياق آخر فقد تنتقل إلى الضد في بعض الأحيان فالمقام أو السياق يعطي لنا معنى جديداً، وهو ما يحدد بالاستعمال، فمثلا: اللغة في التداولية عبارة عن أداء أعمال مختلفة في آن واحد، فعندما يتحدث المتكلم، فهو يخبر عن شيء أو يصرح أو بأمر أو يشكر[15].

ومفهوم "أفعال الكلام" من المسلمات "لأوستين" له دور رئيس في التحليل التداولي، فقد حدد أن الجملة الخبرية هي الجملة المعيارية والمتبقي من أنماط الجمل متفرع عنها[16].

ولما ارتبط القصد بالإخبار كان ذلك، والقصد مفهوم تداولي يرتبط باستعمال اللغة، وهو من سنن المواضعة نجد أوستين أفعالا لغوية وأحيانا أفعالا كلامية أو أفعال خطاب.

Austin ; cousider l'acte de langage parfois dénommé l'acte de parole ou l'acte de discours[17].

لذا يقترح "مانقونو" ثلاثة حقول للأفعال اللغوية: الحدث اللغوي والمتكلم والمستمع.

Maingeumeau il distingue trois espèces d'acte de langage l'acte locutoire la locution[18].

والتداولية بهذا تجيب عن كثير من الأسئلة من المتكلم وإلى من يتكلم، وماذا نقول حين نتكلم، وكيف تتكلم بشيء وتقصد شيء آخر؟

Plus remarquable est l'impossibilité de substituts pour les margeurs des position d'énonciateur ou de coénoncia teurou ne peut que répéter je ou tu je sais queje sais en retard[19].

والعبارات الملفوظة إنجازية عند أوستين على نوعين: إنجازية (مباشرة) فعلها ظاهر (أمر، دحض، دعاء) بصيغة الزمن الحاضر.

وإنجازية (غير مباشرة) فعلها غير ظاهر نحو: الاجتهاد مفيد (أقول)

الاجتهاد مفيد = آمرك أن تجتهد[20]

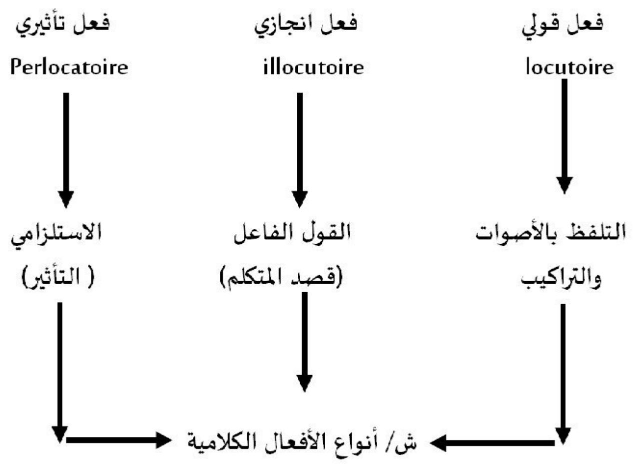

إذ تحتوي هذه العناصر الثلاثة على قوة إنجازية على أساسها ميز أوستين بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية وهي موضحة كالآتي:

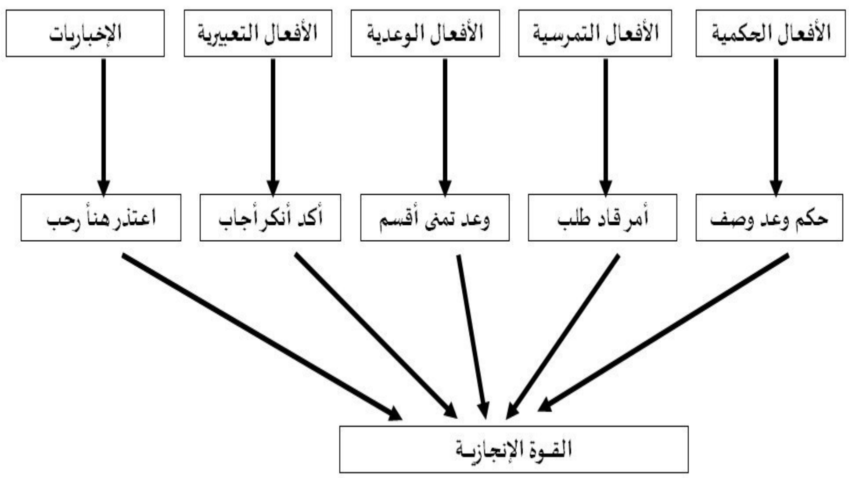

ش/ مفهوم القوة الانجازية عند أوستين Les actes de langages

نشأت نظرية الأفعال الكلامية ضمن ما يسمى بفلسفة اللغة لفجنشتاين، حيث تأثر "أوستين" بكتابة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ومنه ميز بين نوعين من الأفعال: أفعال إنجازية وأفعال إخبارية، ثم أتى بعده "جون سورل" تلميذه، فطور هذه النظرية وأعطاها دفعا قويا، ومن هذه النظرية نشأت التداولية.

4- أفعال الكلام عند سورل:

إن ما قدمه "سورل" من شروح من خلال تقديمه لشروط إنجاز كل ما فعل، وتحول الفعل من حال إلى حال أسهم في توضيح فكرة أفعال الكلام، فمثلا: الضجيج في الرواق، ولا نبغي ترك الباب مفتوحا.... فهو يأمر بإغلاقه[21].

نلاحظ أن سورل أعادة تقسيم الأفعال الكلامية ومن بين أربعة أقسام على عكسه أستاذه "أوستين" فقال بفعل التلفظ، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، الفعل التأثيري.

حيث أضاف الفعل القضوي الذي يقصد به الإحالي والجملي، ثم أعاد تصنيفها في خمسة أصناف[22].

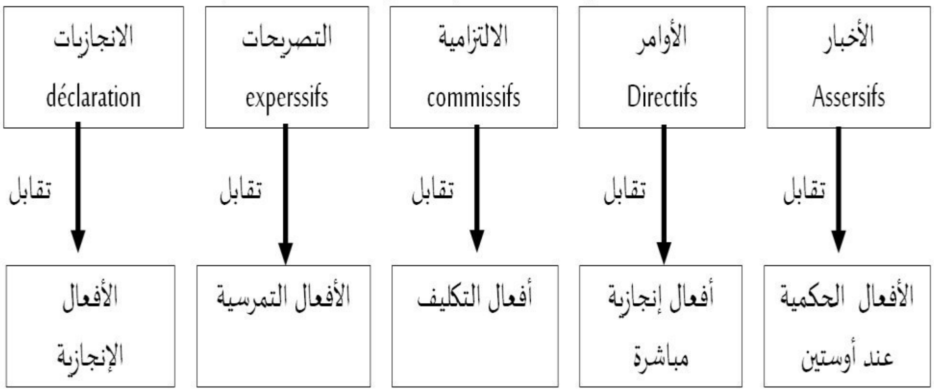

أصناف الأفعال الكلامية عند "أوستين" و"سورل"

هذه المقابلات لأصناف الأفعال الكلامية لدى "أوستين" وتلميذه "سورل" تختلف من التسميات لكنما المضامين واحدة.

الفعل الكلامي في الخطاب القانوني:

يشكل الخطاب القانوني اختلافا واسعا عن بقية النصوص العلمية الأخرى، إذ إن المرافعة وهي شكل من أشكال هذا الخطاب لها مميزاتها هي الأخرى إذا ما قورنت بلغة التشريع سواء في صيغها أو أحكامها أو أطراف الخطاب فيها.

والمرافعة تتميز بشفويتها ما يكسبها طابع الخطابية، عكس المرافعة المكتوبة التي يطلق عليها العريضة، فهي أقرب أن تكون نصا منه خطابا.

فالخطاب في المرافعة موجه إلى هيئة قضائية، فالمتلقي ليس شخصا عاديا، وطبقات المعنى مختلفة، وبهذا يتفاوت الفهم، كما وأنها تتطلب مجلسا، أي هي تطبيق واستعمال للغة في الواقع، هذا التجسيد أكسبها طابع أو صفة التداولية بمعنى تداولية الخطاب القانوني.

والخطاب القانوني فعل كلامي منجز، وتصنف إلى ثلاثة أنواع: فعل لغوي وفعل تأثيري، وفعل الإنجاز وهذا حسب ما قسمه أوستين بينما هناك الأفعال الإنجازية (المباشرة) و(غير المباشرة). حسب تقسيم "سورل"

فالفعل الوظيفي حسب "جورج يول" بأنه" ينجز عبر قوة اللفظ التواصلية" أي من خلال إنشاء جمل، ما يعرف بالقوة الوظيفية وهي ما سماها أوستن بالقوة الإنجازية، بينما الفعل التأثيري هو الذي يرتكز على القوة الإنجازية أو الوظيفية أي التأثير الذي يحدثه الفعل.

وعليه فالفعل الكلامي أنواع: فعل لغوي أو فعل القول، وفعل الإنجاز، وفعل ينتج عنه والفعل التأثيري، وهو الغرض الذي يترتب عن الفعل الناتج.

وهناك من الأفعال ما يحمل هذه القوة الإنجازية الذي بها يتحول إلى فعل منجز ، أي ما يجعل القول فعلا.

مقطع من المرافعة[23]:

-أقوال الضحية صادقة اليوم، نجد الكلام نفسه الذي قاله أمام قاضي التحقيق
-كله مدون في المحضر سيادة الرئيس
- الوالدة أعطتك أشياء لتوصلها

تصف الجمل واقعا محددا سواء أكان حقيقة أم خيالا، متمثلة في أقوال الضحية صادقة-الكلام كله مدون-إيصال جميع الأشياء، وهذا ما يحتمل الصدق والكذب، كما أنه راجع إلى الواقع المشار إليه، ولهذا فإن هذه الجمل في المثال (1) هي جمل وصفية.

تمتاز باحتمالية الصدق أو الكذب، وهذا يفترض وصف واقع حقيقي فعلي أو متخيل في العالم الخارجي.

ويمكن أن تكون العبارات الوصفية إنجازية، بإضافة المكون الضمني(أقول) في بداية كل عبارة نحو: أقول: أقوال الضحية صادقة اليوم، بمعنى(أؤكد ذلك)، وهذا ما ذهب إليه "سورل" في الأفعال الإنجازية المباشرة.

مقطع من المرافعة[24]:

-سيادة الرئيس
-فقمت بحبس(إ. ل) في مكان مهجور
-المتهم لا يبرر ولا يخفي الحقيقة، صرح واتصل

فلو قارنا المعطى الثاني في المثال(2) بالمعطى في المثال الأول نجد العبارات أو الجمل مختلفة تماما، فهي لا تصف الأحداث، ومنه لا يمكن القول بصدقها أو كذبها، فالجمل في المثال الثاني مجر التلفظ بالقول يعتبر فعلا لغويا، فهي دالة على تلازم الفعل بالقول.

ويمكن أن يكون الفعل عبارة عن استفهام أو تمن أو نداء أو أمر، ومنه أن يكون طلبا، وهذا الفعل في ذاته مكون لمعاني العبارات.

فالتلفظ بالعبارات يجعل منها أفعالا، ويعتبر المعنى أحد مكوناتها، فالفعل جزء من المعنى، ومنه فإن هذه الجمل أو العبارات لاتصف الواقع، ولا تحتمل الصدق أو الكذب، إنما هي قول منجز، أي فعل كلامي، ويمكن أن نصطلح عليها الجمل الإنجازية.

لابد أن تكون الجملة أو العبارة إنجازية أن تتوفر على ثلاثة شروط نلاحظه:

-سيادة الرئيس: فعل إنجازي من قبيل النداء، فالتقدير يا سيادة الرئيس.

-قمت بحبس(أ. ل) في مكان مهجور: الفعل(قمت) ينتمي إلى مجموع الأفعال الإنجازية من قبيل(فعلت).

الفاعل في هذه الجملة هو(المتهم) بينما المتكلم هو(المحامي) فهي لا تمثل الفردية ممن يقولها.

وأما زمن الفعل(قمت) هو الزمن الماضي.

ومنه، فإن شروط العبارة الإنجازية غير متوفرة في هذه الجملة، وهي غير موفقة، فنلاحظ اختلال شرطين هما: أن الفاعل ليس هو المتكلم، ففاعل الفعل (قمت) ليس هو المتكلم أو المتلفظ بالجملة، وزمن الفعل المستعمل غير زمن الحاضر.

يتحدد نجاح العبارة الإنجازية بأن نقول موفقة أو غير موفقة من خلال هذه الشروط، إذا اختلت سقطت إنجازيتها.

-لولا القدر لقتله حقا: فالقتل هنا لم يقع لتدخل القدر، فهناك شرط منع من ذلك، فهي إنجازية غير مباشرة تفهم ضمنيا، فالفاعل ليس هو المتكلم، إنما المتهم هو (القاتل)بينما المتكلم هو(المحامي).

قد تحتوي الجمل الوصفية على قيمة إنجازية بإضافة القول الإنجازي(أقول) لها، فمثلا: أقول، أقوال الضحية صادقة اليوم، نج الكلام نفسه... فالفعل الإنجازي في العبارات الوصفية غير صريح.

فالجمل الوصفية تحمل في ذاتها قوة إنجازية ما يجعلها إنجازية، فيمكن أن نقول بأنها جمل إنجازية غير مباشرة، بينما هناك عبارات إنجازية نحو: ألتمس بعد إدانة المتهم تسليط أكبر عقوبة، فالفعل(ألتمس) فعل إنجازي باعتباره يحقق قوة إنجازية.

القوة الإنجازية لعبارة وصفية: الضحية محتجز ومكبل، يمكن أن نجعل منها عبارة إنجازية، فعلها إنجازي. فنقول: أقول: الضحية محتجز ومكبل، فتصير الجملة إنجازية.

ويمكنها أن تكون: استفهاما، أونداء، أو تعجبا من خلال النبرة الصوتية المختلفة فنقول:

الضحية محتجز ومكبل

الضحية محتجز ومكبل — **الضحية محتجز ومكبل!** — **الضحية محتجز ومكبل؟**

فالذي يرى هذه الجملة لا يعرف إن كانت سؤالا أم خبرا أم تعجبا، فقوة القول هي التي تحدد معنى العبارة الوصفية، والنبرة الصوتية هي التي تحدد إن كانت هذه الجملة كذلك.

العبارات الإنجازية ← **إنجاز/مباش: أرجو أن تعطوه فرصة**

← **إنجا/غ/مباش:أجبرته الظروف**

فلو قمنا بالمقارنة بين الجملتين لوجدنا فعلها" تعطوه" أو "أرجو" بصيغة الحاضر، ففي الجملة الثانية فعلها أجبرته" فعل بصيغة الماضي، فالأولى مباشرة والثانية غير مباشرة تفهم من سياق الكلام.

العبارات الإنجازية ← **أعاتب الضحية**

← **المجرم الذي قام بإشعال النار**

نلاحظ أن الجملة (أعاتب الضحية) جملة إنجازية مباشرة بدلالة الفعل "أعاتب" صيغة الزمن الحاضر كما أن فعلها ظاهر وصريح، بينما الجملة الثانية فعلها جاء بصيغة الماضي.

مقطع من مرافعة[25]:

-ألا يصدق كلامهم؟
-المتهم لا يبرر ولا يخفي الحقيقة
-حذار يأتك الأذى من طرف المتهم
-لماذا لا تشتكي؟

لم يؤذيه(ي. إ) ركب معه فقط ووضعه في الدشرة

البنية الصوتية للجملة (1) تتألف من: أ. ل. ا. ي. ص. ق. ك. ل. ا. م. هـ. م، والتأليف بين الكلمات يعتبر تركيبا: لماذا لا تشتكي؟ في مقابل: تشتكي-لا-لماذا-؟، والفعل الدلالي: أحمد الله على براءتي، فالحمد هنا فعل، والله لفظ جلالة(فاعل)، الذي قام بالتبرئة هو الله، فلا يمكنك

حمد غيره كالبشر أو الجمادات، فالفعل "حمد" دلاليا يتطلب فاعلا ومفعولا به، ما يسمى الدلالة المنطقية.

فعل النفي: لا يبرر- لا يخفي.

عبارات التحذير: حذار

فعل الاستفهام: ألا يصدق كلامهم؟ لماذا لا تشتكي؟

فعل الجزم: لم يؤذه

ما يميز هذه العبارات أنها كلها عبارات منجزة، فالتلفظ بها هو الإنجاز الفعلي لها، ففي قوله "لماذا لا تشتكي" فعل قصدي، فالمتكلم يقصد كلاما هو الدليل على قيامه بالجريمة أو اشتراكه في ذلك. مثلا: المتهم لا يبرر ولا يخفي الحقيقة" فيه نفي، إسناد عدم التبرير والإخفاء للمتهم، لكن لا نفهم قصد المتكلم، هل يريد إبلاغنا نفيه أو تأكيده أو تمويه حقيقة، إنما من خلال السياق، يفهم أن: المحامي يدافع عن موكله، وما دام بريئا، فهو يحتاج إلى تبرير أو إخفاء، فالحقيقة واضحة.

الجملة: ألتمس تسليط أكبر عقوبة

فعل التلفظ: أ. ل. ت. م. س.

فعل القضوي: إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم "أنا"

فعل الإنجازي: الرجاء والالتماس

فعل التأثيري: تسليط عقوبة

فيكون بذلك المحتوى القضوي إسناد فعل الالتماس تسليط أكبر عقوبة وهي الإعدام إلى المتهم والإحالة على مجلس الجنايات دلالة العبارة، أما قوتها الإنجازية فهي الحث على فعل شي ومؤشرها ألتمس.

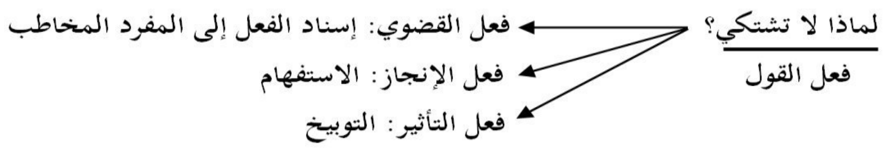

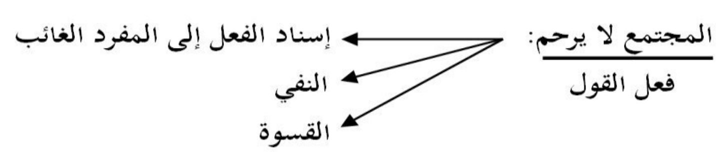

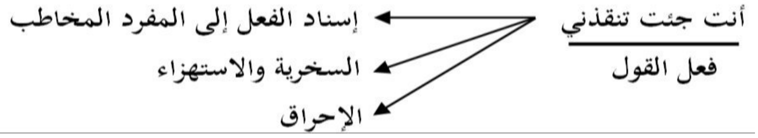

ويمكن أن نحدد القوة الإنجازية لبعض الجمل:[26]

-ألح وألتمس التصريح ببراءتهم
-اسكت... اسكت أنا شرطي
-أتحداك سيدي الرئيس
صدقوني في أرجل الفتاة جروحا كبيرة بكثير من تلك التي تعرض لها الشرطي
-الضحية نحن نحترمك
-أعتبر أن محكمة الجنايات لديها قناعة.

ونمثل لها بهذا الشكل:

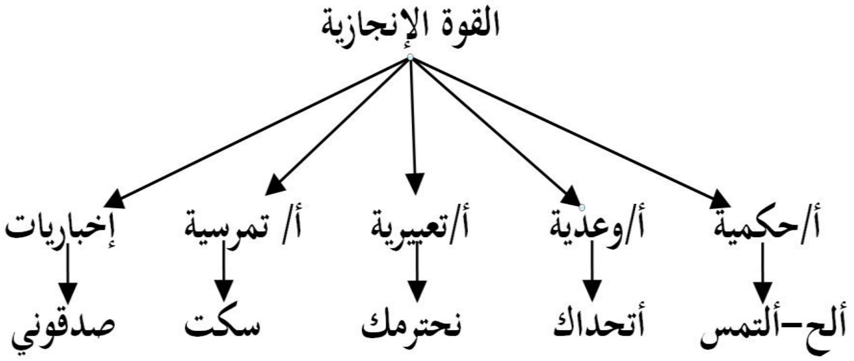

فالقوة الإنجازية في هذه الأفعال مختلفة ومتفاوتة، فكل عبارة تتضمن رسومات برهانية.

الخاتمة:

تشير الدراسات اللغوية أن الدرس التداولي له أهميته في اللسانيات النصية، فما يميزه هو الوظيفة التداولية للغة.

-لغة المرافعة هي لغة إنجازية بامتياز، فلا تتحقق إنجازيتها إلا من خلال الاستعمال.

التداولية لا تربط مقاصد المتكلم بالمقام فقط بل تتجاوز ذلك إلى ربط النص كاملا

-المقام في القانون هو محكمة جنايات ويقتضي لغة رسمية.

-قيمة المعنى تتجلى في تحديد معاني المصطلحات المتعددة.

-ضبط المصطلحات القانونية لكشف اللبس عن المعاني الحقيقية والدقيقة.

-إنشاء معجم قانوني مصطلحاتي متخصص مما يسهل عملية البحث.

-الأفعال اللغوية في المرافعات تتفاوت من خلال القوة الإنجازية.

-إن نظرية أفعال الكلام يمكن تطبيقها على جميع الخطابات وجميع اللغات.

مراجع البحث وإحالاته:

(1) أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السام هارون، دار الفكر، ج2، 1979م، مادة(دول)، ص314.

(2) ينظر، نحلة محمود أحمد: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م، ص09.

(3) عكاشة محمود: النظرية البراغماتية اللسانية مكتبة الآداب، القاهرة، 2013م ص21.

(4) مقبول (إدريس): البعد التداولي عند سيبويه (مقال)، مجلة عالم الفكر، مج33، العدد01، 2004م، ص261.

(5) ينظر، بوجادي (خليفة): في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط02، 2012م، ص35.

(6) ينظر، المرجع نفسه: ص 43.

(7) بن عربية راضية: اللسانيات التداولية في الدراسات العربية، أحمد المتوكل أنموذجا، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2013/04/11م، 14: 04.

(8) مرجع سابق: مقبول إدريس: البعد التداولي عند سيبويه، ص02.

(9)Moeschler (jaccques): la pragmatique aujourd'hui,universsité de Genève, p18

(10) même source, p06

(11) ينظر، نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002م، ص14.

(12) ينظر، جيمس ويليام: البراغماتية، تر: وليد شحادة، دار الفرقد، دمشق سوريا، ط01، 2014م، ص64

(13) ينظر، محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، ص43 ـ 44.

(14) عبد القادر عواد: آليات التداولية في الخطاب الأدبي ـ ينظر، المرجع نفسه، ص49.

(15) ينظر، فاتح مرزوق: التداخل المصطلحي بين الدرس البلاغي والتداولي. أنموذجا، مجلة علامات، مج19، العدد 74، 2011م، ص 49

(16) Eco korkut: la pragmatique et l'implicite, synergies turqui no01, 2008, p155

(17) même source, p158 .

(18) ينظر، بوجادي خليفة: في اللسانيات التداولية، ص78

(19) ينظر، بوجادي خليفة: اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص 79.

(20) المرجع نفسه: ص80.

(21) ينظر: جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010م، ص83.

(22) المرجع نفسه: ص93.

(23) نص من مرافعة قضائية1" حجز شخص وتهديده بالقتل" من المجلس القضائي بسطيف، جلسة مستأنفة، يوم:2017/02/20م، 13:00 زوالا

(24) ينظر المرجع نفسه، القضية الأولى، ص1

(25) ينظر المرجع نفسه، القضية الأولى، ص1

(26) ينظر المرجع نفسه، القضية الأولى، ص1

الشعرية قراءة في المصطلح والمفهوم

الطالبة الباحثة: لعرشي سهام إشراف الدكتور: يوسفي يوسف

مخبر الخطاب الحجاجي مخبر الخطاب الحجاجي

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

الملخص: تباينت آراء الحداثيين بين الشعري واللاشعري، خصوصا بعدما انمحت الحدود بين الأجناس الأدبية، فتأسست بذلك الدعوة إلى رؤية شمولية أساسها الأول الإبداع، مما دعا إلى مقولة أعم من القصيدة إلى النص ككائن مكتمل النضوج .إن تقعيد الأدب وتقنينه هو من الصعوبة إن لم يكن من الاستحالة بما كان، فثبات المعيار دينامية الأدب بالإضافة إلى تغير المعطيات الزمكانية والحضارية .إن الحديث عما هو قاعدة أو معيار، وما هو خروج وانزياح يفضي بنا إلى دخول عوالم لا نهائية، عوالم يأخذ فيها عنصر المفاجأة الذي يهدم كل ما هو واضح تقريري مرتكزا يتأسس عليه كل عمل ابداعي مشرع على لا نهائية المعنى. وقبل أن نستعرض خصائص الشعرية العربية المعاصرة والأسس النظرية التي قامت عليها لابد أن نسلط الضوء على طبيعة الشعرية بصفة عامة عند الغرب ثم عند العرب.

الكلمات المفتاحية: الشعرية العربية، اللاشعري، الأجناس الأدبية، أرسطو، حازم القرطاجني، الأدبية، عبد القاهر الجرجاني، الشعرية الغربية، اللغة الشعرية.

Poetic reading in the term and concept

Abstract:

The views of the modernists differed between the poetic and the satirical, especially after the boundary between the literary races was dissolved, and the call for a holistic vision was based on the first creation, which led to a more generalization from the poem to the text as a mature object. The escalation and codification of literature is difficult if not impossible of what it was, the establishment of the criterion of the dynamism of literature in addition to the change of temporal, spacial and cultural data. Talking about what is a rule or a standard, and what is an exit and displacement leads us

تاريخ إيداع البحث: 19 جويلية 2018.

تاريخ قبول البحث: 14 ديسمبر 2018.

to enter infinite worlds, worlds where the element of surprise that destroys everything that is based clear report on which every creative work is based on infinite meaning.

Before we review the characteristics of contemporary Arab poeticism and the theoretical foundations on which it is based, we must highlight the nature of poetry in general for the West and then the Arabs.

Key words: Arabic poetry, non poetic, literary genres, aristotle, hazem el kartajani, literary, abdelkaher el djerdjani, western poetry, poetic language.

1- الشعرية المصطلح والمفهوم:

أ- عند الغرب:

ينبغي بادئا ذي بدء، قبل الولوج في أغوار الشعرية تقديم حد جامع مانع للمصطلح، فإن كانت لفظة (poétique) أو (poetic) قد أوفت بالغرض كونها مشبعة بالدلالة والشيوع التداولي عند الغرب، فإنها عند العرب لها من المقابلات الترجمية ما قد يؤدي بالباحث في غمارها إلى التيه، و"تسعى الشعرية لأن تكون بديلا مكافئا للمصطلح الفرنسي (poétique) أو الانجليزي (poetics) وكلاهما منحدر من الكلمة اللاتينية (poética) المشتقة من الكلمة الإغريقية (poétickos) بالصيغة النعتية التي تداولها الفرنسيون –خلال القرن 16 م- بمعنى كل ما هو مبتدع خلاق "inventif" أو بصيغة الاسم المؤنث (poétiké) المتداولة خلال القرن 17م، بالمفهوم الذي خطه أرسطو في كتاب الشعر وكل ذلك مشتق من الفعل الإغريقي (poieim) بمعنى فعل أو صنع " faire"[(1)].

والشعرية دال مركب من ثلاث[(2)] وحدات:

(poeim) : وهي وحدة معجمية "lexeme" تعني في اللاتينية "الشعر".

(ic) : وهي وحدة مورفولوجية "morpheme" تدل على النسبة، وتشير إلى الجانب العلمي لهذا الحقل المعرفي.

(s) : الدالة على الجمع.

الشعرية في المعاجم الأجنبية: أ- في اللغة الفرنسية:

وقد ورد في معجم لاروس الصغير أن الشعرية

1- مرتبطة بالشعر

2- اللغة الشعرية.

3- مجموعة من القوانين من قبل مدرسة أدبية ما، مثل الشعرية التقليدية.

4- برنامج شعري لكاتب ما، أو حقبة ما، أو بلد ما، مثل شعرية رنيه شار.

ووردت في قاموس اللغة الفرنسية[3]: هي مصطلح مرتبط بالشعر كشعرية فيكتور هيغو مثلا، والغاية الشعرية لا تتحقق إلا من خلال النجاح في تسلسل العناصر الذاتية لوجدان الشاعر، والشعرية هنا هي قول الأشياء التي تبعث على الحلم وترتقي بالروح

ب- الانجليزية: كما ارتبط تعريفها في القواميس الانجليزية بالشعر والشعراء، بمعنى أو مفهوم قاصر على أن يفي بالغرض الذي يرجى من مصطلح الشعرية بما هي قوانين الكتابة الإبداعية. فقد جاءت على كونها:[4]. صفة (نعت) متعلقة بالشعراء أو مثل القصيدة الشعر هي صفة لـ[5]:

1- الشعر. 2- مثل الشعر لأنها تحوي الخيال والمشاعر العميقة.

ولكن دلالة كلمة (poétique) الممحضة أصلا لمفاهيم الصنع والابتداع والابتكار، أخذت تتطور وتضيق متخذة من (صناعة الشعر) مجالها الاستعمالي المحدود، فمن دلالتها على الملكة أو الموهبة الشعرية أصبحت تدل على نظام التعبير الخاص بشاعر ما أو فن التأليف والأسلوب الخاص بالشعر، أو تحيى على نظرية صناعة الآثار العقلية كما يظهر ذلك قاموس لاروس الكبير[6].

بينما وردت في المعاجم العربية على النحو التالي:

1- لغة: جاء في لسان العرب أنها تتكون من الجذر الثلاثي (ش، ع، ر) يقال:

شعر فلان وشعر شعرا وشعرا، والشاعر وهو الاسم، سمي شاعرا لفطنته، والمتشاعر: الذي يتعاطى قول الشعر.

وشاعره فشعره يشعره بالفتح، أي كان أشعر منه وغلبه.

وليت شعري أي ليت علمي أو ليتني علمت[7].

2- اصطلاحا:

الشعر منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعرا.

هذا عن مفهم الشعر، بينما مصطلح الشعرية، وقبل الخوض في مفهومها وما إذا كان العرب قد وفقوا في التعرف عليه، بغض النظر عن الطرح الجديد للمفهوم، ينبغي أولا استقصاء المصدر الصناعي (شعرية) في تراثنا البياني.

1- الفارابي (2600 هـ) : "والتوسع في العبارة بتكثير الألفاظ بعضها ببعض، وترتيبها وتحسينها، فيبتدئ حين ذلك أن تحدث الخطية، أولا ثم الشعرية قليلا قليلا". [8]

بمعنى أن النسق العام للنص يتفرد بخصوصية ما من خلال تراتب التراكيب يتوخى الصحة (نحويا، صرفيا، دلاليا) أولا، ثم يختار الكاتب ألفاظا دون غيرها، بحيث تمثل خطه العام وأسلوبه المتفرد الذي يكون سمة له في جميع ابداعاته.

2- ابن سينا (428 هـ) : "إن السبب المولد للشعر في قوة الإنسان شيئان، أحدهما الالتذاذ بالمحاكاة (...) والسبب الثاني حب الناس للتأليف المتفق والألحان طبعا، ثم قد وجدت الأوزان مناسبة للألحان، فمالت إليها الأنفس وأوجدتها، فمن هاتين العلتين تولدت الشعرية وجعلت تنم يسيرا يسيرا تابعة للطباع، وأكثر تولدها عن المطبوعين الذين يرتجلون الشعر طبعا، وانبعثت الشعرية منهم بحسب غريزة كل احد منهم وقريحته في خاصته وبحسب خلقه وعاداته". (9)

يرجع ابن سينا جنوح النفس الإنسانية إلى الشعر لعاملين: أولهما: المحاكاة، فالكون أساسا مبني على إيقاع معين يظهر هذا الإيقاع جليا في الشعر مما يولد لذة لدى الشاعر والمتلقي، ثم يربط هذه اللذة بالتناسب الذي يربط الكلم بالألحان والذي كان في الثقافة الشفاهية قوامه الارتجال.

والبديهة مضافة إليها الذاكرة الجمعية، فتتخذ الشعرية بذلك منحى تخييليا مشتركا بين الشاعر وجمهور المتلقين، ثم منحى عليا سببيا متعلق بالغريزة.

3- ابن رشد (520 هـ) : قول أرسطو: "وكثيرا ما يوجد في الأقاويل التي تسمى أشعارا ما ليس فيها من معنى الشعرية إلا الوزن فقط كأقاويل سقراط الموزونة وأقاويل أنبادقليس في الطبيعيات، بخلاف الأمر في أشعار أوميروش" (10).

يفرق ابن رشد بين ما هو شعر وما هو نظم فقط، بحيث يرى أن الوزن هو أحد العناصر التي يجب أن تتوفر في الشعر لكنه ليس كافيا لتحقق صفة الشعر، بتقديم أمثلة لمتون تخلو من الأدبية رغم توفرها عنصر الوزن.

4- يقول حازم القرطاجني (684هـ) : "وكذلك ظن هذا أن الشعرية في الشعر إنما هي نظم أي لفظ كيف جاء واتفق نظمه وتضمينه، أي غرض اتفق على أي صفة اتفق لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع"(11).

وعلى الرغم من أن حازما مثَّل الطفرة والفارق بالنسبة لما كان سائدا في عصره، فقد اقترب إلى حد ما من (الشعرية) كمفهوم حديث باعتبارها قوانين الأدب أو الشعر، يقول: : "وليس ما سوى الأقاويل الشعرية في حسن الموقع من النفوس مماثلا للأقاويل الشعرية، لأن الأقاويل التي ليست بشعرية ولا بخطابية ينحى بها نحو الشعرية لا يحتاج فيها إلى ما يحتاج إليه في الأقاويل الشعرية، إذ المقصود بما سواها من الأقاويل إثبات شيء أو إبطاله أو التعريف بماهيته وحقيقته"(12).

وهو هنا يقدم لنا فهما جديدا ليس بين ما هو شعر ولا شعر وإنما بين الخطاب الأدبي وما سواه من الخطابات الأخرى، فهو يربط الشعرية بالخطاب الأدبي فقط. إلا أن الشعرية لم

تتبلور مصطلحا ناجزا ولم تكن ذات فاعلية إجرائية ومفهومية بل" لا يمكن القول أن حازما كان المرجعية الأكيدة للشعريات الحديثة بل في القول أن لمحة خاطفة من معنى الشعرية الحديثة كان متضمنا في النص النقدي الحازمي، مع أن لفظة (الشعرية) في نصوصه كانت متأرجحة في اتخاذ معنى الشعرية العام نظرا لاقتباساته من نصوص فلاسفة مختلفين فضلا عن أنه كان يعالج الشعر لا الخطاب الأدبي"[13].

عند الغرب: اصطلاحا

ورد مصطلح الشعرية في القواميس الغربية المتخصصة، ويصرح تودوروف (todorov) في محاولة منه إزالة اللبس المصطنع الرامي للفصل بين اتجاهين يرى كل واحد منهما أحقية مطلقة في تقديم مفهوم للشعرية: "ينبغي قبل كل شيء التمييز بين موقفين، يرى أولهما في النص الأدبي ذاته موضوعا كافيا للمعرفة، ويعتبر ثانيهما كل نص معين تجليا لبنية مجردة (...) وهذان الاختياران لا تعارض بينهما (...) بل يمكن القول بأن كل واحد منهما يقف بإزاء الآخر موقف تكامل ضروري، ورغم ذلك يمكننا التمييز بوضوح بين هذين الاتجاهين بحسب التأكيد على أحدهما دون الآخر"[14]. فبين وصف ما هو منجز أدبيا وبين نشود التجريد المطلق للنظرية، كان الخلاف بين التوجهين، وتودوروف يستند أساسا في هذا القول إلى المفهوم الذي أسسه فاليري (Valery) بقوله: "يبدو لنا اسم (شعرية) ينطبق عليه إذا فهمناه بالعودة إلى معناه الاشتقاقي، أي اسما لكل ماله صلة بإبداع كتب أو تأليفها حيث تكون اللغة في آن واحد الجوهر والوسيلة، لا بالعودة إلى المعنى الضيق الذي يعني مجموعة من القواعد أو المبادئ الجمالية ذات الصلة بالشعر" [15].

وهو هنا يتجاوز الاعتقاد السائد بأن الشعرية هي القوانين الخاصة بالكتابة الشعرية (الابداع الشعري بصفة عامة) وإنما تشمل جميع أنواع الخطاب الأدبي شعرا كان أم نثرا، لذلك يقدم لنا تودوروف[16] مفهومه للشعرية كونها:

1- أي نظرية داخلية للأدب.

2- اختيار إمكانية من الإمكانيات الأدبية أي اتخاذ المؤلف طريقة كتابية ما.

3- تتصل الشعرية بالشفرات المعيارية التي تتخذها مدرسة أدبية ما مذهبا لها أي مجموعة القوانين العملية التي تستخدم إلزاميا.

"ومن الواضح أن تودوروف وديكرو (ducrot)، بعد ذلك ينصاعان انصياعا صريحا إلى عد الشعرية بمثابة نظرية للأدب، معلنين: (إننا لا نهتم هنا إلا بالمفهوم الأول للمصطلح) من ضمن مفهوماته الثلاثة، مرسخين هذا الانحياز من خلال القول إن (السؤال الأول الذي ينبغي على الشعرية أن تقدم له جوابا هو: ما الأدب؟)"[17]

بينما تدل الشعرية في قاموس[18] غريماس (greimas) وكورتاس (courtés) : إما على دراسة الشعر، وإما بإضافتنا للنثر، على النظرية العامة للأعمال الأدبية، هذا الإقرار الأخير الذي يمتد إلى أرسطو، استعاده حديثا منظرو (علم الأدب) الذين يبحثون في تعميم كل ما كان- منذ أمد بعيد – مجرد نظرية متوارثة محفوظة في إطار التقاليد الاغريقورومانية، ووضع خصوصية هذا الشكل من النشاط الألسني بوضوح في الوقت نفسه. ومنه فإن الحديث عن الشعرية يستوجب حتما- الإحالة على أرسطو- الذي استعمل هذا المصطلح بمفهوم" دراسة الفن الأدبي بوصفه إبداعا لفظيا" [19].

واكتسب مصطلح الشعرية مع رولان بارت (barthes) نوعا من العموم بحيث صار مفهوما أشمل من اللغة حين أطلق وصف "شعرية الأزياء" على وضعية المواجهة (rencontre) بين المادة واللغة، أي بين الطبيعة المادية للموضوع (الثوب) والوصف اللغوي البليغ لهذه المادة[20].

وفي الأخير يأتي ميكال دوفران، في كتابه المتفرد المغمور (le poétque) الذي وقفه على دراسة الشعرية بوصفها مقولة جمالية عامة، يمكن أن توجد في الشعر والشاعر والطبيعة على السواء، عبر أقسام ثلاثة تنتهي إلى تكريس شعرية عامة وشاملة (universalité du poétique) على حد تعبيره، وفي الكتاب إشارات طريفة إلى الطبيعة بوصفها شاعرية (la nature comme poétique) والإنسان الشاعري (l home poétique) والأشياء الشاعرية (les chose poétique) [21].

جينالوجيا الشعرية العربية:

اختلف النقاد حول جذور الشعرية العربية، وانتمائها الحضاري قديما وحديثا؛ فبالنسبة للقديمة سلكت اتجاهين رئيسيين أولهما: التأثر ببويطيقا الشعر لأرسطو.

أما الثاني: فهو الرفض القاطع لهذه الشعرية، والإصرار على أن الشعرية عربية المنشأ، تشكلت من خلال غلبة السواد الأعظم في الشعر، وذلك من خلال استقراء أشعار العرب، وسيرهم على منوال واحد، وهو ما مثل عمود الشعر للمرزوقي، بإقراره أن عمود الشعر= المعيار وبالتالي إقصاء ما شذ عن القاعدة.

لقد لامس النقاد العرب القدامى مفهوم الشعرية بداية مع ممارسة الشعراء أنفسهم، فالشاعر ومنذ اللحظة الأولى لولادة الإبداع، يصدح بقوانين مجردة (أي ذهنية) تسير وفقها العملية الابداعية، بمصادقة الذاكرة الجمعية، ومن خرج عن سمت العرب، فهو عاق يلفظ خارج دائرة الفحولة عندهم.

فقد ورد في المدونات النقدية القديمة أن "للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان"[(22)].

فالشعر عند الجمحي مكتسب كما هو الحال بالنسبة للأعمال المادية المحتاجة للمران والدربة، كالنجارة والحدادة مثلا، وفي نفس السياق يؤكد قدامة على هذا بقوله: "أن الشعر صناعة مثل سائر الصناعات والمهن، وهي صناعة لها طرفان: أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة وبينهما حدود تسمى الوسائط"[(23)].

إذن لقد اهتدى النقد القديم إلى ربط كل من الشعر والخطابة بمصطلحات من قبيل: (العلم، الصناعة، النظم) في وقت مبكر، فيقال مثلا: "صناعة الشعر" أو "صناعة الإنشاء" ويمكن القول أن جينالوجيا الشعرية كانت موغلة في القدم عندهم ثم إنها موجودة بوجود البنى والأنساق النصية، الشعرية والنثرية والمهجنة، فلطالما كان العلم مرتبطا بالفن، ملازما له في سيرورته التاريخية، وباعتبار تفوق الفاعلية الشعرية حينذاك، انصبت الجهود المبكرة على الشعر فكان: "علم الشعر" تارة و"صناعته" أو "نظمه" أو "عموده" وصولا إلى الشعرية فحددت له قوانين ملزمة للشعراء، منظمة للعملية الشعرية، فهو "كلام منسوج ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلاءم نسجه ولم يسخف، وحسن لفظه ولم يهجن، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام، فيكون جلفا بغيضا، ولا السقي من الألفاظ فيكون مهلهلا دونا" [(24)].

هي إذن حدود العملية الإبداعية في أوج عطاء الحضارة العربية، ومتعالياتها النصية الرافضة للسقوط في السوقية والابتذال فقد "كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن، بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله، وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض"[(25)].

لذلك تكونت النظريات القديمة من خلال نظرة شمولية ترتكز على الائتلاف وترفض الاختلاف، تفاضل بين الشعراء من خلال الرجوع دائما وأبدا إلى النموذج الأعلى حينذاك، مجسدا في القصائد الجاهلية. وهي القصائد التي تمثل العام والشامل من القوانين، أي رفض الشاذ أو بالمصطلح النقدي (الهامش) وقد" اتخذ الحديث عن الأدب منذ نشأته اتجاهين مختلفين هما: التفسير والنظرية، ويختص الاتجاه التفسيري بالتعامل المباشر مع الآثار الأدبية التي يخلفها أصحابها على مر العصور، فيتناولها بالإيضاح، والشرح والتحليل، ثم الحكم والتقييم، في حين يرمي الاتجاه النظري إلى تكوين المفاهيم والتصورات النظرية التي تشكل

الأساس النظري لدراسة الأدب عامة، كما تشكل في الوقت نفسه، الأصول الجمالية التي ينبني عليها النقد"[26].

فالنقاد شغلوا بتفسير النصوص الأدبية والحكم عليها، بينما الفلاسفة في تحديد مفاهيمهم وتصوراتهم النظرية للشعر وغاياته وأشكاله بل توجهت طموحاتهم إلى محاولة استخلاص القوانين الكلية للشعر" مطلقا" التي تشترك فيها جميع الأمم على اختلافها[27].

التأريخ لميلاد الشعرية بين العرب والغرب:

1- عند الغرب:

تعود البواكير والإرهاصات الأولى لمصطلح الشعرية إلى أفلاطون، ذلك أن الشعرية ورغم كونها من النظريات الأدبية الحديثة، فإن جذورها ضاربة في أعماق التاريخ البشري، موغلة في طفولة العالم الإنساني، فهي في حقيقة أمرها تعد امتدادا لحلم النقاد القديم ورغبتهم في إرساء قواعد أدبية ونقدية تضاهي في دقتها القواعد والمعادلات العلمية، وهو حلم بدأ منذ عصر أفلاطون الذي أكده في محاورة أيون في عام 532 ق م، ثم جاء أرسطو بعده ليقننه في كتابه الرائد "فن الشعر" أو " البويطيقا" التي تعني الشعرية[28]. بما تمثله جراء استقرائه للشعر اليوناني (التراجيديا) خصوصا محددا قوانينه الثابتة وراسما معالمه التي لا يجوز الخروج عنها، من خلال نظرية المحاكاة، التي أخذها عن أستاذه، وربطها بالطبيعة منزلا إياها من عالم المثل" فالآراء التي أشاعها أفلاطون في هذه الفترة ق4ق م والمتعلقة خصوصا بماهية الشعر وطبيعته ووظيفته، هي التي أهلت أرسطو أن يفتك الريادة الفعلية للنقد اليوناني، حين ثار على أستاذه"[29].

وقد اشتقت النظرية الشعرية الحديثة اسمها من عنوان كتاب أرسطو وسعت بعد ثلاثة وعشرين قرنا إلى ترسيخ منهجه العلمي في ضوء المعطيات الحديثة للنقد الأدبي خاصة البنيوية منها[30]. ففن الشعر أو بويطيقا أو كما أصبح الآن يدعى في الشعرية هو قانون الشعر الأساسي والثابت رغم اختزاله من جهة: بمعنى تركيزه على التراجيديا، نقص واختزال حديثه عن الكوميديا وضياع الجزء الخاص بالشعر الغنائي، بحيث عني أرسطو باستقصاء جماليات الأجناس الأدبية كالملحمة والدراما والشعر الغنائي، دون أن يقتصر على الشعر فقط، ثم اكتسب هذا المصطلح دلالات جديدة منذ مطلع هذا القرن على أيدي الشكلانيين الروس، وممثلي حلقة براغ، وأصبح فيما بعد وتحديدا منذ الستينيات، الشغل الشاغل للعاملين في حقل الدراسات الألسنية والسيميولوجيا (...) إلى اتجاهات نقد القراءة وغيرها[31].

استطاع أرسطو وفي وقت مبكر من طفولة النقد الأدبي أن يرسم ملامح علمية قننت الممارسة الشعرية، وهو ما تم اكتشافه حديثا على يد الشكلانيين الروس ومن جاء بعدهم.

"ليس موضوع كتاب أرسطو "في الشعرية" هو الأدب، وبهذا المعنى ليس هذا الكتاب كتابا لنظرية الأدب لكنه كتاب في التمثيل (المحاكاة) عن طريق الكلام، ونتيجة لذلك وبعد تقديم مخصص للتمثيل بصفة عامة، يصف أرسطو خصائص الأجناس المتمثلة أو (المتخيلة) يعني الملحمة والدراما، الذين حلّلا في مستوى متسلسل واحد من جهة وعلى مستوى المقطع من جهة أخرى (عولج جنس واحد من الدراما وهو التراجيديا، أما الجزء المتعلق بالكوميديا فهو مفقود أو ببساطة غير موجود) وبالمقابل لا مكان في الكتاب للشعر الغنائي الذي كان له وجود في هذه الحقبة"[32].

وعلى الرغم من كون كتاب أرسطو "بويطيقا" غامضا في جوانب شتى، إلا أن هدف أرسطو الواضح هو تشكيل نظرية عامة للأدب، التي طورها من خلال بحثه في نوعين فقط هما: المأساة والملحمة، لكن تأثيره لم يكن مباشرا، إذ لم ترد الإشارة إلى كتابه في العصور اللاحقة. إذ إن العصور الوسطى اقتدت بهوراس الروماني أكثر من اقتدائها بأرسطو الإغريقي. وذلك بظهور العديد من الكتابات التي قننت قواعد الشعرية وتقاليدها[33].

المصطلح والمفهوم

تأسست أصول الشعرية من خلال الخلفيات النظرية التي جسدتها كل من: نظرية المحاكاة- النظرية البراغماتية (النفعية) –نظرية التعبير والنظرية الموضوعية، فما كان للشعرية أن تنشأ وتتطور وتتبلور مفاهيمها كما الآن إلا من خلال الرجوع إلى أرسطو وبويطيقاه كمنطلق رسمي لهذه النظرية". لكن ابتداء من عصر النهضة، أضحى الرجوع إلى أرسطو ضروريا، وصارت إيطاليا مركزا لهذه الدراسات على أيدي سكاليجر وكاستليقرتو ثم انتشرت في العصور اللاحقة في ألمانيا: ليسسنغ وهايديجر خاصة مع الانطلاقة الرومانسية لفريدريكش ليغلونوفا ليسو هولدرين، وفي إنجلترا كولردج، ومع ما يسمى أحيانا بالرمزية التي تشكلت تقاليدها مع إدجار ألان بو وفي فرنسا مالا رميه وفاليري"[34].

ومما يمكن ملاحظته[35] من خلال السيرورة التاريخية للشعرية، والحديث عن تطورها منذ أرسطو ما يلي:

1- التفكير النظري في الأدب لن يجد أبدا ذلك الاستقلال الذي كان يتمتع به عند أرسطو.

2- بعد العصور اللاتينية القديمة (الرومانية) اقتصر وصف الحدث الشعري على ميدان البلاغة ولم يعد الاهتمام منصبا على الخطاب في حد ذاته.

3- ميول الشعراء إلى رفع ممارساتهم التطبيقية إلى مستوى المعيار أو القاعدة أكثر من البحث عن وصف متماسك للأحداث.

وبذلك تحول الخطاب الشعري إلى قوالب جاهزة يصب فيها الشعراء حمولاتهم المعيارية الثابتة الجامدة ف"اقترح أبرامس (m. h. abrams) نمذجة (typology) للنظريات الشعرية التي تفسر موقعها التاريخي أيضا، أنه يبني نمذجته على ما يسميه العناصر الأدبية المكونة للعملية الأدبية: المؤلف، القارئ (العمل/ العالم)، وعلى تشديد أعظم أو أصغر تضعه كل نظرية على أحد هذه العناصر أو غيره. والنظريات المبكرة التي عنيت بشكل أساسي بالعلاقات بين (العمل/العالم) هي النظريات المحاكاتية (memetic)

بينما ظهرت في القرن 17و18 مذاهب جديدة كانت أكثر اهتماما بالعلاقة بين (العمل/القارئ) وهذه هي النظريات البراغماتية (pragmatic). كما شددت الرومانسية على العبقرية الشخصية (للمؤلف) وهنا نستطيع أن نتحدث عن نظريات تعبيرية (expressive)

وأخيرا مع الرمزية افتتح عصر النظريات الموضوعية (objective) التي تصف (العمل) في ذاته" [36]. ومن الطبيعي أن يبقى هذا التقسيم تخطيطيا نظريا إلى حد كبير ولا يتطابق إلا نسبيا مع التطور الفعلي الذي عرفته الشعرية التي لم تظهر كدراسة نظرية مستقلة إلا مع بداية القرن 20 ومع تطور النقد في العديد من البلدان مثل: الشكلية في روسيا، والمورفولوجية في ألمانيا والنقد الجديد في أمريكا وإنجلترا، وأخيرا البنيوية في فرنسا[37].

بدأت إذن الشعرية بالتبلور والتشكل بالتوازي مع ظهورها في هاته البلدان، وذلك باتخاذها سبيل الاتجاه اللساني العلمي المحايث، والابتعاد وتجاوز الموقف البلاغي المعياري، وأحكام القيمة.

جغرافية الشعرية في أوروبا:

لا يمكن الاقتراب من مفهوم الشعرية كمصطلح، وكنظرية حديثة، إلا من خلال ربطها بمرجعيتها الغربية، فلا يمكن بأي شكل من الأشكال أن نجتثها من جذورها ممثلة في الشكلانيين الروس، كبداية ثم من أقطابها ممثلة في تودوروف، جاكبسون وجان كوهين، لما ناله هؤلاء من شهرة كشعريين أوائل.

1- الشكلانيون الروس: (formalistes russes) 1915-1930".رغم غرابة الأقدار التي عرفتها هذه المدرسة إلا أنها ربما تكون أكثر المدارس إبداعا في القرن العشرين. فقد ولدت في أثناء الحرب العالمية لكن سرعان ما قطعت الدكتاتورية مسيرتها عام 1930، وقد رافق اكتشافها احتضار فلسفة التاريخ"[38]. لقد كانت مسقط رأس علوم وثيقة بالبنيوية كالسيميائية، الشعرية، والسردية، وتطلق على ائتلاف تجمعين روسيين شهيرين هما: جماعة موسكو (1915-1920) وجماعة الأبوياز1916[39]. تبلورت مفاهيم الشكلانيين من خلال

إعلاء الشكل على حساب المحتوى أو المضمون، من خلال الدراسة المحايثة، والتي تجلت أهم مبادئها[40] في:

1- رفض اعتبار الأدب مجرد محاكاة لفصيلة أخرى من الكتابة أو الواقع، مثل السيرة الذاتية للأديب أو المجتمع المعاصر، أو النظريات الفلسفية.

2- التشبث بما في العمل الأدبي من طابع أدبي خالص (الأدبية).

3- يعد جاكبسون أول من شكل الانطلاق لكل شعرية ابتداء من 1919.

4- لم تنصب أعمال الشكلانيين على العمل الأدبي الفردي فحسب بل على البنيات السردية (الحكائية) : (شكولوفسكي، توماشفسكي، وبروب).

5- الأسلوبية والتي تجلت في كتابات (ايخانباوم، فينوغرادوف، تينيانوف، باختين وكلوشنوف.

7- الإيقاعية ومثلها كل من: بريك وتوماشفسكي.

8- العلاقة بين الأدب والمجتمع عند: نيانوفو كلوشنوف....

2- النظرية المورفولوجية:

ازدهر نشاطها في ألمانيا وهي النظرية التي تبنت تراث غيته، سواء إبداعاته الأدبية والشعرية أو كتاباته في العلوم الطبيعية، كما رفضت هذه النظرية الاتجاه التاريخاني، تحت تأثير كروتشيو قوسلر، وحرصت على ابتكار خاص بها في وصف أنواع الخطاب الأدبي وأشكاله، ابتكار متميز عن الدراسات الأسلوبية التي قام بها ليو سبيترز، ولا يهتم كثيرا بأسلوب كاتب معين، من روادها: أندريه جول بدراساته عن الأنواع الأدبية الأولية (اللغز، المثل، الأسطورة)، وأيضا أ. والزل، بدراساته في أنواع الكلام (الحكي الموضوعي، الأسلوب الحر غير المباشر... [41]

3- نظرية النقد الجديد:

يعلق تودوروف على المعنى الحقيقي لنظرية النقد الجديد فيقول أنه مصطلح أضيق مما أوهمت به شعبيته التي استمرت منذ مطلع القرن 20 وحتى بدايات ربعه الأخير، ومن الواضح أن جزءا كبيرا من النقد الأنجلو سكسوني، بما فيه "النقد الجديد" يتسع لكل نظرية، مثله في ذلك مثل الشعرية، ويحقق تفرده في تأويل النصوص، ومنذ بداية عشرينيات القرن 20، قدم كل من ريتشاردز، ووليم إمبسون، فرضيات تدرس وتحلل وظيفة المعنى في الأدب، كما درس بيرس لبوك مشكلة الراوي أو السارد في العمل التخييلي، ثم توغل "النقد الجديد" في الإشكاليات المحورية التي تدور حول الإبهام والسخرية والمفارقة، ولعل نظرية الأدب التي قدمها

رينييه ويليك، وأوستن وارين كانت نتيجة لتأثير مزدوج، غير مباشر للشكلية ومباشر للنقد الجديد.

4- البنيوية:

أما في فرنسا فقد يمن الفكر التاريخي من جهة والانطباعية الصحفية من جهة أخرى، فشكلا حاجزا لأي تطور للشعرية لمدة طويلة، وذلك برغم المشروع الذي بدأه بول فاليريه، ولم تر المحاولات الأولى للتحليل البنيوي النور إلا ابتداء من 1960، تحت التأثير المزدوج للبنيوية في الإثنولوجية، وفي اللغويات التي تمثلت في دراسات ليفي شتراوس، ورومان جاكبسون، وإيميل بنفينيست، وفي المحاولات الفلسفية الأدبية التي قدمها موريس بلانتو، والتي اتخذت طابع إعادة التجديد في إطار الاهتمام بالنواحي البلاغية، وأنواع النظم، واستكشاف البنيات القصصية أو النصية التي كان رولان بارت رائدا لها.

كانت هذه إذن المسيرة التاريخية للشعرية عبر المحطات أو الجهات الأربع التي انبثقت منها (روسيا-ألمانيا –انجلترا- أمريكا - وفرنسا) باعتبار السبق التاريخي والمكاني ناهيك عن كون مؤسسها الوحيد والأول هو أرسطو ببويطيقاه.

مصطلح الشعرية عند الشعريين:

1- تودوروف:

اقترن مصطلح "الشعرية" بالناقد الغربي تودوروف وهو في طليعة النقاد الذين عنوا بشكل خاص بالتنظير والتأصيل لها في النقد الحديث منذ الستينات، وحتى الوقت الحاضر، إذ لا تجد مؤلفاته إلا وقد وظف فيها مصطلح الشعرية كما هو الشأن في كتابه المترجم إلى العربية والموسوم بالشعرية وفي كتابه شعرية النثر. وما يمكن استخلاصه نقاط أهمها:

1- شعرية تودوروف هي بحث في أدبية الخطاب الأدبي بعيدا عن الخطابات الأخرى ذات الطابع الفلسفي والتاريخي، ذلك أن "العلاقة بين الشعرية والعلوم الأخرى التي لها أن تتخذ العمل الأدبي موضوعا، هي علاقة تنافر" [42].

2- الشعرية عنده لا تهتم ولا تعنى بالأدب الحقيقي، بل بالأدب الممكن أو المتوقع، ومجالها عنده" لا يقتصر على ما هو موجود بالفعل وإنما يتجاوزه ذلك إلى إقامة تصوّر لما يمكن مجيئه" [43].

3- تتحدد شعريته على أساس اشتغالها على خصائص الخطاب الأدبي بوصفه تجليا لبنية عامة لا يشكل فيها هذا الطاب إلا ممكنا من ممكناتها، ولهذا لا تبحث الشعرية في هذا الممكن فحسب، وإنما في الممكنات الأخرى كلها" [44].

وما حال الشعرية في كل هذا؟ تساؤل طرحه تودوروف ليقرر أنها هي الأخرى مغايرة توجد في كل اتجاه من هذه الاتجاهات في البحث ولكن بكيفية أخرى حتى وإن كنا لا نشعر بالحاجة دوما إلى تسميتها إنها في تحول وتلك أفضل علامات حيويتها[45].

"ليس الأثر الأدبي بذاته هو موضوع الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب المتفرد الذي هو الخطاب الأدبي" [46].

وأعاده في شعرية النثر حين أعلن أن موضوع الشعرية تكونه خصائص الخطاب الأدبي"[47].

فالشعرية إذن ليست حكرا على الشعر بل إنها تتعداه إلى دراسته (الفن الأدبي، لا بوصفه فعلا قيميا كما تفعل البلاغة القيمة، بل بوصفه فعلا تقنيا، أي مجموعة من الطرائق في تقدير جاكبسون[48].

شعرية جاكبسون:

"ولم يكن اهتمام جاكبسون بالشعرية الذي قاده إلى حقل اللسانيات ليشغله عن العناصر المحيطة بإنتاج خطاب معين بل يطرح فكرة المهيمنة في شكل افتراض أولي يعتمد عليه في توضيح فكرة طغيان وظيفة على الوظائف اللغوية الأخرى مما يجعلنا نحكم على رسالة أنها شعر، وأخرى دراسة وتوضيح للسان الذي يشكل سنن الخطاب، وأخرى كلام ذاتي أو تنبيه للمستمع وهكذا[49].

كانت شعريته قائمة بذاتها في حقل اللسانيات، كما يرى في القافية والسجع والجناس والمقابلة... إضافة إلى الصورة الشعرية التي تجسدها التشبيهات والرموز والموسيقى أنها أدوات تحقق الشعرية[50].

وبالتالي فإن جاكبسون هو أول من طرح مصطلح المهيمنة في النقد الأدبي الحديث ولقد كان إسهامه حاسما في تأسيس النظرية الشعرية الحديثة، على أن أبحاثه اتسمت باختزال شديد كانت له نتائج سيئة في كتب بعض أتباعه، وأهم مظهر لهذه النزعة يتجلى في المقابلة المتناقضة (الشعر/النثر) وقد كان واقعا- بلا شك- تحت طائلة هذا المفهوم الأبستمولوجي الثنائي السائد في عصره، المتخذ أساسا لدراسة مختلف الظواهر الطبيعية. على أن جاكبسون، وهو باحث ذو خبرة واطلاع واسع لم يبق تلك الثنائية المتناقضة، وحدها، وإنما جعل إلى جانبها ثنائية متضادة مما يجعل هامشا للتقاطع والتمازج، وهذا الهامش هو ما استثمرته بعض الدراسات اللاحقة معتبرة أن ليس هناك جنس أدبي صرف لا تشوبه شائبة. ولكن الذي استقر في أذهان بعض الشعريين هو ذلك التقابل[51].

ارتبط مصطلح الشعرية بجهوده اللسانية ارتباطا وثيقا، وخاصة ما تعلق منها بحديثه عن وظائف اللغة في نطاق نظرية التبليغ (التواصل)، ولذا لم يكن بدعا أن يستهل "قاموس اللسانيات" تقديمه لمادة "الشعرية" بالإيماء إلى هذا العلم الشامخ: (عند جاكبسون، الوظيفة الشعرية هي الوظيفة اللغوية التي تغدو رسالة ما- بواسطتها- أثرا فنيا)[52].

وتنهض نظرية التبليغ –عند جاكبسون- على ستة عناصر، تمثل الأطراف الأساسية في كل عملية تواصلية: المرسل (destinateur)، والمرسل إليه (destinataire)، والرسالة (message)، والسياق (contexte) ووسيلة الاتصال أو الصلة (contact)، والشفرة (code)[53].

3- شعرية جون كوهين:

تقوم شعريته على مفهوم مركزي ألا وهو الانزياح اللغوي، أي ما تعلق حسبه على "ثلاثة مستويات كبرى: المستوى التركيبي، الصوتي والدلالي مع حرصه الشديد على تضافر المستويين الصوتي والدلالي في الحكم على شعرية النصوص، حيث لم يكن التمييز بين الشعر والنثر إلا من خلال تضافر هذين المستويين"[54].

يرسم كوهين الحدود الفاصلة بين الشعر والنثر، فلغة النثر عنده تمثل الثبات والمعيار في حين يكون الشعر خروجا (عدولا) عن هذا المعيار" فهو يقر بأن الشعرية" علم موضوعه الشعر".

« La poétique est une science dont la poésie est l objet »[55]

محددا وجهته منذ البداية إلى الشعر، فتقوم بذلك شعريته على مبدأ الانزياحات الأسلوبية فقد" انطلق كوهين من مسلمة تقول إن الشعر يقوم على المجاز وبخاصة الاستعارة، ومن ثمة فإنه يقوم على خرق العادة اللغوية (...) وقد شعر المؤلف باختزاله هذا فدافع عنه بأن هناك ضرورة تفرضها كل دراسة علمية وهي اختزال التعددية إلى الوحدة، ولكننا نرى هذا الاحتراز غير كاف، لأنه اقتصر على ما يسمى بالنظرية التفاعلية في الاستعارة وليست إلا إحدى النظريات فيها (...) ولأن الاستعارة غير خاصة بالخطاب الشعري وإنما "نحيا بها" (...) وباختصار، فإن هناك اختزالا على مستوى التنظير وعلى مستوى مواد البرهنة عليها". [56]

والملاحظ هنا أن كوهين ينطلق من معايير البلاغة القديمة ليصل إلى تحديد واضح وصريح باعتبار أن الشعر (جنس من اللغة) (un genre de langage) تكون بموجبه الشعرية (أسلوبية ذلك الجنس) (une stylistique de genre) معبرا عن ذلك بجدوله الشهير حول مؤشرات الشعرية فهي عنده:

النمط	صوتي	معنوي
قصيدة النثر	-	+
النثر الموزون	+	-
الشعر التام	+	+
النثر التام	-	-

فيكون بذلك الشعر التام في أعلى درجات الشعرية بينما ينحدر النثر التام إلى أسفلها، وبتركيزه على الشعر فقط ملغيا الخطابات الأخرى[57].

"موضوع الشعرية يتجاوز ذلك عند آخرين إلى الفن الأدبي، وربما الإبداع اللفظي بشكل أوسع"[58].

يقول كوهين: "يمكن أن نشخص ظاهرة الأسلوب بخط مستقيم يمثل طرفاه قطبين: القطب النثري الخالي من الانزياح، والقطب الشعري الذي يصل فيه الانزياح إلى أقصى درجة، وبين القطبين يتوزع مختلف أنماط اللغة المستعملة فعليا فقرب القطب الأقصى تقع القصيدة وقرب القطب الآخر تقع لغة العلماء، حيث لا يكون الانزياح منعدما وإنما يدنو من الصفر"[59].

ومن بين المآخذ على كوهين أنه اقتصر في تمثل الانزياح على تصور بلاغي (في إطار انتقاده للشعر السريالي) وهو مهما كان جديدا بالقياس إلى البلاغة التقليدية إلا أنه لم يخرج هو الآخر عن التقليد الذي لا يتناول الانزياح إلا في ضوء مقاربة تركيبية، أي في ظل وحدات إسنادية تراعي العلاقة المجازية بين المسند والمسند إليه. لهذا السبب وقف كوهين عاجزا أمام ما ترشح به لغة الشعر السريالي من غموض لا يقتصر على وحدات شعرية محددة بقدر ما يشمل النص ككل، ولو عالج ذلك من خلال الإحصاء الأسلوبي لتوصل إلى نتائج هامة، بل ومخالفة في بعض الأحيان لما قد قرره، ولعل هذا النقص الذي يعتور نظرية الانزياح عند كوهين هو الذي جعل ريفاتيير، يقترح مفهوما بديلا هو السياق الأسلوبي"[60].

قبل الخوض في مفهوم الشعرية قديما، وما إذا كان العرب قد وفقوا في التعرف عليه بغض النظر عن الطرح الجديد للمفهوم، ينبغي أولا البحث عن المصدر الصناعي (شعرية) في تراثنا البياني، لقد وردة لفظة "شعرية" مفرغة من حمولاتها الأبستمولوجية كمصطلح نقدي له أصوله النظرية وأدواته الإجرائية، كعلم مستقل، في المدونات العربية القديمة.

فقد ورد في المدونات النقدية القديمة أن" للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان"[61].

فالشعر عند الجمحي مكتسب كما هو الحال بالنسبة للأعمال المادية المحتاجة للمران والدربة، كالنجارة والحدادة مثلا، وفي نفس السياق يؤكد قدامة على هذا بقوله: "أن الشعر صناعة مثل سائر الصناعات والمهن، وهي صناعة لها طرفان: أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة وبينهما حدود تسمى الوسائط"(62).

إذن لقد اهتدى النقد القديم إلى ربط كل من الشعر والخطابة بمصطلحات من قبيل (العلم، الصناعة، النظم) في وقت مبكر، فيقال مثلا: "صناعة الشعر" أو "صناعة الإنشا" ويمكن القول أن جينالوجيا الشعرية كانت موغلة في القدم عندهم ثم إنها موجودة بوجود البنى والأنساق النصية، الشعرية والنثرية والمهجنة، فلطالما كان العلم مرتبطا بالفن، ملازما له في سيرورته التاريخية، وباعتبار تفوق الفاعلية الشعرية حينذاك، انصبت الجهود المبكرة على الشعر فكان: "علم الشعر" تارة و"صناعته" أو "نظمه" أو "عموده" وصولا إلى الشعرية فحددت له قوانين ملزمة للشعراء، منظمة للعملية الشعرية، فهو "كلام منسوج ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلاءم نسجه ولم يسخف، وحسن لفظه ولم يهجن، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام، فيكون جلفا بغيضا، ولا السقي من الألفاظ فيكون مهلهلا دونا"(63).

هي إذن حدود العملية الإبداعية في أوج عطاء الحضارة العربية، ومتعالياتها النصية الرافضة للسقوط في السوقية والابتذال فقد "كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن، بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله، وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض"(64).

"فاعلم أنها عبارة (صناعة الشعر) عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الأعراب والبيان، فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول تراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع عكس الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب يختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة"(65).

ويؤكد ابن خلدون ويصف الطريقة الصياغية، أو القوالب ف الطريقة الصياغية، أو القوالب الجاهزة التي أساسها الارتجال، الذوق والبديهة، والتي لا علاقة لها بالنحو والبلاغة والعروض باعتبارها قواعد وضعت لتقعيد الشعرية العربية في مرحلة لاحقة ميزتها التفاعل مع الثقافة العربية الإسلامية والثقافات الأخرى[66].

"حيث كان الشاعر يتكئ على مخزون مشترك على مستوى الصياغة (القالب، والنظام والبنية والألفاظ التقليدية) لأن الشعر كان ذا نبرة خطابية تعتمد على التكرار والسماع، ولأن الذاكرة تؤدي دورا حاسما في الثقافة الشفاهية، وأن القصائد نظمت لتغنى لا لتكتب"[67].

أهم نظريات العرب القديمة (عمود الشعر، نظرية النظم، المحاكاة والتخييل):

تكونت النظريات القديمة في الشعر عند العرب من خلال نظرة شمولية ترتكز على الائتلاف، وترفض الاختلاف، تفاضل بين الشعراء من خلال الرجوع، دائما وأبدا إلى النموذج الأعلى مجسدا في القصائد الجاهلية، وهي القصائد التي تمثل العام (السواد الأعظم) والشامل من القوانين أي رفض الشاذ أو بالمصطلح النقدي (الهامش)، وقد "اتخذ الحديث عن الأدب منذ نشأته اتجاهين مختلفين هما: التفسير والنظرية، ويختص الاتجاه التفسيري بالتعامل المباشر مع الآثار الأدبية التي يخلفها أصحابها على مر العصور، فيتناولها بالإيضاح، والشرح والتحليل، ثم الحكم والتقييم، في حين يرمي الاتجاه النظري إلى تكوين المفاهيم والتصورات النظرية التي تشكل الأساس النظري لدراسة الأدب عامة، كما تشكل في الوقت نفسه الأصول الجمالية التي ينبني عليها النقد"[68].

فالنقاد شغلوا بتفسير النصوص الأدبية والحكم عليها، بينما الفلاسفة في تحديد مفاهيمهم وتصوراتهم النظرية للشعر وغاياته وأشكاله بل توجهت طموحاتهم إلى محاولة استخلاص القوانين الكلية للشعر "مطلقا" التي يشترك فيها جميع الأمم على اختلافها[69].

1- الشعر العربي من الشفاهية[70] إلى الكتابية:

تعتبر الشفاهية طريقة التواصل المثلى لدى جميع الأمم البدائية، لذلك قامت على أسس وخصائص معينة، نذكر أهمها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- التكرار: الذي يعتبر طريقة في تخزين المعرفة الخاصة بالشعوب القديمة التي تعتمد الحفظ والذاكرة بعيدا عن التدوين مما يستلزم ثنائية (الصوت/السماع) أي حضور كل من المرسل والمتلقي.

ب- القوالب الصياغية الجاهزة: هي ما يتأتى للشاعر جرّاء حفظ المطولات مما أفرز له سمتا واحدا وتقليدا حيا وليد البيئة والارتجال.

ج- الإنشاد: مزية في إبداع النص به يمتلك الشعر الجاهلي خصوصية بيانية وموسيقية، وبالتالي فإن دراسة القوالب الصياغية في الشعر الشفوي العربي تكشف بعدا إضافيا في فهم طبيعة وخصائص الشعرية الشفوية.

القرآن الكريم ومسألة التصنيف الأجناسي:

تشكلت القضايا النقدية القديمة من خلال التقابلات، فبالأضداد تعرف الأمور لذلك قامت جل النظريات النقدية القديمة على التباين بين المتضادات مثل: (اللفظ والمعنى) (القدم والحداثة) (الطبع والصنعة)... وغيرها وهذا التفكير عائد في الأساس إلى أرسطو، بتفكيره المنطقي المنبني على التفريعات الثنائية المتضادة ك (الشكل والصورة) وبالتالي رسمت الحدود بين الشعر والنثر وصلت إلى حد التعصب لأحدهما دون الآخر وهو ما جسدته المدونات النقدية القديمة التي لم تكد تخل احداها من هاته الخصومة، فالمفارقة والاختلاف الموجود بين الشعر والنثر مزية أكثر من كونها مجالا للاختصام. وهذا الاختلاف هو نفسه ما أثرى النقد القديم، وبالثورة عليه صدح التجديد بصوته الرامي مسح الحدود بين الشعر والنثر والمناداة بالتداخل الأجناسي، وأن الشعرية هي علم كليهما، بداية مع الدرس الاعجازي، وبلاغة النص القرآني وعلوه عن مقولة الجنس". ولعل أهم القضايا التي رجت الثنائية (شعر/نثر) قضية الإعجاز القرآني، حيث ستنبثق إشكالية التصنيف الأجناسي من داخل الشعرية والحقول المجاورة (...) مفاهيم وتصورات تعكس الفروق بين النص الديني والنصوص الدنيوية، وتعرض الثنائية المتداولة إلى التلاشي، سواء من خلال توسيع ممكنات الأوزان خارج ما اصطلح عليه، أم بواسطة التفنن في الجنس النثري، بالتوسل بالأسجاع"(71).

عندما جاء القرآن الكريم شكل قطيعة مع السائد، ونتج عن ذلك قراءتان: قراءة أولى تنظر إلى بلاغة القرآن من خلال بلاغة الشعر الجاهلي، ومن هنا اكتسب هذا الشعر قدسيته الخاصة وأصبح نموذجا يحتذى، وقراءة ثانية اقترب أصحابها من النص القرآني من حيث هو نص كوني وانساني وروحي وفكري يتضمن ثقافة ورؤيا، وأدى هذا-بدوره- إلى نشوء نص آخر محايث (يؤسس لمفهوم الكتابة وبلاغة المكتوب)(72).

نظرية عمود الشعر:

"كانوا يرون أن الشعر الجاهلي وصل إلى حد من الكمال الذي لا يمكن لأي شاعر محدث أن يزيد عليه أو يأتي بأحسن منه"(73).

النص القرآني (الكتابة) :

لقد أحدث النص القرآني قطيعة مع الشعر عموما، وأسس لرؤية جديدة "وهكذا كان النص القرآني تحولا جذريا وشاملا، حيث استطاع أن يحقق النقلة من ثقافة الارتجال والبديهية

إلى ثقافة التأمل، ومن الشفوية إلى الكتابة"[74]

هنا بدأ البحث اللغوي والبلاغي يطرح مسألة الإعجاز القرآني، والسعي إلى الكشف عن أسراره بظهور ثنائية (اللفظ/المعنى)، بردها أولا وأخيرا إلى المرجعية الأولى أقصد الشعر الجاهلي، متجسدا في نظرية "عمود الشعر" للمرزوقي.

1- عمود الشعر[75]:

-شرف المعنى وصحته.

- جزالة اللفظ واستقامته.

-إصابة الوصف.

-المقاربة في التشبيه.

-التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن.

- مناسبة المستعار منه للمستعار له.

- مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما.

إن نظرية عمود الشعر جاء بها النقاد التقليديون ليخرجوا الشعر المحدث من "طريقة العرب" على أنه لا يشبه شعر الأوائل وشديد الصنعة والتكلف وليس على عيارات عمود الشعر بحيث كان الوضوح الجاهلي هو المهيمن "لأن الشاعر الجاهلي كان يقول إجمالا ما يعرفه السامع مسبقا: كأن يقول عاداته وتقاليده، حروبه ومآثره، انتصاراته وانهزاماته[76]. ومن أهم ما ذكر في التجديد عند القدماء، هو وقفة أبي نواس أمام الطلل قائلا[77]:

قل لمن يبكي على رسم درس   واقفا ما ضرّ لو كان جلس

وهنا تشكلت ما سميت فيما بعد بشعرية التجاوز التي كان روادها، أبو تمام، أبو نواس، والمتنبي، والتي تشكلت من خلال شعرية النظم وتأثير النص القرآني في بلاغة القصيدة ولغتها الشبيهة ببلاغة النص القرآني، أو في ممارسة نص وفق شروط ثقافة الكتابة في العصر العباسي، وبالتالي تجاوز الثنائية الأخرى (القدم/ الحداثة) والغاء قاعدة تقديم الشعر القديم ورفض المحدث.

نظرية النظم:

تبلورت نظرية النظم مع عبد القاهر الجرجاني الذي ميز بين النظم اللغوي المتداول في الحديث اليومي والنظم في الكلام الأدبي، وإن كان محافظا على تعالي النص القرآني والحفاظ على الثنائية، في رصده وتقصيه آليات اشتغال المكونات النصية في الأقوال والخطابات"[78].

- **شعرية النظم:** لقد ثار أصحاب الدرس الإعجازي على"عمود الشعر" الذي كان أساسه الصراع بين القديم والمحدث ويكمن الجديد في الطرح عندهم في ثلاثة تحولات كبرى حسب أدونيس(79)

الأول: هو القول أن الخيال أصل العالم.

الثاني: ناتج عن الأول وهو اتخاذ "الخروج عن المعتاد" مقياسا لتقييم التجربة.

الثالث: هو الخروج عن القالبية.

"وبهذا تمكن عبد القاهر الجرجاني من تحرير الشعرية العربية من مرجعية الثبات، فهو يرى أن النظم هو الأساس في الكشف عن شعرية النص وأن المعنى لا يوجد خارج النص وإنما هو يتشكل في السياق(80).

خصائص(81) شعرية النظم:

1- تتمثل خصوصية الطريقة المحدثة في ابتكار معان لم تعرفها الشفوية الجاهلية، وتتمثل هذه الخصوصية كذلك في ابتكار لغة شعرية جديدة فالإحداث الشعري إذا هو ابتكار ما لم يعرفه الأقدمون.

2- جودة النص الشعري في ذاته، هي التي يجب أن تكون معيارا للتقويم لا الأسبقية الزمنية، فالأول شعريا، هو بالضرورة، الأول في الجودة، لا الأول في الزمن، فطريقة الأوائل إذا لا يصح أن تكون معيارا.

3- الثقافة العميقة الشاملة شرط لابد منه لكل من يحاول أن يكون ناقدا شعريا فلابد للناقد أن يكون من أهل النفاذ في علم الشعر.

إذن لقد قلب الدرس الإعجازي الموازين فيما يخص الشعرية العربية، جسدتها معايير نظرية النظم التي وضع أسسها الجرجاني ممارسة قطيعة إبستيمولوجية، وإبدالا نصيا ولغويا وذلك إيذانا بولادة نص شعري جديد مثلته شعرية المفارقة أو المغايرة مجسدا في: أبي تمام، أبي نواس والمتنبي، مع ما عرف فيما بعد بشعرية التجاوز.

سلك أبو تمام طريقة جديدة بالنسبة لما كان سائدا، فخلط بذلك، أوراق النقاد القدامى، و"أسس أبو تمام رؤية مغايرة أساسها الإبداع والغموض والاختلاف"(82).

ويحدد أدونيس(83) المبادئ الجمالية لهذه الشعرية بتأثير من الدراسات القرآنية والنقدية:

1- مبدأ الكتابة دون احتذاء نموذج مسبق، فعلى الشاعر أن يبتدئ شعره لا على مثال ويتضمن بالضرورة اكتشاف آفاق جديدة في طرق التعبير.

2- اشتراط الثقافة العميقة الواسعة، لكل من الناقد والشاعر، فكتابة الشعر وقراءته تستلزمان معرفة وخبرة ومراسا ولا تكفي البداهة والارتجال.

3- النظر إلى كل من النص الشعري القديم والنص الشعري المحدث، في معزل عن السبق الزمني، وتقويم كل منهما بحسب جودته الفنية في ذاته.

4- نشوء نظرة جمالية جديدة، فلم يعد الوضوح الشفوي الجاهلي معيارا للجمال والتأثير، بل صار هذا الوضوح يعد على العكس نقيضا للشعرية، فالجمالية الشعرية تكمن في النص الغامض المتشابه، أي الذي يحتمل تأويلات مختلفة ومعان متعددة.

5- إعطاء الأولية لحركية الإبداع والتجربة، بحيث يبدو الشعر تجاوزا دائما للعادي المشترك، والموروث "لا يهاب أن يخرق الإجماع" كما يعبر الجرجاني، بحيث تصبح الشعرية "ضربا من الفتنة".

وبهذا وبتجاوز أبي تمام لجميع المعايير التي أقرها المرزوقي في عموده، فشعريته تنمي القصيدة من حيث هي رؤيا متعددة الأبعاد، وتكشف عن علاقات التشابه والتضاد بين الأشياء، مؤكدا بذلك نزعته الحداثية في تصوره للوجود، نهض بنص شعري يستدعي فعل القراءة وآليات التأويل.

مراجع البحث وإحالاته:

(1)- يوسف وغليسي: اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 1429هـ، 2008م، ص272.

(2)- ينظر: رابح بوحوش: الشعريات والمناهج اللسانية، مجلة الموقف الأدبي، ع414، 2005، ص38.

(3). Dictionnaire de la langue France(lexis) libraire rousse France 1979 p1440.14441. Poétique «c'est en terme relatif à la poésie les autres poétique de Victor Hugo (constituées par sa poésie) l'objectivité poétique existe que dans la succession duos enchaînèrent de tous les élément subjectifs dont le poète jusqu'à nouvel ordre c est dit dème chose qui poste a rêver qui élevé lame

(4)-Miranda steel(2000) oxford word power dictionary first published oxford university press Britain p550 .

(5) -Poetic «/ pave TIK/.(also poetical/IKI/) adj connected with poets or like a poem poetically/ kII/ adv« .Victoria bull(2011) oxford learner s pocket dictionary fourth Poetic «/ pave TIK/.(also poetical/IKI/) adj connected with poets or like a poem poetically/ kII/ adv « .

(6)- يوسف وغليسي: اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص272.

(7)- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تح: ياسر سليمان أبو شادي، مجدي فتحي السيد، دار التوفيقة للتراث، 2009، المجلد السادس، مادة شعر، ص138.

(8)- أبو نصر الفارابي: كتاب الحروف، تح: محسن مهدي بيروت، ص141.

(9). ابن سينا: (فن الشعر) من كتاب الشفاء ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو، تر: عبد الرحمن بدوي، بيروت، ص172.

(10). ابن رشد: تلخيص كتاب أرسطو فن الشعر، ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو، ص204.

(11). حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، ص28.

(12). المصدر نفسه، ص119.

(13). حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، ص13.

(14). تودوروف تزفيطان: الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبيقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1987، ط2، 1990، ص20.

(15). ينظر: المرجع نفسه، ص23-24. نقلا عن: p. valery de l enseignement de la poetique au collège de France variet. v. paris gallimard. 1945. p291.

(16). ينظر: حسن ناظم: مفاهيم الشعرية (دمقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، المركز العربي، ط1، 1994، ص19. 16.

(17). نقلا عن يوسف وغليسي: اشكالية المصطلح، ص273

Ducrot (oswald) todorov (tzvetan) dictionnaire encyclopédique des sciences du langage seuil 1972 p 106-107 .

(18). نقلا عن: يوسف وغليسي، ص 273.

Ajgreimas j courtés sémiotique- dictionnaire raisonné de la théorie du langage hachette université paris 1993 p282-283.

(19). نقلا عن المرجع نفسه

19 Ducrot j m schaffer (et autres) nouveaus dictionnaire encyclopédique des science du langage ed. du seuil paris 1972/1995 p162.

(20) . نقلا عن يوسف وغليسي، ص276. R barthessystéme de la mode ed du seuil paris 1967 p239

(21). نقلا عن المرجع نفسه ص276. M duffrenne le poétique puf paris 1963 p171- 185- 192

(22). الجمحي ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، دار النهضة العربية، بيروت، ص03.

(23). قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص64.

(24). فن الشعر أرسطو، تر: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1959، ص193.

(25). القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، وعلي البجاوي، ط4، ص33.

(26). مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص.

(27). ينظر: كمال ألفت الروبي: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي إلى ابن رشد، دار التنوير للطباعة بيروت، ط1، 1983، ص07.

(28). ينظر نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية لونجمان ط1، 2003، ص378.

(29)- زروقي عبد القادر: الشعرية العربية تفاعل أم تأثر قراءة في أولية البيان العربي، دار الروافد الثقافية ناشرون، ط1، 2015، ص05.

(30)- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، ص378.

(31)- ينظر فاضل ثامر: اللغة الثانية، ص101.

(32)- تودوروف: الشعرية، ص12.

(33)- ينظر: نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، ص386.

(34)- ينظر المرجع نفسه: ص386..

(35)- نفسه، ص387.

(36)- حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص20.

(37)- ينظر: نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، ص387.

(38)- النقد الأدبي في القرن العشرين، ص21.

(39)- ينظر يوسف وغليسي، ص86.

(40)- ينظر: نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص387.

(41)- ينظر: المرجع نفسه، ص387-388.

(42)- تودوروف: الشعرية، ص23.

(43)- رومان جاكبسون: قضايا الشعرية: تر: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال الدار البيضاء، ط1، 1988، ص19..

(44)- ينظر: المرجع نفسه، ص19.

(45)- تودوروف: الشعرية، ضمن المقدمة.

(46)-Poétique p 19.

(47)-Todorov poétique de la prose ed. du seuil paris 1971 p242

(48)- نقلا عن وغليسي، ص 237. .Nauveau dictionnaire encyclopédique p162

(49)- الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 1428هـ-2007، ص14.

(50)- خولة بن مبروك: الشعرية بين تعدد المصطلح واضطراب المفهوم.

(51)- ينظر: محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص12 ص13.

(52)-Dictionnaire de linguistique p381

(53)- يوسف وغليسي: اشكالية المصطلح، ص237.

(54)- بشير تاوريرت: رحيق الشعرية الحداثية، ص71.

(55)-J. Cohen :structure du langage poétique, Flammarion, 1966, p73.

(56)- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص13.

(57)- جون كوهين: النظرية الشعرية، ص32.

(58)- نقلا عن وغليسي ص236. nouveau dictionnaire encyclopédique, p163.

(59)-J. Cohen, p22.

(60). ينظر: شعرية القصيدة العربية المعاصرة، ص57-58.

(61). الجمحي ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، دار النهضة العربية، بيروت، ص03.

(62). قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص64.

(63). فن الشعر أرسطو، تلا: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1959، ص193.

(64). القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، وعلي البجاوي، ط4، ص33.

(65). ابن خلدون: المقدمة، دار العلم، بيروت، ط5، 1984، ص570-571.

(66). ينظر: مشري بن خليفة: الشعرية العربية، ص72-73.

(67). مخلوف عامر: جدير بأن يقرأ (الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية)، صحيفة الوطن الجزائري،22-02-2015.

(68). مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص128.

(69). ينظر: كمال ألفت الروبي: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي إلى ابن رشد، دار التنوير للطباعة بيروت، ط1، 1983، ص07.

(70). ينظر: مشري بن خليفة: الشعرية العربية، ص229-230.

(71). عبد القادر الغزالي: الشعرية العربية، التاريخية والرهانات، دار الحوار، ط1، 2010، ص342.

(72). المرجع نفسه.

(73). حسين يوسف بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983، ص37.

(74). مشري بن خليفة: الشعرية العربية،ص76.

(75). أبو علي المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، تح: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، ط1، القاهرة، 1951، ص09.

(76). أدونيس: الشعرية العربية، دار الأدب بيروت، ط1، 1985،ص06.

(77). علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى القرن الثاني للهجرة، دار الأندلس، لبنان، ط2، 1981، ص171.

(78). مشري بن خليفة: الشعرية العربية، ص343.

(79). ينظر: أدونيس الثابت والمتحول،ج1 الأصول،ص11، نقلا عن، مشري بن خليفة: الشعرية العربية، ص80.

(80). مشري بن خليفة: الشعرية العربية، ص80.

(81). ينظر: المرجع نفسه.

(82). نفسه، ص230.

(83). ادونيس: الشعرية العربية، ص53-55، نقلا عن: مشري بن خليف، ص82-83.

بين الفني والواقعي
في رواية "الصدمة" للروائي ياسمينة خضرا

الدكتورة: رفيقة سماحي

جامعة طاهري محمد ـ بشار ـ الجزائر

الملخص: يسعى هذا البحث للكشف عن شخصيات رواية "الصدمة" للروائي "ياسمينة خضرا"، وقد أصبحت قضية بناء الشخصية من القضايا المهمة في رواياته لاستهدافها للقارئ، وللرسالة التي تؤديها، ومن خلال تباينها في نظرتها للحياة، فهي شخصيات نابضة بالحياة مصورة بشكل فني دقيق، لا يحس القارئ بأنها شخصيات فنية ليس لها وجود حقيقي، بل يستدعي شخصيات واقعية معبرة عن تلك الشخصيات الفنية، وعليه فإن شخصيات الرواية المدروسة أثرت وبشكل كبير في سيرورة الأحداث وقامت بتوليد المعاني ما أدى إلى سيرورة العمل الأدبي وديمومته.

الكلمات المفتاحية: الصدمة؛ أمين جعفري؛ سهام؛ كيم ياهودا؛ الشيخ مروان.

Between the artistic and the realistic in the novel "shock" of the novelist "Yasmina Khadra."

Abstract

This reseach aims at exposing the characters presented in the novel entitled "The Shock" by Yasmina Khadra. Setting characters becomes the most important matter in his writtings since it targets the reader and it performs a message .The fact that the characters differ in their views toward life, makes them vivid and finely illustrated. This makes the reader fees as if they are realistic figures and calls for realistic characters expressing the artistic figures. Thus, the characters of the novel have greatly infuenced the continuation of the literary work by generating meanings which led to the process of literary work and its permanence.

Key words: The Shock; Amine Jaafari; Sihem; Kim Yahouda; Cheikh Maroine.

تاريخ إيداع البحث: 20 أكتوبر 2017.

تاريخ قبول البحث: 15 فبراير 2018.

نبذة عن الرواية:

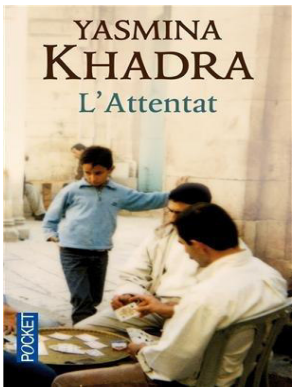

انتقل الكاتب في هذه الرواية من هموم وطنه الجزائر إلى هموم بلد عزيز "فلسطين" حيث كشف في روايته "الصدمة" عن يوميات الدكتور "أمين جعفري" جراح إسرائيلي الجنسية من أصل عربي، حيث تقاسم لسنوات طويلة حياته مع شخصية يجهل عنها الأهم وهي زوجته "سهام" التي فجّرت نفسها في وسط عشرات الزبائن في أحد مطاعم تل أبيب، وفي الليلة التي تلي المجزرة يستدعي الطبيب بصورة طارئة ليتعرف إلى الجثة الممزقة للمرأة الانتحارية، تتداعى الأرض تحت قدميه إذ يكتشف أنها زوجته، التي كتبت له رسالة قبل وفاتها، لا تحمل تاريخاً ولا تصديراً، مجرد سطور أربعة مكتوبة في عجالة، على ورقة ممزقة من دفتر مدرسي مكتوب فيها: "ما نفع السعادة، إذا لم يتقاسمها المرء يا حبيبي أمين؟ كانت أفراحي تخمد كلما كانت أفراحك لا تجاريه، كنت تريد أطفالاً. كنت أريد أن أستحقهم. ما من طفل بمأمن تماماً بدون وطن.. لا تنقم علي".

سهام [1].

بدأ الراوي روايته من نهايتها، حيث كشف عن شخصيات الرواية ونهاية حياة البطل الذي سيقتل مع الشيخ مروان بقذيفة تلقى في أحد الأحياء الفلسطينية من قبل الجنود الصهاينة بعدما ييأس وهو يبحث عن الحقيقة ومعرفة الدافع الذي جعل زوجته تقوم بالعملية الانتحارية ومن كان السبب وراء فعلتها، فمنهم من يراها انتحارية ومنهم من يراها عملية استشهادية وأن سهام زوجة "أمين" بطلة ضحت لأجل وطنها، لكن زوجها أهين وطرد من منزله ولم يعد إلى مكتبه من يوم الحادثة، لأن الشرطة ظنت أنه ساعد زوجته لقيامها بالعملية، لكنهم أدركوا فيما بعد أنه ضحية هو كذلك "اعتبروا فيها أنني كنت ضحية أسوة بالضحايا الذين لقوا مصرعهم في المطعم الذي فجرته زوجتي"[2]، فيتنقل البطل من تل أبيب إلى بيت لحم، ترافقه صديقته "كيم ياهودا" في رحلته، "أصرت كيم على مرافقتي إلى بيت لحم"[3]، ثم تخبره جماعة بأن زوجته التقت بالشيخ مروان الذي يتنقل من مكان لآخر، فأحيانا يخطب في حيفا وأحيانا في بيت لحم، أو جنين أو غزة، أصرّ البطل على المكوث ببيت لحم لمقابلة الشيخ، "-أريد أن أقابل الإمام. – إنه مريض. أصيب بوعكة هذا الصباح. لن يعود قبل أيام."[4]،

لكن البطل لاقى تجريحا وضربا عنيفا ومنع من رؤية الشيخ، احتجز في قبو مظلم لا إنارة فيه، "بقيت ستة أيام وستة ليال محتجزا في جحر منتن، فريسة للقمل والصراصير"[5]، قابل أحد القادة الذي أخبره عن زوجته قائلا: "إذا لم تخبرك زوجتك عن نضالها، فهذا لا يعني أنها خانتك. لم يكن لديها ما تقوله لك، لم يكن لديها تبريرات تقدمها لأحد... بما أنها فوضت أمرها لله... لا أطلب أن تغفر لها، فما هي مغفرة الزوج حين تكون قد حصلت على نعمة الله؟"[6]، انصرف البطل إلى مكان آخر ليبحث عن الحقيقة عله يجد الشيخ مروان الذي قابلته زوجته قبل قيامها بالعملية ليباركها، لكنه لم يجد تفسيرا لكل ما ذهب لأجله، انتهت حياته عند رؤيته للشيخ إثر انفجار أودى بحياة الشيخ والبطل "لا أدري لماذا لا يبقى أحدهم قربي، يتوقفون، ينظرون إلي، وينصرفون، هذا ليس طبيعيا "[7].

انتهت الرواية وأحداثها لا تزال مستمرة وتركت تساؤلات عديدة لدى القارئ منها: هل كانت العملية انتحارية أم استشهادية، وما حد الانتحار والاستشهاد.

الشخصيات في رواية "الصدمة":

الشخصية الروائية هي لب العمل الروائي لذا رأى بعض الباحثين أن أفضل تعريف للرواية هو أنها "فن الشخصية"، أي الفن الذي يقدم تجربة إنسانية من خلال تصويره لمجموعة من الشخصيات في واقع محدد زمانيا ومكانيا[8]، فالشخصية أحد أهم العناصر الأساسية المكونة للعمل الأدبي إذ لا يستقيم إلا بها، فهي «تحتل موقعا هاما في بنية الشكل الروائي، وهي أحد المكونات الأساسية للرواية، إلى جانب السرد والبيئة، وللشخصية أهميتها كعنصر أساسي في الرواية وذلك بتصوير المجتمع الإنساني الذي يشكل فيه الشخص العمود الفقري والقوة الواعية التي يدور في فلكها كل شيء في الوجود. إذن، لا رواية من دون شخصية تقود الأحداث وتنظم الأفعال وتعطي القصة بعدها الحكائي... ثم إن الشخصية الروائية فوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عبره كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية الضرورية لنمو الخطاب الروائي وإطراده»[9]. وسعت مدارس النقد الحديثة لقتل الشخصية وتهميشها إلا أنها صمدت ورسخت في عقل كل أديب «فلم تستطع أية قوة أن تسقطها من على المنصة التي وضعها القرن التاسع عشر عليها، بل إن النقد لا يعترف بالروائي الحقيقي إلا بها، فالروائي الحقيقي هو ذلك الذي يخلق الشخصيات»[10]، ومن ثم فالروائي يقوم بخلق شخوص تدير شؤون أحداث روايته فهو أمام تحد كبير فيدفع بالقارئ «للاقتناع بالعالم الذي يقدمه والشخصيات التي يصنعها»[11]، وتلك هي مهمة الروائي كما يؤكدها **فورسته**، فالروائي "يتخيل أبطاله يحسون ويتكلمون ويتحركون، وتبدأ ملامحهم بالاتضاح له،

وكثيرا ما يستعير الكاتب نماذج شخصياته من الواقع... ويمزجها بملامح أخرى من خياله... وحين يتخيل الكاتب شخصيات الرواية، يبدأ بفتح ملف كل شخصية يصفها فيه وصفا دقيقا وكأنها شخصية حقيقية، ويضع لها سيرة وتاريخا، ونسبا ولا يفوته شيء من الوصف الخارجي بما في ذلك البيئة التي عاش فيها والمدارس التي تلقى تعليمه بها"[12]، فالشخصيات تتعدد وتتنوع في رواية "الصدمة"، فلكل شخصية مميزات وخصائص متفردة عن غيرها.

أمين جعفري: بطل الرواية وراويها، شاب، يعمل طبيبا جراحا في أحد أكبر المستشفيات الإسرائيلية "مستشفى إيشيلوف"، فلسطيني الأصل إسرائيلي الجنسية، يقطن بأحد أرقى أحياء تل أبيب، محترم من قبل اليهود وخاصة مديره، نال جوائز عديدة على أبحاثه العلمية وجودة آدائه المهني، لكن سرعان ما تتغير نظرة اليهود له فيصبح عندهم عربيا إرهابيا قذرا رغم جنسيته الإسرائيلية، يقول الطبيب: "زمجر وهو يدفعني بيد حقودة قائلا: -أفضل الموت على أن يلمسني عربي... بصق عليّ"[13]، يتهم بالتواطؤ مع زوجته التي تسببت في تفجير مطعم، صدم عند رؤيته لجثة زوجته التي يستحيل التعرف عليها. يقول: "شاهدت أجسادا مشوهة في حياتي، ورقعت منها العشرات..، ولكن الأعضاء الممزقة التي أراها أمامي، هنا على الطاولة تفوق كل وصف. إنه الرعب بكل بشاعته المطلقة... وحده رأس سهام الذي وفرته على نحو يدعو للعجب الأضرار التي شوهت بقية جسدها، يبرز بعينيه المغمضتين، وفمه المشقوق، وملامحه المستكينة كأنها تحررت من هواجسها..."[14].

يحاول البحث في رحلة طويلة عن الدافع الذي ترك زوجته تتسبب في تلك المأساة منتقلا من تل أبيب وكفركنا إلى الناصرة، القدس وبيت لحم، جنين، يتعرض فيها للشتم والضرب ثم الاعتقال، يفرج عنه، تنتهي الرواية في اللحظة التي يلفظ فيها البطل أنفاسه الأخيرة في غارة صاروخية شنتها الطائرات الإسرائيلية لاغتيال أحد القادة الشيوخ. ترمز شخصية البطل لذلك العربي الذي انسلخ عن جلدته، ولا يدافع عن قضيته الفلسطينية رغم جذوره العربية، ولا يقيم الشعارات الدينية، كالصلاة والصوم..، يتعايش مع اليهود ويفضل البقاء معهم، حيادي، غير مبال بالصراع القائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين، زوج مخدوع من قبل زوجته التي أخفت عنه الأهم، "أعيش مع سهام أكثر من خمسة عشر عاما. أعرفها عن ظهر قلب. أعرف ما بمقدورها وما ليس بمقدورها أن تفعل. يداها ناصعتان، ولو تلطختا بأقل لطخة، لما فاتني ذلك. إذا كانت أكثر الضحايا تشوها، فهذا لا يعني أنها مشتبهة.."[15]، وفي النهاية يقتل البطل بقذائف لصاروخ إسرائيلي في أرض فلسطينية.

سهام: زوجة البطل، فلسطينية الأصل إسرائيلية الجنسية، كانت تعشق البحر وتنبهر بساعة الغروب، اعتادت الإقامة عند جدتها في كفر كنّا قرب الناصرة، لأنها تعشق المزرعة

والسهرات والزيارات العائلية هذا ما كان ظاهرا لزوجها لكنها في الحقيقة كانت تطمح إلى أن تكون فدائية استشهادية وكانت تحضر لتحقيق ذلك، وضعت حسابها المصرفي لصالح القضية وكانت محرك فرع الحركة في تل أبيب، تتمنى أن تكون أمّا تحتضن أطفالها، بعثت برسالة لزوجها من بيت لحم قبيل خروجها لتنفيذ العملية، تحتوي الرسالة على أربعة أسطر فقط في عجالة، مكتوبة على ورقة منزوعة من دفتر مدرسي، تقول: "ما نفع السعادة إذا لم يتقاسمها المرء يا حبيبي أمين؟ كانت أفراحي تخمد كلما كانت أفراحك لا تجاريها. كنت تريد أطفالا. كنت أريد أن أستحقهم. ما من طفل بمأمن تماما بدون وطن... لا تنقم عليّ. سهام"[16]، لم تحضر سهام في الرواية حية بل حضرت ككائن ميت، توحي هاته الشخصية بالإقدام والشجاعة والتضحية والدفاع عن شعبها ووطنها حتى وإن أودى ذلك بحياتها كما ترمز لفلسطين الميتة وتخاذل العرب عنها.

عزرا بن حاييم: يهودي، مدير مستشفى "إيشيلوف"، رجل نشيط ويقظ، تجاوز الستين، مخلص في عمله أول من يأتي إليه وآخر من ينصرف، يلقبونه بالرقيب لفرط استبداده، له علاقة أخوية بالبطل، كان يدافع عنه ويتضامن معه دون أن يعرف من البادئ، شخصية متواضعة وصارمة في آن، يعكس "عزرا "شخصية المتعاطف مع صديقه رغم يهوديته.

كيم يهودا: زميلة البطل في العمل، يهودية الأصل، دكتورة، جميلة وعفوية، مرحة وسخية، شعرها فحمي متهدل على ظهرها وعينيها نجلاوين مكحلتين، تعرفت على البطل في الجامعة، كان يسبقها بثلاثة أشواط، أحبا بعضهما. تزوجت من شاب روسي وفد من الكومسمول، ولكن بعد انهيار الإمبراطورية السوفياتية عاد الروسي إلى دياره بدون سابق إنذار، استعادت زمالتها بالبطل الذي تزوج بسهام، كان لها دور كبير في الرواية فهي التي أعانته على تخطي الصدمة، بقي في منزلها بـ: "سيديروت يروشالايم"، بعدما لاقى الشتم والضرب من جيرانه اليهود، رافقته في رحلته للبحث عن الحقيقة إلى بيت لحم "أصرت كيم على مرافقتي إلى بيت لحم. كان ذلك شرطها لتسمح لي بمثل هذه المجازفة الفاضحة."[17]، استقرا أولا في البيت الصيفي الذي اشتراه شقيق كيم "بنيامين" بالقدس، ثم انتقلا إلى بيت لحم. وقد أبدى الكاتب اهتماما بشخصية المرأة في عمله الفني وإن كانت «محفزا سرديا نحو التحول السالب والانقلاب القيمي والسلوكي»[18]، ترمز هاته الشخصية إلى الوفاء وطيبة القلب، والموطن الذي احتمى به البطل بعدما أوصدت في وجهه كل الأبواب.

إيلان روس: مداوم في المستشفى، بخدين متهدلين، جراح ممتاز، صديق البطل، لكن سرعان ما يتحول إلى عدو لدود، فيحرّض أغلبية الطاقم الطبي ضد جعفري معترضا على عودته ومطالبا بتجريده من جنسيته الإسرائيلية. وسبب عدائه للبطل غيرته من نجاحاته

وجوائزه التي نالها جراء أبحاثه العلمية، رغم تميز "روس" كان البطل يفوقه، والسبب الآخر للعداء فقدان "إيلان" لأخيه الأصغر، الرقيب في حرس الحدود، أثناء كمين في جنوب لبنان منذ عشر سنوات، ما أدى به إلى عدم نسيان أصول البطل عن كونه عدوا محتملا،

نافيد رونين: مسؤول رفيع في الشرطة، صديق البطل، هزيل، زوجته مارغريت، له أبناء من بينهم إيديت التي أراد أن يزوجها بميكانيكي، قام نافيد بالتحريات لمعرفة الجاني، فيما يخص التفجير فاستدعى البطل ووجه له أسئلة عديدة عن زوجته التي ادعت أنها مسافرة إلى جدتها بكفر كنا، وبعدما أفرجوا عنه، وجد نافيد بانتظاره أخبره بتسديد غرامة لاسترداد جثة زوجته الانتحارية.

النقيب موشي: ضابط شرطة، قصير القامة، أجلح الرأس، قام بتفتيش منزل الطبيب لمعرفة إن كانت زوجته سهام ضمن الأصوليين، كان مهتما برتبته كضابط لكنه "مجرد وحش ضار واثق من مناورته"[19]، يزج بالبطل في السجن لمدة يومين وفي اليوم الثالث يفرج عنه، وبينما هو في السجن يقوم النقيب باستنطاقه لمعرفة الحقيقة، وكلما شعر "جعفري" بالنعاس يخضعونه لضابط جديد ونشيط والأسئلة نفسها تتكرر، يمثل "موشي" الضابط اليهودي الذي يكن حقدا للعرب ومنهم البطل، الذي أفعمه بالأسئلة، وظن أنه هو من دفع زوجته لتلك العملية.

حنان شداد: جدة سهام، سألتها الشرطة عن سهام التي زارتها لكن حنان صرحت لهم أنها لم تر حفيدتها أكثر من تسعة أشهر، أصيبت الجدة في نهاية الرواية بنزيف في الدماغ، نقلت إلى مستشفى الناصرة، تعد هاته الشخصية بمثابة المساعد لمعرفة ذهاب سهام، وحقيقتها ومن كان وراء قيامها بالعملية التفجيرية.

بنيامين: الشقيق البكر لـ"كيم"، درّس الفلسفة في جامعة تل أبيب ثم انضم إلى حركة سلمية في القدس، له منزل صيفي بالقدس استراح فيه البطل مع كيم، أثناء رحلته البحثية، "يقع بيت بنيامين في ضاحية المدينة اليهودية،... يلوح كأنه يولي ظهره للمدينة الأسطورية من أجل تركيز انتباهه على البساتين... منعزل عن العالم ومتغيراته"[20]، يستدعي هذا الاسم شخصية دينية وهي شخصية بنيامين الأخ الأصغر للنبي يوسف بن يعقوب.

يهودا: جد كيم، عجوز ناحل، بدت العظام في أعلى وجنتيه، "يتماثل للشفاء من سرطان في غدة البروستاتا أوهن قواه في غضون أشهر قليلة"[21]، له بيت صغير على شاطئ البحر، يفرح بزيارة الناس له، زاره البطل وكيم بعد الصدمة، وكانت هاته الشخصية بمثابة المتنفس الذي وجد فيه البطل الهروب من الصدمة التي تعرض لها، لمحبته له، وطيبة قلبه.

ليلى: أخت أمين بالرضاعة تقطن ببيت لحم، لا تتجاوز الخامسة والأربعين من العمر، لكنها تبدو في الستين، لترهل ملامحها وغزو الشيب لشعرها، زوجة ياسر لها أبناء من بينهم: عادل ومحمود، تتبع علاجا حيث تتجرع أقراصا بكميات هائلة يوميا، فيصبح نبضها ضعيفا مما يسبب لها الإغماء، زارها الطبيب في رحلته البحثية لكنها لم تفده بشيء، بحجة أنها ذهبت يوم الجمعة لحضور طهور حفيدها (ابن ابنتها البكر) بعين كرم، وتعكس الشخصية في الواقع الجدة الرؤوم التي تسعى لرعاية أحفادها وحماية أبنائها.

ياسر: زوج ليلى أخت البطل، تجاوز الستين، يعمل في معصرة، "أصبح مجرد خرقة بعينيه المتآكلتين، وفمه المتراخي، تنهار مع أول تقطيب حاجب"[22]، زاره الطبيب أخبره أن سهام جاءت مسرعة إلى بيته، لكنها لم تكن تنوي زيارتهم يوم الجمعة بل ليباركها الشيخ مروان، عرف عن ياسر خوفه من رجال الشرطة، وخضوعه الأعمى لسلطة الدولة، لذا كان متحفظا مخافة زلة لسان عند حديث البطل معه.

عادل: ابن ياسر وليلى أخت البطل بالرضاعة، شاب مفعم بالحيوية، لم يبلغ الخامسة والعشرين بعد، يحلم بالنجاح، اشترى مستودعا مهجورا بثمن زهيد ليستثمر في الميكانيكا، لكن سرعان ما أفلس مشروعه لأن أبناء شعبه لا يكترثون للاستنزاف الذي يصيب سياراتهم، خسر عادل جراء ذلك الكثير من المال، بعدها حول المستودع إلى مرأب للأهالي ببيت لحم، يملك مرسيدس قديمة الطراز، عاجية اللون، كانت علاقته بسهام زوجة البطل نضالية لا غير يبرر ذلك بقوله للبطل الذي ظن أن زوجته "سهام"خانته مع عادل: "لن أسمح لك بتلطيخ ذكراها. كانت سهام نقية، لا يمكن أن تخون زوجها وإلا أغضبت ربها... كانت سهام إمرأة فاضلة، كانت ملاكا طاهرا. لكانت اللعنة حلت عليّ لو أطلت فيها النظر"[23].

عصام: حفيد ياسر، زيتوني السحنة، تلميذا في المدرسة، استدعاه البطل ليسأله عن سهام، فأخبره أنها زارت بيت جده ياسر، بينما كان يحل واجباته المدرسية ويحرس البيت، وطلبت منه ورقة فمزّقها من دفتره المدرسي، كتبت رسالة وكلفته بإرسالها عبر البريد وذهبت، ذكر الروائي هاته الشخصية رغم دورها البسيط في الرواية إلا أنها وضّحت كثير من الغموض والتساؤلات التي طرحها البطل، كما أنها كانت محطة هامة لسهام قبل تنفيذها للعملية.

الشيخ مروان: خطيب وإمام في مساجد، ليس له مكان محدد فمن حيفا إلى بيت لحم وجنين، غزة، نصيرات، رام الله... يبارك العمليات الانتحارية، وينصح الفلسطينيين للجهاد والتضحية بالنفس لأجل دحض الأعداء، ذهبت إليه سهام يوم الجمعة ليباركها وتسمع خطبته قبيل العملية التفجيرية، قائد الحركة الفلسطينية، المحرك الفعلي والأساسي للاستشهاديين، يصوره الروائي في نهاية الرواية وقد أصيب بقذائف صاروخ في ضربة مميتة "تشتعل سيارة

الشيخ. يحاول شبحان مضرجان بالدماء إخراجه من الحريق بأيديهم العارية، يفككان الحديد المشتعل، يحطمان الزجاج، وينكبان على الأبواب.."[24]، وفي بداية الرواية يعطينا الروائي صورة مختصرة عن الرواية ومجريات الأحداث يقول: "وينجحون في إخراج جثة الشيخ"[25].

عباس: خال سهام، ينتعل جزمة مطاطية ويخوض في الوحل حتى الركبتين، يملك شاحنة صدئة، صدم البطل لما أخبره عن العلاقة التي تربط سهام بعادل، يقول: "ثمة إشارات لا تخطئ. لم أكن بحاجة لأباغتهما الواحد بين ذراعي الآخر، فأسلوبهما في التجول معا كان يكفيني"[26]، يعكس شخصية البائس المريض، والفطن في آن.

جميل: ابن عم البطل، كان قريبا منه جدا في سنوات المراهقة، صار مرافق الشاحنات في رام الله، رب أسرة طيب يحب البطل ويزوره في تل أبيب.

خليل: ابن عم البطل، أخو جميل الأكبر كان يكبر البطل بعشر سنوات، زاره البطل في منزله بـ"نابلس" أثناء رحلته، لأن آخر الأنباء تفيد أن عادل كان يقيم عنده، لكنه لم يجده، فعاد البطل مع جميل إلى "رام الله".

عمرو: العم الأكبر للبطل، عميد العشيرة، حج مرارا وزار بلدانا كثيرة، وامتطى خيولا عربية أصيلة، قاتل في جيوش لورانس العرب "ذلك الإبليس الشاحب القادم من بلاد الضباب ليستنهض القبائل ضد العثمانيين ويزرع الفتنة بين المسلمين"[27]، كان حارسا ملكيا لابن سعود ثم انتقل من إمارة إلى سلطنة ليتحول إلى مهرب أسلحة في صنعاء، وتاجر سجاد في الإسكندرية قبل إصابته بجروح بليغة وهو يذود عن القدس عام 1947، ثم أصيب بنوبة قلبية ما أدت إلى تقوس ظهره إثر تدمير بساتين أبيه لصالح مستوطنة يهودية بجرافات إسرائيلية.

وسام: أخو فاتن، حفيد عمرو صبي كبر بسرعة وصار شابا أطول قامة من البطل، حضر الاحتفال بمناسبة قدوم البطل، فذبح ثلاثة خراف وأتحفهم بحفل شواء يليق بالأفراح والمناسبات، ثم عاد إلى جنين، وبعد أيام أبلغوا البطل وعائلته بوفاته "-وسام... سقط في ساحة الشرف، هذا الصباح. وضع متفجرات في سيارته، وهاجم بها نقطة تفتيش إسرائيلية..."[28].

فاتن: حفيدة عمرو، تبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما، تلقب بالأرملة العذراء، توفي زوجها الأول في موكب العرس، وقتل خطيبها الثاني في اشتباك مع دورية إسرائيلية قبل ليلة الدخلة بيومين، امرأة خشنة الطباع قوية البنية، تعرضت للصدمة بعدما دمرت جرافة إسرائيلية منزلهم، "حبست فاتن نفسها في صمت منيع"[29]، أصبحت امرأة فاقدة الحيوية، زائغة وصموتة "ذات مساء، عادت سيرا على الأقدام إلى البستان المنكوب، وقد استرسل شعرها خلف ظهرها –هي التي كان منديلها لا يفارقها"[30]، وسرعان ما اختفت فاتن، بحث عنها البطل وظن أنها انضمت لصفوف المجاهدين الإسلاميين، كما فعلت سهام، ولكن دون جدوى. تنتهي

الرواية دون أن يخبرنا الروائي ماذا حل بفاتن، هل قتلت؟ أم انتحرت.. ليترك القارئ في حيرة موجها تساؤلات عديدة بخصوص هاته الشخصية التي لم يرد ذكرها إلا في الصفحات الأخيرة من الرواية. ما يولد تأويلات عديدة تؤدي إلى استمرارية العمل الفني وخلوده.

مما سلف يمكن القول إن شخصيات رواية "الصدمة" لم تكن شخصيات فنية فقط بل أضحت حقيقية، وقد أصبحت قضية بناء الشخصية من القضايا المهمة في العمل الروائي لاستهدافها للقارئ، وللرسالة التي تؤديها، ومن خلال تباينها في نظرتها للحياة، فهي شخصيات نابضة بالحياة مصورة بشكل فني دقيق، يقول أرنولد بنث: "بأن قاعدة النثر الجيد هي رسم الخصوصيات، وليس شيئا آخر ومشكل الشخصية هو قبل كل شيء لساني، لأنه لا يوجد خارج الكلمات، ولأنه أيضا "كائن ورقي" وسيكون من العبث رفض أي علاقة بين الشخصية والشخص: تمثل الشخصيات أشخاصا، تبعا لظروف خاصة بالتخييل"[31]. فشخصيات العمل الروائي لا يحس القارئ بأنها شخصيات فنية ليس لها وجود حقيقي، بل يستدعي شخصيات واقعية معبرة عن تلك الشخصيات الفنية بطريقة ابتكرها الروائي.

مراجع البحث وإحالاته:

1. ياسمينة خضرا، الصدمة، تر: نهلة بيضون، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 01، 2007، ص: 85.
2. م، ن، ص: 113.
3. م، ن، ص: 127.
4. م، ن، ص: 183.
5. م، ن، ص: 154.
6. م، ن، ص: 249.
7. م، ن، ص: 293.
8. أحمد إبراهيم الهواري، نقد الرواية في الأدب العربي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 2003، ص: 98 وما بعدها.
9. محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1999، ص: 152.
10. آلان روب جرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر، ص: 34.
11. نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد دار الكتاب العرب، دمشق، ص: 112.
12. عبد الله خمار، تقنيات الدراسة في الرواية "الشخصية"، دار الكتاب العربي، الجزائر، ديسمبر 1999، ص: 23.

13. الصدمة، ص: 23.
14. م، ن، ص: 39.
15. م، ن، ص: 53.
16. م، ن، ص: 85.
17. م، ن، ص: 127.
18. محمد معتصم، الرؤية الفجائية، الأدب العربي في نهاية القرن وبداية الألفية الثالثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط. 01، 2003، ص: 148.
19. م، ن، ص: 46.
20. م، ن، ص: 128-129.
21. م، ن، ص: 89.
22. م، ن، ص: 143.
23. م، ن، ص: 257-258.
24. م، ن، ص: 292.
25. م، ن، ص: 10.
26. م، ن، ص: 211.
27. م، ن، ص: 270.
28. م، ن، ص: 283.
29. م، ن، ص: 286.
30. م، ن، ص، ن.
31. تزيفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005، ص: 71.

ابن المرأة الأندلسي
وجهوده في التصوف وعلم الكلام

الأستاذ: زوهري وليد

جامعة المدية ـ الجزائر

الملخص: يسلط هذا البحث الضوء على جهود واحد من أعلام التصوف الأندلسي العاملين، الذين لم يلقوا العناية الجديرة به، بسبب الانحصار في دائرة بعض المتصوفة التقليديين الذين كثر الاهتمام بهم، وتشعبت حولهم الدراسات والابحاث، مساهمة منا في تجلية هذه الشخصية العلمية والتعريف بمكانتها في تنشيط الحركة الثقافية الإسلامية في الأندلس، واستقراء أقوالها في أهم مسائل العقيدة والتصوف، والتوصل من خلال ذلك إلى تحديد مذهبها الاعتقادي وقد ظهر أنها آخذة بطريقة مستقلة، متوسطة بين المتكلمين والصوفية الفلاسفة، مع ميل إلى أقوال الأشاعرة. هو المفسر الصوفي المتكلم: ابن المرأة الدهاق

الكلمات المفتاحية: التصوف؛ علم الكلام؛ الحياة الفكرية؛ الأندلس؛ الفقه.

Ibn Al Maraa Al Andalusi and his Contributions to Sufism and Speculative Theology

Abstract

This research aims to sheds light on the efforts of one of the most influential sufi Andalusian workers, who were not given enough attention due to the siege of some of the traditional sufi who enjoyed enough interest. Our contribution is to help discover this scientific personality and show its important status in the revitalisation of the Islamic cultural movement in Andalusia, and extrapolating his views about the most important issues of faith and mysticism so as to reach through this to determine his doctrine of belief, and has appeared to take an independent, medium between the speakers and Sufi philosophers, with a tendency to the words of the poet. He is the interpreter Sufi speaker: Ibn Al Maraa Al Dahhak

Key words: Sufism- speculative Theology - Intellectual life - Al Andalus - Islamic jurisprudence

---

تاريخ إيداع البحث: 01 جوان 2017.

تاريخ قبول البحث: 09 ديسمبر 2018.

نالت علوم الشريعة عند أهل الأندلس والمغرب العناية الفائقة والتقدير الفريد، حيث كانت الجذوة التي أشعلت فتيل نهضة حضارية راقية، فلمع نجم أساطين من علماء الفقه والأصول والتفسير والحديث والتصوف وعلم الكلام.

يسلط هذا البحث الضوء على جهود واحد من أهم أعلام الأندلس، مساهمة منا في التعريف بسيرته ومؤلفاته، صاحب هذه الشخصية - وإن لم ينل حقه من البحث والدراسة - فقد كان له أثر واضح في عديد جوانب حياة الأندلسيين الفكرية، هو المفسر والصوفي المتكلم: ابن المرأة الأوسي الأندلسي.

لقد قسمت البحث إلى مطلبين اثنين، تحدثت في الأول منهما عن سيرة ابن المرأة الذاتية ونشأته العلمية، مع توضيح ذلك بالحديث عن أحوال عصره، وبيان أثره في الحياة العامة، ثم استعرضت شيوخه وأقرانه وتلامذته، وفي القسم الثاني قمت بدراسة جهوده وآثاره العلمية، مبتدئًا بالحديث عن جهوده في مجال الدعوة والتدريس، ، وأركز على جهوده في مجال التصوف وعلم الكلام، وقراءة في مصنفه شرح محاسن المجالس.

سيرته:

هو: ابراهيم بن يوسف بن محمد بن الدهاق الأوسي المالكي يكنى بأبي إسحاق ويعرف بابن المرأة[1]من أهل مالقة، حيث عاش فيها دهرا طويلا ثم انتقل إلى مرسيّة باستدعاء المحدث أبي الفضل المرسي والقاضي أبي بكر بن محرز، زار العديد من البلدان أهمها تلمسان حيث التقى شيخه الشوذي الحلوي في إحدى الزيارات العائلية[2] وبموت الشوذي انتقل ابن المرأة إلى مرسيّة تسبقه شهرته في علم الكلام والتصوف

كانت وفاته رحمه الله في سنة 616هـ ذكر ابن الأبّار في تكملة الصلة أن وفاته كانت عام 611هـ.

هو فقيه مالكي حافظ ذاكر للحديث والتفسير والأدب والتصوف غلب عليه علم الكلام.

كان في مالقة يتاجر في سوق الغزل، وكان صاحب حيل ونوادر يلهي بها أصحابه ويؤنسهم، حسن الفهامة والمعاشرة، شاهد منه بعض العلماء ما يخالف الشرع فنافروه وباعدوه، كان يستطيع أشياء غريبة من الخواص وغيرها وبذلك فتن الجهلة[3]

أتى علم التصوف من باب علم الكلام فعكف على شرح مؤلفات الأشاعرة تحت رعاية السلطة الموحدية، ولعل أهم كتاب للمذهب الأشعري هو الإرشاد لأبي المعالي إمام الحرمين الجويني (ت478هـ-1085م)[4]، كما ظهرت له شروح كثيرة كان لها دور كبير في رسوخ العقيدة

الأشعرية بالمغرب والأندلس، حيث مثل سلطة مرجعية قوية لمجموع ما ظهر من المتون الأشعرية ومؤلفات شارحة أو ناظمة لمبادئ هذه العقيدة[5] ولابن المرأة أيضا شرح أسماء الله الحسنى وكتاب في إجماع الفقهاء فرغ منه عام 610ه وشرح محاسن المجالس لابن العريف وهو موضع بحثنا، والملاحظ أن طابع التصوف باد في هذا الكتاب بصورة واضحة، ولكن له من العناية بتحقيق المسائل الكلامية الحظ الأوفر.

شيوخه:

لا شك أن ابن المرأة قد أخذ عن عدد من علماء عصره، وقد أشار إلى ذلك أصحاب التراجم والتواريخ، ومنهم:

-أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم[6] يرتفع نسبه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولد ونشأ بفاس وكان من كبار زهادها كان أبوه من كبار الصالحين وكذلك أخوه وعمه، توفي أواخر شعبان عام 559ه ودفن بفاس يتردد على زيارته الناس حتى اليوم لأجل بركاته، مشارك في علوم الشريعة ولكنه إلى علم التصوف والتحقيق أميل، كانت له صحبة مع أبي الحكم بن برجان[7] فنادى الناس بتكريمه وشهود جنازته بعدما أمر السلطان علي بن يوسف بن تاشفين[8] برميه في المزبلة.

-عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري أبو القاسم بن حبيش[9] عالم بالعربية والقراءات، بارع في النحو، من أهل المرية ولد عام 504ه ولي القضاء بجزيرة شقر ثم بمرسة عن سن عالية حيث توفي عام 584ه كان الناس يهلكون من الزحمة على قبره له "المغازي".

-أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي التلمساني المعروف بالحلوي[10] إمام العارفين وسيد الصالحين نزيل تلمسان نسبت له التصرفات الغريبة، كان قاضيا بإشبيلية ثم آثر ترك مهنته وبلده من أجل التصوف متجها إلى تلمسان مبشرا به متخذا الغناء والإنشاد سبيلا لذلك، كما انصرف إلى تعليم الحديث والتفسير الذوقي للقرآن الكريم توفي الشوذي مع مطلع القرن السابع الهجري تاركا في تلمسان أكثر من مريد. تحدث ابن المراة عن لقائه ابن المرأة بالشيخ الشوذي: "فخرجت إليه من الغذ فوجدته جالسا بالمسجد لوعدي، فسلمت عليه وجلست بين يديه، فقال: ما الذي تريد قراءته؟، فقلت: ما ألهمك الله إليه. قال: اقرأ كتاب الله العزيز أولا فهو أحق أن يفتتح به، فتعوذت بالله من الشيطان الرجيم وقرأت بسم الله الرحمن الرحيم فتكلم في فضلها عشرة أيام، ثم قرأت عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شيئا من الأدب، قال المخبر عنه فكل ما تسمعونه من أدب مني فمنه استفدته وعنه أخذته في مدة حولين كاملين"[11]

تلاميذه:

-أبو محمد عبد الحق بن برطلة الأزدي[12] من أهل مرسيّة عالم في الفقه والحديث ولد سنة 580هـ وتوفي بتونس العام661هـ كانت جنازته مشهودة.

-أبو عبد الله محمد بن أحلى[13] انتقل من الدراسة والعلم إلى الرساية حيث أصبح من أمراء الأندلس بلورقة قاوم الأسبان عند دخولهم مرسيّة عام 640هـ، كان كأستاذه يمزج التصوف بعلم الكلام له أشعار كثيرة تبرز معتقده اختار ابن الأبار أجملها موردا إياها في "الحلة السيراء"، وقد ذكر ابن الخطيب في "روضة التعريف" أن ابن أحلى من جملة أساتذة ابن سبعين[14]. وا لظاهر أن ابن سبعين لم يتتلمذ على ابن دهاق بالأخذ عنه مباشرة لأن ابن سبعين ولد سنة (614هـ) وكانت وفاة ابن دهاق سنة (611هـ)، ويبدوا أن ما ذكره المترجمون لابن سبعين عن أخذه عن ابن دهاق، يعني تتلمذه على كتبه، أو أخذه عن بعض تلاميذ ابن دهاق كابن أحلى، إذ يذكر الفاسي في "العقد الثمين" أن ما ظهر به ابن سبعين مأخوذ من عقيدة ابن دهاق وابن أحلى[15]

بيئته العلمية:

تأثر ابن المرأة بأجواء الحركة الصوفية المجددة التي عرفها الاندلس نهاية العصر المرابطي وحتى قيام الدعوة التومرتية وظهور أعلام كبار أمثال الشوذي وابن قسي[13] وابن برجان وابن العريف[16]فغدا- وبكل ما كان يتبناه من اتجاه صوفي كلامي - حلقة من الحلقات المفصلية الفاعلة في نشوء التيار المناهض للآراء الفقهية المالكية التقليدية، حيث رمي علماء المرابطين بالشرك والتجسيم لتمسكهم بظاهر الآيات المتشابهات، وحُمل المغاربة على الالتفاف بمذهب التوحيد الكلامي والعلوم العقلية وقد صور ابن بطلموس دور المهدي في عناية اهل المغرب والاندلس بعلم المنطق ضمن دوره في نشر فكر الغزالي (ثم لم تكن الأيام الا قليلا وجاء الله بالمهدي رضي الله عنه فبان به للناس ما كانوا قد تحيروا فيه وندب الناس في قراءة كتب الغزالي وعرف مذهبه أنه يوافق فأخذ الناس في قراءتها واعجبوا بها وبما رأوا فيها من جودة النظام والترتيب الذي لم روا مثله قط في تأليف، ولم يبق في هذه الجهات من لم يغلب عليه حب كتب الغزالي الا من غلب عليه افراط الجمود من غلاة المقلدين) [17] وظل يقاومهم حتى سقطت الدولة المرابطية وقامت الدولة الموحدية تحمل مذهبًا كلاميًا جديدًا، وكان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريق الأشعرية. وإن كانت كتب الأشاعرة في علم الكلام معروفة بين رجالها يتدارسونها في كافة أنحاء المغرب والأندلس[18]

وفي مرسية بجوامعها وزواياها ظهر اتجاه جديد يعرف بالشوذية نسبة إلى أبي عبد الله الشوذي الحلوي التلمساني الذي نقله ابن المرأة إلى مرسيّة تسبقه شهرته في علم الكلام والتصوف فاشتغل عليه أهلها بعلم الكلام و"جاهر بمذهب ابتداع لم يُسبق اليه"[19] فترأس فِيهِ واشتهر بِهِ ولم يزل بمرسيّة ينَاظر عَلَيْهِ ويُتحَلَّق إليه إِلَى أن تُوفي بهَا فِي صدر سنة إِحْدَى عشرَة وستّمائة[20]ومثله كان الإمام شرف الدين أبو الفضل السلمي المرسي [21] وهو من أكثر من نشر هذه الطريقة، ثم اشتهر من بعده من أصحاب بن المرأة وغير أصحابه أعداد في بلدان شتى، وكان أبو عبد الله ابن أحلى قد لزم بمرسيّة بن الدهاق يحدثه حوله فأصبح من أكثر المتكلمين الداعين إلى الاعتقاد الشوذي الناصر له[22] وزاد انتشار هذا المذهب وكثر أتباعه فيه من أهل بلده، ومنهم أيضا عبد الحق بن سبعين المتأثر بسابقيه[23] فقد أخبرنا ابن الخطيب أن ابن أحلى من جملة أساتذة ابن سبعين ويقول بدر ابن جماعة ولا شك أن هذا الذي ظهر به ابن سبعين هو مسترق من عقيدة بن المرأة وابن أحلى وأتباعه إذ كانوا كلهم اشتغلوا بمرسيّة[24]

انتشر في المدينة جمع من العلماء والفقهاء فقد كانت تموج بحركة علمية زاهرة وأهلها يحبون العلم حبا جمًّا، قال أبو عمر الطلمنكي: دخلت مرسيّة، فتشبث بي أهلها يسمعوا علي الغريب المصنف[25] كما انتشرت فيها حلقات العلم التي يتصدرها أئمة أعلام، ويقصدها طلاب العلم ومحبو الثقافة والمعرفة "فقد كانت حاضرة شرق الأندلس، ولأهلها من الصرامة والإباء ما هو معروف مشهور"[26]

نافست مدن الأندلس والمغرب أمهات المدن الإسلامية، حتى جذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفدوا لارتشاف العلم من مناهله والتزود من الثقافة الإسلامية، فقد بذل أمراء الأندلس جهدهم في إحياء العلم وإطلاق حرية التعبير والبحث وتوجيه كبير عنايتهم برجال الأدب والفن والتربية[27]، فأخرجت البلاد سادة الفقهاء المحدثين وكبار الفلاسفة والأطباء

لقد أصبحت الأشعرية المذهب الرسمي للدولة فقد أتى ابن تومرت إلى السلطة بأشعرية عميقة تلقاها من الغزالي، واتخذها مطية سياسية لتثبيت الحكم الموحدي، فطعن على أهل المغرب إمرارهم المتشابهات كما جاءت، وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، وأعلن بإمامتهم ووجوب تقليدهم[28]. يقول ابن خلدون: «وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدامغة في صدر أهل البدعة، وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآيات والأحاديث، بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف

في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت، ففطن أهل المغرب لذلك، وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بالتوحيد» [29].

غير أن هذا التوجه في حركة ابن تومرت لم ينفصل عن أهدافه السياسية المعلنة بشكل بارز، فنراه يتذبذب في مواقفه بين خليط من الأفكار والمفاهيم ذات امتداد شيعي أو ظاهري أو معتزلي في بعض الأحيان، وهو أمر لفت انتباه المؤرخين. يقول المراكشي: «وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها، وكان يبطن شيئاً من التشيع غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيئاً»[30]. فعلى الرغم من تشبعه بأفكار كبار الأشاعرة كالهراسي والغزالي والطرطوشي، إلا أنه لم يكن أشعرياً خالصاً، حيث نجده يدعو إلى فكرة المهدوية الشيعية والعصمة، مما حدا ببعض الأشاعرة المتأخرين وهو الفقيه أبو الحسن علي اليوسي إلى الحكم عليه بالضلال[31]، وعلى العموم فالظاهر أن مشكلة المذهب الفقهي لم تعد مطروحة كما كان الأمر عليه في عصر المرابطين فالمذهب المالكي زاحمه المذهب الحزمي الظاهري[32]، والآراء الصوفية الكلامية، وفي علاقة المهدي بن تومرت بالفقه المالكي تضاربت الآراء في تحقيقها، فبينما يذهب البعض إلى القول بمالكية ابن تومرت، وأنه كان معجباً بالمذهب المالكي مفتتناً به، إلا أنه كان يمقت علماء المرابطين، فرماهم بالجهل والطغيان والتجسيم والكفر ولذلك هاجم سلفية الإمام مالك في التوحيد ولم يهاجمها علانية في الفقه[33]، وكان يسبح في خضم المالكية[34] في حين ذهب البعض الآخر إلى التشكيك في مالكية ابن تومرت، وأنه كان يهدف من وراء دعوته في التوحيد إلى محو مذهب مالك من المغرب وحمل الناس على الظاهر من الكتاب والسنة[35]، وأن مسألة الظاهرية ليست آتية من عبد المومن ثم يوسف فقط، وإنما منشؤها الأصلي من ابن تومرت[36]

يمكننا القول أن البيئة الثقافية التي تترعرع فيها ابن المرأة كانت مشجعة نسبيا [37] على نموِّ هذا الاتجاه الصوفي المجدد المازج بين الآراء الصوفية والكلامية.

جهوده العلمية:

في مجال التدريس والتوجيه:

لم تسعفنا كتب التراجم والطبقات في رسم صورة واضحة لنشاط ابن المرأة الدعوي، إلا أننا لا نشك أن له باع طويلا في الميدان، فهو سليل المدرسة المسرية التي ينتمي إليها ابن عربي[38] وبن سبعين[39] والششتري[40] التي كان لها تأثير على المدرسة الشاذلية وخاصة عند بن عباد الرندي[41] وأما في مجال التدريس فلا شك في أن ابن المرأة كان له جهد في هذا الميدان أيضًا،

فقد ذكر في كتب التراجم بعض ممن تلقى العلم عنه من الأعلام ذوي المقام الرفيع اللذين حملوا عنه التفسير الذوقي للقرآن والعقيدة الأشعرية.

جهوده في الفقه:

إن التلازم بين الفقه المالكي والعقيدة الاشعرية سمة من سمات المالكية بالغرب الإسلامي الموحدي فقد تشبت المغاربة والاندلسيون منذ زمن الموحدين بالعقيدة الاشعرية حتى أضحت ثابتا من ثوابتهم الدينية ومقوما من مقوماتهم الفكرية

أسهمت الأشعرية رفقة المذهب المالكي والتصوف في خلق انسجام مذهبي وعقدي في المغرب والأندلس جنبهما كثيرا من القلاقل والفتن التي كانت تدور رحاها في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي. وعلى الرغم من ميل ابن المرأة لعلم الكلام والتصوف إلا أن اهتمامه بالفقه كان بارزا أيضا بمؤلفه الضخم والذي يقع في خمسة مجلدات وهو شرح الإرشاد لأبي المعالي[42] والذي يعد أهم ما خطه المؤلف، إضافة إلى كتاب إجماع الفقهاء.

جهوده في التصوف:

يعد ابن المرأة صاحب زهد وعبادة وسلوك عملي، ينتمي لمدرسة بن مسرة الاستسرارية التي تقول بوحدة الوجود، فالموجودات حسبهم هي مجرد تجل لحقيقة إلهية واحدة بل إن الكون والوجود كله هما مجرد تجليات أو صور تتنوع، ، وماهي في الحقيقة سوى أشباح اتصفت بصفة الوجود بسبب سيريان الروح الإلهية فيها[43] وان كان بعض المتصوفة من أتباع هذه المدرسة أمثال ابن سبعين الذي لم يقل إلا بالوحدة المطلقة، فإن ابن المرأة قد أفسح مجالا في مذهبه للوجود المقيد فيقول: «فالعقل هو الحاكم العادل بين الوجودين وجود مطلق، ووجود مقيد وهي الفطرة التي فطر الناس عليها »[44]

تعد هذه القضية- وحدة الوجود- أصل مذهب ابن المرأة وعنها تتفرع مختلف المسائل، فالحقيقة الوجودية واحدة في جوهرها متكثرة بصفاتها وأسمائها لا تعدد فيها إلا بالاعتبارات، ومن لم يصل إلى الوحدانية لم يصل إلى حقيقة الوحدة التي هي ساحل بحر الأحدية، من أجل ذلك فالصوفي في سفر مستمر إلى الآخرة، هو غريب على الدوام يتنقل من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام «العارف إنما يرتقي من العمل إلى الحال حتى يكون همه وهمته الوصول لا يلحظ ثوابا ولا غيره ليس له شغل إلا الذكر فما دام يذكر ويرى أنه ذاكر فهو مع نفسه لم يصل بعد من حيث فرق فجعل ذاكرا ومذكورا فهو محجوب بذكره فإذا فني عن نفسه وغاب عن ذكره فقد وصل فكان الله هو الذاكر وهو المذكور»[45] ومن خلال هذه الأحوال والتجارب يلج

العوالم الخفية وتخوض روحه اللطيفة رحلات العودة إلى العالم الطاهر بعد أن كان في عالم الوهم فالدنيا بمثابة منام مستمر «والعالم كله ظل للوجود الحقيقي للذات الإلهية»[46].

1-الفناء والبقاء:

إن التصوف علم لا يظفر به إلا من يلج بحار المجاهدات، ولا يصل إلى ساحله إلا من تحمل المشاق والمكابدات وسلك طريق المجاهدة للوصول إلى مكاشفة الأسرار، ومشاهدة الأنوار والدخول في عالم الفناء والبقاء وصولا إلى القطبية، ومن وصلها فهو من زمرة العارفين حيث« ارتقت هممهم من العمل إلى الحال، فتراهم لا يظهر لهم كبير عمل وهم مع الله لا يشتغلون بغيره. وذلك أن أعمالهم قلت في الظاهر إلا عن الواجب فصارت أعمالهم قلبية»[47].

إن غاية ابن المرأة من ولوج درب التصوف هو الوصول إلى حقيقة التوحيد المتمثلة عنده في مقام الفناء ولكي يحقق الصوفي فناءه الذاتي لابد من تحققه أولاً بالفناء الأخلاقي ولا يحصل ذلك بتبديل الأخلاق فقط بل بتصفية القلب والتوجه إلى الحق والزهد في الدنيا، فإذا تحقق العبد بالتوبة والزهد، ودوام العمل لله وصل إلى مقام ترك التدبير والاختيار ثم يصل إلى أن يملك الاختيار فيكون اختياره من اختيار الله لزوال هواه وانقطاع مادة الجهل عن باطنه والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالي وهو امتلاك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من الاختيار وهو مقام الفناء وتمليك التدبير والاختيار من الله، ورده إلى الاختيار تصرف بالحق وهو مقام البقاء مقام الغاية والنهاية «فلا يزال يقطع العلائق، حتى يُخبر عن الله ويُخبر عن خَبره فإذا انتهى هنا لا يبق له من المُخبرات إلا خَبره عن خبرِه المرتبط بالله فخبره عن الله مُخبِر خبرَه وهو غير الله ولا يصح له مع وجوده الفناء فإذا أُخبر عن الله ولم يُخبر عن خَبره كان الفنا وتحقق وكان هو المُخبَر والمخبِر ولم يبق للعبد أثر يرده عليه ثم يرجع من حيث ابتداء كذلك حتى ينتهي ليصير له ذلك ديدنا»[48].

يلاحظ انضواء الفناء والبقاء في تجربة بن المرأة الصوفية تحت مصطلح الذكر، حيث يرد الفناء فيه بمعنى التخلص من الفردية المقيَّدة ليتحقق القرب المباشر مع الله سبحانه، ويرد البقاء بمعنى اكتساب الصوفي لأعمق شعور وأوسع معرفة وأثبت إحساس بحضرة الله سبحانه، فالإقبال على ملازمة الذكر والأوراد ينتج التحقق بمقام التوبة والزهد وغيرها من المقامات، فلا بد للصوفي من ذلك ليثبت قدميه في طريق الله تعالى« رقاه من العمل إلى التخلق فاصطفاه وشغله بذكره ولا يزال يدع وذكره حتى يغلبه ذكره فإذا غلبه الذكر فنى عن ذكره اصطلمه فإذا اصطلمه صار كأن ما لم يكن وبقي من لم يزل »[49].

2-العلم والإرادة:

تقوم نظرية ابن المرأة في مبدأ المسؤولية والجزاء أن العلم تابع للمعلوم، العلم مظهر للمعلوم، لارتباطه به كالسبب على المغيب وقد أتى بمثال السرقة حيث أن حدَّ قطع اليد لا يقع إلا إذا« تقرر السبب فهو المظهر للفعل، وكذلك نقول في العلم هو المظهر للمعلوم فإذا أراد الله أن يظهر للعبد معلوما جعل عنده علما فتعلق بذلك المعلوم فعلمه»[50].

ترتب عن هذا الكلام أن العقل قاض ومسؤول عن أفعاله لارتباطه بالعلم والإرادة الإنسانية، وعلم الله تعالى تابع لما يعطيه الجوهر الأول، بما هو عليه من الاستعداد والجوهر الأول لا يرتبط بالمتوهم وهو الزمان والمكان الذي هو سمة عالم الشهود فإذا انتفي الزمان والمكان أصبح العالم بأسره مُدركاً للبارئ جل جلاله «فإذا صدر الفعل بالقصد كتب له أو عليه فمن تدبر هذا وعقله وأعطى كل ذي حق حقه وعلم معنى الربوبية ومعنى الرسالة والعبودية»[51].

ينطلق بن المرأة بتحديد المسؤولية الإنسانية بالتفريق بين نوعين من الأمر: الأمر التكليفي، وهو الذي يخاطب به الله عباده فيطيعونه أو يعصونه على حسب ما كان مقدرا في الأزل، والأمر الواجب الجبري وهو الأمر المنفذ للإرادة الإلهية المطلقة. كما تناول ابن المرأة من خلال مؤلفه قضايا عديدة من بينها السماع، وقد أكد المؤلّف مشروعيته عند أغلب الصوفية ولو أنهم يختلفون في تفاصيله، فمن شأنه أن يفتح لهم أمور عجيبة وغريبة من الأسرار والمواهب والمنح والعطايا منها شهود الجمال والإطلاع على الخفايا، والسماع في حق المريد خلال ابتدائه نافع معالج، لا سيما إذا لم يقارنه صحبة الأشرار، إلا أن قوة السماع تكون عند عدم المشاهدة فإذا حصلت، اضمحلت ولاية السمع[52].

كان من الضروري أن يؤدي مذهب ابن المرأة الصريح في وحدة الوجود إلى نتائج لها تأثير في ميدان التكليف الشرعي فنظريته بتجاوز العلم اللدني مظاهر الشريعة جعلته ينصح المبتدئين أو كما سماهم "المتوسطين المتلونين" بضرورة الصحبة والمحافظة على مظاهر الشريعة والتحلي بخلايق الورع إلى أن يرزقهم الله كمال مرتبة البالغين [53] فكما تُحمل النصوص على ظواهرها فإن فيها إشارات خفيّة ودقائق تنكشف لأرباب المجاهدات ولذلك قيل أن القرآن نَزَلَ وتَنَزّلَ، فالنزول قد مضى، والتنزّلُ باق إلى يوم القيامة، أي تنزل على قلوب أوليائه بما يلهمهم إياه في أوقات صفاء قلوبهم، ويفهمهم معناه إذا اختلوا بمحبوبهم.

جهوده في علم الكلام:

-قوله أن الله يسري في كل موجوداته ويسكن قلوب العارفين «فمعرفته محجّة العارفين بها أشرقوا على كل طريق يوصل إليه وبها ظهرت لهم الأشياء فعليك بملازمة من هو اقرب إليك من حبل الوريد»[54].

-فأما في مسألة إثبات وجود الله تعالى فينهج ابن المرأة مذهبًا يجمع بين مذهب أهل علم الكلام القائلين بأن معرفته تعالى استدلال وبيان للبراهين العقلية الدالة على ثبوت وجوده تعالى، وبين مذهب أهل التصوف القائلين بأن معرفته أمر ذوقي عرفاني فالاستدلال أصل إدراك وجوده لدى عامة الناس وينفرد العارفون بالإدراك الذوقي النابع عن زيادة المحبة[55].

-أما موقفه من صفاته تعالى فإنه يبدو سائرً على طريقة تكاد تطابق ما اتفق عليه أكثر الأشاعرة فالله سبحانه وتعالى الواحد الأحد الذي دل العباد على وحدانيته وتفرده في صفاته بما أقام في ما خلقه من دلائل ذلك.

-وهو واجب الوجود من صفاته البقاء، ومعنى كونه واجب الوجود أنه ألزم الموجودات معرفة وجوده بأن قهرها على تحقق الوجود لها بإيجاده إياه[56] .

-وهو سبحانه متصف بالأولية والقدم كان الله عز وجل ولم يكن شيء قبله ولا موجود سواه مع صفاته تعالى على ما يليق بجلاله، وهي بذلك مخالفة لصفات الحوادث المخلوقين[57].

-لا يحد سبحانه بالمكان والزمان فهو سبحانه خالق المكان والزمان لا يوصف بالأين لأن الأين مخلوق، والذي أين الأين خالق. وأين يبحث بها عن مكان، وكان الله جل جلاله ولا مكان، وهو الآن على ما لم يزل. وكذلك تبارك وتعالى لا يجري عليه متى، لأن متى باحثة عن زمان، والذي أوجد الزمان لا يفتقر إلى زمان[58].

وختاما أرجو أني قد وصلت إلى ما يخدم مرامي البحث، بتسليط الضوء على بعض الجوانب من التجربة العلمية والصوفية لابن المرأة الاندلسي، ودراسة شخصيته وما خلّفه من الآثار المميّزة، التي مازال الكثير منها مخطوطا، بحاجة لمن يقوم بدراسته وتحقيقه ونشره، فإني أرجو الله تعالى أن يوفقني الى متابعة ما بدأت بتحقيق كتاب شرح محاسن المجالس.

مراجع البحث وإحالاته:

---

1 - تكملة الصلة لابن الأبار، ج1، المطبعة الشرقية برعاية أبي شنب، الجزائر 1919، ص: 200، الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: ج1، تحقيق محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، القاهرة1973،

ص: 325-326، الديباج المذهب لابن فرحون، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1996، ص: 147، الوافي بالوفايات للصفدي، ج 6 تحقيق احمد ارناؤوط وتركي مصطفى، دار الاحياء للتراث العربي بيروت ط1، 2000، ص: 110، شجرة النور الزكية ج1، محمد بن محمد بن مخلوف المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة 1349هص: 173، معجم المصنفين للتونكي، ج4، مطبعة ورنكو غراف طبارة سوريا، 1344ه، ص: 491، مقدمة جورج كتورة لكتاب بد العرف، لابن سبعين، دار الأندلس، ط1، بيروت1981، ص: 19

2 - كان في زيارة لعمته القاطنة بمدينة تلمسان، البستان لابن مريم المطبعة الثعالبية، الجزائر1908، ص: 68

3 - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ص: 330

4 - سير النبلاء للذهبي، ج15، جار المعارف، بيروت، 1969، ص: 123، الأعلام للزريكلي، ج4، دار العلم للملايين، ط15، 2002بيروت لبنان، ص: 160

5 - تطور المذهب الأشعري ليوسف أحنانة، مطبعة اليديني، الرباط، 2003، ص: 87

6 - التشوف إلى رجال أهل التصوف لابن الزيات، تحقيق احمد توفيق، منشورات كلية الآداب مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1997م، ص: 123، انس الفقير لابن قنفد القسنطيني اعتنى به محمد الفاسي وادولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي مطبعو أكدال، د.ط، الرباط 1965، ص: 12، نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي، ج1 تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس 1989، ص: 309، سلوة الأنفاس لمحمد بت جعفر الكتاني ج3، الهيئة العامة لدار الكتب القومية 1989م، ص71شجرة النور الزكية: ج163/1، النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج1، ط2، ص90

7 - سير أعلام النبلاء72/20، تكملة الصلة: 21/3، نفح الطيب للمقري التلمساني، ج2، دار الفكر الإسلامي الحديث، 1998، ص: 155، شجرة النور الزكية132/1

8 - فهرس الفهارس عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، عناية إحسان عباس، ج1، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط2، 1982، ص: 802

9 - بغية الوعاة للسيوطي، ج1، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 2004، ص: 572، غابة النهاية لابن الجزري، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 2006، ص: 370، الأعلام للزريكلي 328/3

10 - البستان: 68،

1-revue africaine. journal de la société historique algérienne par les membres de la société sous la direction du président , jourdan, libraire-éditeur1859 alger p;213

11 - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 1431ه/2010م، : 86

12 - شجرة النور الزكية، ج1: 196

13 - الحلة السيراء لابن الآبار، ج2، تحقيق حسين مؤنس، دار المعرف، ط2، القاهرة، 1985، ص: 214-217، روضة التعريف بالحب الشريف لابن الخطيب، تحقيق عبد القادر محمد عطا، دار الفكر العربي، ص: 213 الأعلام 282/6

14 - سير أعلام النبلاء573/7، عنوان الدراية للغبريني، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1989، ص: 209، نفح الطيب 196/2، شجرة النور الزكية196/1، تاريخ الفكر الأندلسي لأنخل غانزالس فالنسيا ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص: 387

15 - المدرسة الشوذية في التصوف الأندلسي، أبو الفا الغنيمي التفتازاني، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مدريد، السنة 1985 – العدد: 23 (ص: 175-176)

16 - الصلة لابن بشكوال، دار الكتب المصرية، إخراج دار إحياء التراث القاهرة، ص: 466، تاريخ اسبانيا لابن الخطيب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروتلبنان، 1956، ص: 248-254، نفح الطيب305/6، تاريخ الفكر الأندلسي: 248

17 - المدخل الى صناعة المنطق ابن بطليموس: 09

18 - الصلة لابن بشكوال: 465، التشوف: 118، نفح الطيب 77/2، تاريخ الفكر الأندلسي: 369

19 - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ص: 330

20 - التكملة لكتاب الصلة ج1، ص: 140

21 - علم بارع مفسر صنف تفسيرا ضخما توفي 655هـ، التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار 636/2، الوافي بالوفايات: 354/3

22 - الذيل والتكملة ج6، ص: 336

23 - يقول ابو حيان عن جماعتهم ومازال بن سبعين مشردا في البلاد ينفى من بلد إلى بلد وأصحابه مذمومون مبغوضون.."العقد الثمين: ص: 229

24 - القول منبني عن ترجمة ابن العربي للسخاوي ج2، ص: 290، العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ص: 329

25 --نفح الطيب 3، /379-380نكث الهميان في نكت العميان الصفدي، مجلد: 1، صفحة: 188

26 - نفح الطيب 220/2-221

27 - مقدمة تحقيق كتاب" ترتيب المدارك "للقاضي عياض دار الكتب العلمية بيروت 1998، ص13

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لابن الخطيب، مطبعة التقدم، 1911، ص: 154

28 - الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لابن الخطيب، مطبعة التقدم، 1911، ص: 154

29 - العبر لابن خلدون، ج6 ، تحقيق عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، لبنان 2006، ص. 464-466

30 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، سنة: 2006، ص: 56-57.

31 - نشر المثاني للقادري، دار الطالب الرباط 1977 ج 1، ص. 374.

32 - سير أعلام النبلاء 184/18-213، الصلة لابن بشكوال: 366-367 نفح الطيب 290/2

33 - الدعوة الموحدية بالمغرب، لعبد الله علام دار المعرفة القاهرة 1964 ص: 304

34 - مقدمة تحقيق" أعز ما يطلب"، عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغنى للنشر المغرب، 1997 ص. 29

35 - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد الحجوي الثعالبي دار الكتب العلمية 1995 ج2 ، ص. 171.

36 - العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، محمد المنوني المطبعة المعدة الرباط 1950 ص. 51.

37 - قال ابن الخطيب في مجمل ترجمته لابن المرأة أن الناس ابتعدوا عنه لما لعلموا أصول مذهبه الاستسراري ومنهم القاضي أبو بكر بن المرابط.

38 - عنوان الدراية: 209، نفح الطيب 196/2، شجرة النور196/1

39 - عنوان الدراية: 160، أنس الفقير: 35، نفح الطيب 162/2

40 - عنوان الدراية: 210، نفح الطيب185/2، شجرة النور 196/1

41 - أنس الفقير: 80، تاريخ الفكر الأندلسي: 390

42 - هناك نسخة من المخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة

43 - فصوص الحكم1 لابن عربي تحقيق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت لبنان، 1980، ص: 145

44 - شرح محاسن المجالس لابن المرأة، مخطوط بمكتبة ميتشيغان بالولايات المتحدة الأمريكية، ق: 2

45 - نفسه ق: 4

46 - فصوص الحكم101/1

47 - شرح محاسن المجالس: ق3

48 - نفسه: ق: 3

49 - نفسه: ق: 5

50 - نفسه: ق: 9

51 - نفسه: ق: 8

52 - نفسه: ق19

53 - نفسه: 21

54 - نفسه: ق1

55 - نفسه: ق2

56 - نفسه: ق12

57 - نفسه: ق16

58 - نفسه: ق13

الدراسات باللغة الأجنبية

Introducing Audiovisual Aids in EFL Listening Setting; The Case Study of 3rd Year Secondary School Students (Foreign Languages Stream)

Sidi Ibrahim Secondary School. Sidi Bel Abbès. Algeria
Belhadj Fatiha
Department of English
Faculty of Letters, Languages and Arts
Djillali Liabés University of Sidi Bel Abbés

Abstract

EFL teachers are aware that teaching a foreign language as English is not an easy task because it requires from them providing an effective practice that satisfies their learners' needs. Thus, it is necessary to tackle the factors that ensure such effectiveness especially in practising oral skills as well as listening. In this context, thoughts are oriented towards the most useful teaching devices that can be used in order to primarily improve EFL learners' aural abilities and a considerable number of views have supported audio visual means as functional devices for listening practice. Hence, the present study is done in order to examine the usefulness of these technological tools in developing EFL learners' listening abilities.

Keywords: listening skill; listening abilities; audio visual aids; effective listening practice.

استعمال الوسائل السمعية البصرية في إعداد الاستماع للغة الإنجليزية كلغة أجنبية:
دراسة حالة طلاب المرحلة الثانوية الثالثة (شعبة اللغات الأجنبية)
ثانوية سيدي إبراهيم .سيدي بلعباس .الجزائر.

الملخص

يدرك مدرسي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية أن تدريس لغة أجنبية مثل الإنجليزية ليست مهمة سهلة لأنها تتطلب منهم تقديم ممارسة فعالة تلبي احتياجات طلابهم .وبالتالي، فمن الضروري معالجة العوامل التي تضمن مثل هذه الفعالية خاصة في ممارسة المهارات الشفهية بالإضافة إلى الاستماع .في هذا السياق، يتم توجيه الأفكار نحو الأجهزة التعليمية الأكثر فائدة والتي يمكن استخدامها من أجل تحسين القدرات السمعية لدى متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية بشكل أساسي، وقد دعم عدد كبير من الآراء الوسائل السمعية البصرية كأجهزة وظيفية لممارسة الاستماع.ومن ثم، تم إجراء الدراسة الحالية من أجل فحص مدى فائدة هذه الأدوات التكنولوجية في تطوير قدرات الاستماع للمتعلمين في اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية.

الكلمات المفتاحية : مهارة الاستماع، قدرات الاستماع، المعينات السمعية والبصرية، ممارسة الاستماع الفعال.

تاريخ إيداع البحث: 18 جويلية 2017.
تاريخ قبول البحث: 22 مارس 2017.

1. Introduction

Oral language is the basis of communication. Oral language development in schools means to provide students with skills and relevant opportunities for effective practice. Listening as an active skill in maintaining oral production needs such effectual practice especially in foreign language context. In fact, effective foreign language listening practice that serves learners' aural abilities' improvement can be studied from different perspectives. However, the present study examines effectiveness of EFL (English as a Foreign Language) listening practice associated with audio visual aids as teaching devices; whether this kind of technology has a positive impact on listeners' abilities or not ? Hence, this paper seeks to address the following questions:

-Does the use of audio visual devices in EFL listening setting enhance learners' aural abilities?

-In which way does the utilization of these technological devices improve EFL listeners' abilities?

In an attempt to answer the research questions the following hypotheses are suggested:

- Introduction of audio visual devices in EFL listening setting contributes in enhancing learners' aural abilities.
- Investing audio visual means in EFL listening setting improves EFL learners' performance and increases their appreciation towards aural practice.

2. Related Literature

2.1. Audio Visual Aids as Language Teaching Devices

By the twentieth century, there has been a revolution in the way language taught; especially in second and foreign learning contexts. This revolution has been made by the integration of technology which involving different types of audio-visual aids arranged simple and modern ones; including pictures , boards ,broadcasts, then computers, projectors, multimedia, internet and more digital technologies as well as mobiles (Wright, 1983). According to Zhao (2003) difficulties and problems faced by learners; mainly foreign language ones when it is tended to improve their target language skills as the oracy ones make the integration of technology a necessity i.e. it is necessary to invest the capacities of technology into solutions to language learning problems.(Zhao, 2003 cited in Parker, 2008:p 168). For instance, in listening settings teacher may use audio visual means (audio recordings and CD- ROMs) as tools to make his/her learners exposed to a wide range of target language input for the purpose of developing their listening abilities (Ibid).

2.2. Key-conditions for Audio visual Aids' Use

It is important stating that the utilization of technology in teaching language skills as well as listening should be systematic ; choice of technological aids devoted to listening practice and selection of language input involved within are submitted to some conditions relevant to learning setting issues: "*There is no*

general to indicate which medium at one time but the choice is affected by; age, interest, intelligence and experiences of the student, the physical or circumstances of the classroom or laboratory, and the convenience of material available." (Wright, 1983:p 01). According to Wright (1983) learners' age, interest, cognitive capacities, experiences and environmental circumstances, in addition to efficiency of the teaching aid itself are the main parameters that indicating which medium and which language input are likely to be invested.

Deeply, these key-conditions are of high significance in listening setting in which individual differences may intervene as obstacles for learners mainly at affective level and hinder their achievement ten learning process (Mwakame, 2006: p 48). In similar context, White (1998) mentions that physical circumstances of the classroom, learners profiles including interest, preferences, needs and background indentifying teaching devices appropriate to a particular setting including listening one (White, 1998: p 17). Later in his study, White (1998) arrives to the result teachers choose materials at different levels for different skills, according to the needs and levels of the learners (Ibid: p 282).

2.3. Audio-visual Recordings for FL Listening Practice

The notion of audio-visuals' utilization in FL listening setting has been examined by several studies (Pratt, Bates and Wickers, 1980, Ur, 1984, Troike, 2006) in which the results highlighting the significance of these aids in improving foreign language learners' aural abilities. Moreover, both types of recording (audio/audio-visual) are largely used to support foreign language teaching and also recommended with some levels (Troike, 2006). This popularity in use can be justified by some factors like availability of these aids everywhere, their low cost, easiness in use and their ability to a great quantity of language input of different sorts such as dialogues, narrative texts, thematic texts…etc.

Deeply, Troike (2006) favours the use of tape recordings for second language and foreign language listeners, either beginners or advanced in order to practise the academic listening. Troike (2006) shows that by the time these learners may acquire a large amount of target language knowledge. He also observes that beginning learners start creating a sense from auditory input easily if they know listening purpose, topic that they are going to listen and the key vocabularies of this topic (Ibid: p 160).

Unlike audio recordings, audio-visual ones provide much comprehensibility and help listeners making their interpretation easily since they present listening input not only aurally but also visually. The study of Pratt et al. (1980) makes a comparison between two groups of foreign language learners aiming to evaluate the adequacy of what they heard. The first group listens to an audio taped interview, however the second group of listeners is exposed to the same language material but with the support of visual clues in the form of pictures (Cited in Troike, 2006).The result shows that the second group of learners performs better than first one. Likewise, Ur (1984) arrives to similar findings and accordingly he

claims that tapes supported by visual items may provide some useful practice comparing to the audio tapes (Ur, 1984: p 23).

Though the studies stated above (Pratt et al., 1980, Ur, 1984) underline the importance of audio-visual aids rather than audio ones in foreign language teaching context, there are other investigations (Wilson, 1978, Richards, Rodgers, 1995) which lay emphasis on audio equipments as starting point in listening practice without introducing visual supports. Justification that can be given at this stage is that introduction of visual items at an early stage or intensively may limit learners' aural abilities and give them the habit of depending on such clues to understand the given listening exposure.

From another perspective, some language researchers (Rost, 1994, Tomslin, 1998, Troike, 2006) relate the effectiveness of both types of equipments to the notion of authenticity i.e. audio-visuals' use effectiveness in academic setting generally and listening setting particularly is widely associated with the idea of authenticity i.e. listening practice involved through activating of aural mode and visual support is also recommended because it makes listeners engaging in authentic setting (Troike, 2006).Moreover, real-life listening input provides receivers with authentic language exposure which attracts their attention, their interest and motivates them to participate in classroom discussion, this on the one hand.

On the other hand, authentic language input assists listeners acquiring the target language accurately and fluently and contributes in developing their communicative competence (Rost, 1994). Deeply, Rost (1994) highlights the significance of authenticity in oral practice and language acquisition and asserts that use of realistic and authentic social language is key-condition for effective aural practice devoted to non-native speakers (Rost, 1994: p 140). Tomslin (1998) agrees with this view and claims that utilization of this type of technology has an important role in improving foreign language learners linguistic and socio-linguistic competence since these equipments offer frequent exposure to authentic input characterized by richness and variation (Tomslin, 1998: 13).

2.4. Online FL Listening Practice

Currently, with the wider popularity and accessibility of Internet-based services, oral language that involving both listening and speaking skills becomes a key-condition for practising the target language in reciprocal communication settings. For instance, foreign language learners have an access to various web sites that provide them with communication opportunities which allowing for additional and motivating practice of the target skill. Accordingly, in their work "*Online Communication*" Lamy and Hampel (2007) state that oral communication practice is important in developing active listening whether the interlocutors (listeners and speakers) are learners, learners and teachers or learners and native speakers of the target language (Lamy, Hampel, 2007: p 06).

With reference to foreign language context, EFL learners may be the most beneficial ones because their target language (English) has become the language of wider communication and the lingua-franca for more than 508 million of people, such advantage enlarges the space of this kind of communication through foundation and establishment of a plenty of Web-sites that offering different types of practice particularly for listeners and speakers (Ibid).

3.4. Audio-visuals and FL Classroom Participation

It is important stating that providing a useful practice of language skills as well as listening is considered as an advantage which partakes in developing learners' aural abilities and increasing their classroom interaction. Among the significant aspects that contribute in creating a successful classroom interaction is participation mode that learners involved within when they perform a given listening task in an equipped setting. In other words, the decision about the appropriate group format (individual work, pair work or group work) is important in order to create effective practice opportunities in which learners' needs are satisfied and teacher's goals are achieved.

At this stage, different studies (Anderson, Lynch, 1988, Dobson, 1992, Lynch, 1996, Crandell, 1999, Young, 1999, Horwitz, Horwitz, Cope, 1996) have been dealt with notion group format and its effect on teaching and learning setting. The major results of these researches support working in grouping rather than individually and several reasons are mentioned including individual variations; such as cognitive and affective ones that are expected to interfere and hinder learners' practice (Horwitz et al., 1996).

The investigations cited above display that there is an agreement among language researchers which enlarges the validity of group work as a good mode of practice when teaching listening skill. Those who support this view of advantageous use are depended on some pedagogical perspectives. They see that group work use in listening setting makes learners working in cooperation and cohesiveness through discussions, and under teacher supervision and guidance. Accordingly, Dobson (1992) states that dividing a learning group into small groups ensures its dynamics but in which positive involvement is expected but under teacher's supervision (Dobson, 1992: p14). Similarly, Lynch (1996) asserts that group work maintains class cohesion in which learners tend to help one another. In his study, Lynch (1996) arrives to the result that students who learn English in a foreign language environment are likely to face difficulties in practising the four skills and thus they rely heavily on the support of their peers both emotionally and academically (Lynch, 1996: p 07).

Using group work in listening setting as major mode of participation does not neglect the importance of individual work. The two modes create opportunities with different proportions for practising and improving listening abilities. Practising aural-oral language is largely depended on the exchange of ideas, thoughts, opinions and comments and these aspects are likely to involve

with grouping settings. This exchange helps in improving critical thinking skills, such as monitoring and analyzing, developing linguistic competence through the learning of new vocabularies, new structures and grammatical rules, and producing meaningful utterances that aide to understand how the target language is constructed in a given socio-cultural context.

3.5. EFL Listening Practice Barriers

In language learning process, facing difficulties is an expected thing. EFL learners usually confront these difficulties as well as that in listening skill. These listening obstacles affect negatively perception and comprehension and may result in failure. They are pertained to lack of linguistic competence in terms of vocabulary grammar, lack of socio-linguistic competence, and inability of listening strategies activation. These obstacles will last to occur if a weak pedagogical basis takes place

3.5.1. Linguistic Barriers

Being linguistically of limited ability (grammar and vocabulary store) creates for FL listeners' difficulties in understanding the given listening exposure and decreases their proficiency. Cook (1973) shows that there are various misinterpretations of syntactic forms that often cause listening difficulties mainly to L2 and FL learners (Cook, 1973, Cited in Anderson, Lynch, 1988: p 37). In addition, lack of lexicon store is widely expressed in listeners' difficulties in which they may perform poorly if there are unfamiliar vocabularies whether this unfamiliarity is caused by lack of perception or comprehension. In this context, Anderson et al. (1988) declares that a good performance of a given listening task in EFL context needs from to activate knowledge of English grammar and vocabulary and best guessing speakers' intended meaning (Anderson, et al., 1988: 23). As a reaction, Anderson et al. (1988) advise language practitioners to take into consideration three main criteria when choosing the listening input, these decisive factors are the level of difficulty of vocabulary, the complexity of syntax, and the duration of the recordings (Ibid: p 83).

3.5.2. Strategic Barriers

Listening difficulties are not limited to lack of linguistic competence, but they may extend to the internalized part of listening skill repertoire i.e. listening strategies' knowledge and use. In other words, there are learners who do not use strategies to deal with listening obstacles they face either because they are unfamiliar with or because they do not activate these tactics in the right way while they are listening. Chamot, O Malley (1999) insist on the importance of listening strategies and show that their use in non-native learning context contributes in achieving accurate perception and better understanding. Simultaneously, Chamot, O'Malley (1999) advise language practitioners to provide listeners with training opportunities for better utilization of these tactics which covering: selective attention for key words, key phrases or word /phrase

boundaries (Chamot, O'Malley, 1999: p 48). Accordingly, these strategies are considered as important facilitator of the learners' efforts and solutions to solve their listening problems.

3. Methodology

3.1. Context and Significance of Study

Being a proficient language user involves the mastery of the four skills; listening, speaking, reading and writing. Listening is important skill regarding to its nature which involves acoustic features for aural-oral practice, and to its role that provides a continuous communication in which the other skills can be better practised through. In this research, the focus is on practising authentic listening through the use of audio-visual aids in ELT setting and positive effects of such utilization on listeners' abilities. The fact of dealing with this topic is strongly justified by the lack of investigations conducted in this research point. The study generally aims at making a kind of theoretical and practical contribution in TEFL research using a systematic language investigation and particularly at arriving to findings which are expected to provide insights into central issues to teaching and learning listening.

3.2. Aims of the Study

The study aims at:

- Restoring and re-establishing Algerian ELT setting by introducing audio-visual aids as teaching materials.
- Achieving a successful listening setting by fulfilling lacks found in Algerian EFL learners' aural then oral abilities.
- Decreasing EFL listeners' difficulties and obstacles and attracting their attention to effective listening practice.
- Arriving to results that leading to modifications at different levels such as: programs' progression, teaching method and techniques mainly those related to teaching EFL oracy skills.

3.3. Target Participants

The target participants who activated the research tools are EFL secondary school permanent teachers and EFL secondary school pupils (Sidi-Bel Abbes, Algeria). The first group consisted of fifteen teachers; nine male teachers and six female teachers, their ages balance between twenty eight (28) and fifty three (53) years old. However the second group consisted of 50 pupils; 21 of them are male and 29 are female, their ages balance between nineteen (19) and twenty one (21) year old. These respondents have been studied English for seven years; four years in middle school and three years in secondary school. This group was divided into two groups during the observational practice since the study involved a comparison between two different listening settings; an equipped setting (a language laboratory) and an unequipped one.

3.4. Instrumentation and Procedure

In order to gather efficient data and arrive to reliable study results, the researcher used a written questionnaire and classroom observation. By a using questionnaire, the researcher had the opportunity to collect a great number of data, and to administrate a large group of informants at the same time, however classroom observation was used because some seeking data cannot be got from the first time, but they need on-going process of observation from which the researcher observed a particular situation more than one time till getting sufficient data.

First, questionnaires that were devoted to teachers and learners included different questions. These questions were arranged in progress from general to specific, from easy to difficult and from personal to motivated ones. They were arranged between closed, open- ended and open ones in order to make the questionnaire easier and quicker to fill in and to restrict the large range of responses respectively. It is important stating that both questionnaires tackled particularly teachers' and learners' experiences in listening practice through the use of audio visual means for the purpose of detecting the effect of such practice on learners' aural abilities. Second, classroom observation took place in two dissimilar listening settings n which learners worked on the same listening language material and instructions differently and separately. While the first group did the intended listening practice in a well equipped language laboratory, the second group did the same thing but in an ordinary and simple setting in which the teacher was the source of listening exposure. As well as questionnaires, observational practice which involved in a comparative way aimed at identifying the impact of teaching listening skill with audio visual aids on learners' abilities.

4. Limitations

There are a number of limitations faced by the researcher when conducting his study, the major limitations are:

-Difficulty in finding language laboratory for conducting the practical part of the study.

-Shortage of significant experiences in teaching listening skill through audio visual aids among secondary school EFL teachers.

-Lack of primary references such as books since the topic has not been widely dealt with.

- The limited experience of the researcher.

4. Data Analysis

After the questionnaires were answered and the observational practice conducted, the data were analyzed as follows:

-Both teachers' and learners' answers were studied and examined in the form of percentages (statistical analysis)

-Classroom observations were classified in the form of grid; this classification was built around particular aspects that the researcher wanted to

observe during his comparative study. The intended aspects were words' perception, pronunciation (stress, intonation) and comprehension, in addition to classroom participation.

5. Results and Discussion

As it is previously mentioned, the purpose of this study is to examine the impact of introducing audio-visual means as teaching materials on EFL listeners' abilities; whether such introduction enhancing their listening abilities and decreasing their difficulties or not.

The statistical analysis involved by the examination of teachers' and learners' responses shows that both partners are not satisfied by the way listening skill taught in the Algerian ELT setting. It also displays an agreement among them about the importance of audio-visual aids as materials for teaching and practising EFL listening and benefits got from. Moreover, little attention given to listening in Algerian ELT setting, being uninterested or unfamiliar with technological means as pedagogical devices for teaching such receptive skill and limitation of authentic practice opportunities in classroom are the main reasons that decrease learners' motivation and influence their target language aural abilities negatively.

Deeply, the results of the study demonstrate that learners have gaps in their aural abilities which create for them difficulties in performing listening tasks given and their inability to cope with makes 1/3 of them show no appreciation towards listening practice. In other words, absence of effective practice generates and enhances learners' hindrances and as a result they show no appreciation towards aural practice. Despite this fact, learners do not ignore the crucial role of effective practice in facilitating their difficulties differently and they consider practising oracy skills through audio-visual means as an aspect of constructive practice which gives it a new taste that motivates and encourages them doing their best.

Similarly, teachers justify learners' negative attitude or reticence towards listening by two reasons; first absence of motivating factors as technological tools which Algerian ELT setting lacking especially in basic education levels; including middle school education and secondary school education. Second, lack of native-like environment in which authentic opportunities for practising the target language oracy skills are generally not provided, practitioners are aware that what is exposed as listening input and the way it is presented is not sufficient and not effective respectively. In other words, depending on ordinary and simple teaching materials as textbook and white boards when addressing learners in listening setting seems boring and demotivated ***"blind listening setting".***

Though there are several causes that contribute in producing EFL listeners' handicaps, lack of authentic practice opportunities remains the major one as the findings shown. According to instructors' responses, the main hindrances faced by listeners are related to pronunciation, language input perception and comprehension. Moreover, statistics denote that 54% percent of these learners

have difficulties in language perception, 48% percent of them have pronunciation difficulties and 60 % percent have comprehension difficulties when listening to native speakers. In spite of this fact, learners' responses display that they are aware about this situation and the majority of them show readiness to make efforts so as to fulfill gaps found in their aural abilities. It can be deduced that if these learners had practised listening at an early stage by being exposed to native speakers in authentic programmes and shows, these difficulties and anxieties would have reduced.

As a reaction, teachers state that they make efforts to change the situation but most of the time these efforts bring no results due to administrative and financial encounters. This reason drives them to encourage their learners practising this oracy skill outside classroom by listening to music, watching movies and joining web sites that offer opportunities for effective listening practice and in a motivating ways as games. It is clear that the fact of ineffectual EFL listening practice involved in Algerian ELT setting is well recognized by teachers and learners but ignored by decision-makers.

The observational practice which takes place in this study involves a comparison between an equipped listening setting (language laboratory) and unequipped one. Moreover, the comparison indicates that practising listening through audiovisual aids motivates learners and attracts their interest because they find pleasure in learning the target language through different techniques.

Working with audio visual materials (computers) facilitates listening practice because these equipments have playback properties that offer learners with many opportunities to practise different listening aspects such as pronunciation, stress and intonation.

Additionally, though the two groups involved in the comparative study are exposed to the same listening input and instructional materials, their performance of comprehension tasks as true/ false exercise and comprehension questions are dissimilar. Broadly, the first group that is involved in an ordinary listening setting finds difficulties in performing the given comprehension tasks and this situation obliges the teacher to read the passage more than one time and use some physical presentations and give clarifications and examples to make things clear. In such setting, these interventions are important in order to decrease listeners' anxieties, avoid their fatigue undesirable attitudes as boredom and loss which are likely related to unequipped listening setting.

Unlike the first group, the second one performs the comprehension tasks positively; learners do not take much time for answering the given questions and the majority of them arriving to the correct answers. Justification that can be given is that visual supports associated with the exposed input facilitates understanding and enables listeners to utilize some strategies as activating their prior knowledge and guessing meaning from the visual context.

At interactional level, the way the second group participates in classroom discussion is more enthusiastic than that of the first one; 65 % of learners take turns differently in performing the given tasks with comfort and easiness and most of them give the right answers. Besides, the teacher makes no great efforts when he addresses and interacts with his learners because circumstances in which the practice involved is considered as a motivating factor for them.

As well as the statistical analysis, the observational practice highlights the significance of investing different types of technological tools in academic settings especially in listening and speaking ones which are widely associated with anxieties that affect learners' abilities negatively and contribute in decreasing their learning achievement.

6. Suggestions and Recommendations

The present investigation attempts to present some suggestions that can improve EFL secondary school learners' aural abilities with the focus on maintaining effective practice through the introduction of audio visual aids in listening setting. ***"Learners become more aware not only of their own preferred ways of learning but also of the fact that there are choices …in how to learn."*** *(Nunan, 1991: p 181)*

Depending on the study results the researcher arrives to the following suggestions and recommendations:

1. Trying to insert audio visual aids as teaching materials at an early stage (middle school education) in EFL listening settings and even in speaking ones since the two skills are interrelate. This procedure will enhance learners' motivation and make them expose to a large quantity and high quality of listening input.
2. Providing secondary schools with language laboratories and introducing grouping system in teaching EEL oracy skills to large classes.
3. Increasing the number of listening sessions in the curriculum because the larger space of EFL practice is commonly devoted to literacy skills; reading and writing.
4. Introducing listening practice in the final official secondary school education exam (Baccalaureate exam) as a motivating factor for involving much effective practice.
5. Encouraging learners to use technology in practising listening outside classroom as a technique to increase authentic practice opportunities.
6. Offering training cycles and organizing conferences and seminars for EFL teachers so as to show them the importance of introducing technology in pedagogy and its positive effect on their teaching quality.

7. Conclusion

In the current study, the findings statistical analysis and observational practice support the significance of introducing audio visual aids in listening setting. Moreover, the findings reveal that investing audio visual aids in EFL listening gives it vitality which motivates learners and makes them active listeners instead of being less motivated or passive as it is expected to be in blind listening

setting. Under this motivating circumstance learning group becomes dynamic in which a remarkable interest takes place among its members and results in increasing classroom interaction. In addition, due to audio visual properties as playback ,visual supports and authentic input learners have the opportunity to practise different listening aspects as words' pronunciation , perception and comprehension which helping them in applying some strategies like activating their prior knowledge and guessing meaning from the visual context, thus performing the given tasks positively. In short, the strengths involved by the use of this sort of technological tools contribute in motivating listeners and creating effective practice opportunities that will gradually enhance their aural abilities and reduce their difficulties.

References

-Anderson, Anne, and Lynch, Tony. 1988: Listening. 1st edition. United Kingdom: Oxford University Press.

-Crandell, Joan. 1999: Cooperative Learning and Affective Factors. United Kingdom: Cambridge University Press.

-Dobson, Julia. 1992: Effective Techniques for English Conversation Groups. 3rdedition. USA: Information Agency.D.C.20.

- Horwitz, Elaine. K, Horwitz, Michael. B and Cope, Joan. 1996: Foreign Language Classroom Anxiety. USA: National Federation of Modern Languages Teachers Associations.

-Lamy, Marie, and Hampel, Regine. 2007: Online Communication in Language Learning and Teaching.1st edition. USA: Palgrave Macmillan .Ltd.

-Lynch, T, 1996: Communication in the Language Classroom, Oxford University Press, United Kingdom.

-Mwakame, Imani. M. 2006: Introduction to Educational Psychology. Tanzania: Institute of Continuing Education.

-Nunan, D. 1991: Learning-centred Communication. Books 1 & 2. Boston: Heinle and Heinle.

-O'Malley, Michael. J, and Chamot, Anna. 1999: Learning Strategies in Second Language Acquisition. United Kingdom: Cambridge University Press.

-Parker, Leann, and Widdowson, H.G. 1985: English in the World: Teaching and Learning the Language and Literature0Great Britain: Cambridge University Press.

-Richards, Jack, and Rodgers, Theodore. 1995: Approaches and Methods in Language Teaching: A Description and Analysis. GREAT Britain: Cambridge University Press.

-Rost, Michael. 1994: Introducing Listening .1st edition. London: Penguin Books Ltd.

-Tomslin, Brian. 1988: Materials Development in Language Teaching. 1stedition. United Kingdom: Cambridge University Press.

-Troike, Muriel. 2006: Introducing Second Language Acquisition. 06thedition. United Kingdom: Cambridge University Press.

-Ur, Penny. 1984: Teaching Listening Comprehension.1st edition. United Kingdom: Cambridge University Press.

-White, Goodith.1988: Listening.1st edition. United Kingdom: Oxford University Press.

-Wright, Andrew. 1983: Visual Materials for Language Teacher. 5thedition. England: Longman Group Ltd.

-Young, D, J. 1999: Affect in Foreign and Second Language Learning. USA: McGraw-Hill College series.

Sommaire

Introducing Audiovisual Aids in EFL Listening Setting; The Case Study of 3rd Year Secondary School Students (Foreign Languages Stream) Sidi Ibrahim Secondary School. Sidi Bel Abbès. Algeria **Belhadj Fatiha**	**135**

PRÉSIDENT D'HONNEUR

Pr. Belfdhal Cheikh
Recteur
Université Ibn Khaldoun/ Tiaret

DIRECTEUR
LABORATOIRE DU DISCOURS ARGUMENTATIF

Pr. DAOUED Mhamed

DIRECTEUR RESPONSABLE

Pr. ZERROUKI Abdelkader

RÉDACTEUR EN CHEF

Dr. BOUACHA Abderrahmane

COMITÉS DE RÉDACTION

LANGUE FRANÇAISE

Dr. BELARBI Belgacem
Dr. MALKI Benaid
KAFI Khaled
OUADAH Bouabdellah
Dr. MOSTEFAOUI Ahmed
Dr. AIT Amar Meziane Ouardia
FETHI Brahim
MOKHTARI Fatima Zohra

LANGUE ANGLAISE

Pr. Bahous Abbes
Dr. BENABED Ammar
HEMAIDIA Ghellamalah
Pr. Abdelhay Bakhta
BELARBI Khaled
SI MERABET Larbi

COMITE CONSULTATIF

Pr. KASCHEMA Laurent, Université de Strasbourg
Pr. Ghellal Abdelkader
Dr. HASSANI F.Z, Université d'Oran

Revue Périodique Publiée Par Le Laboratoire
D'études Sur Le Discours Argumentatif:
Ses Origines, Ses Références Et Ses Perspectives En Algérie

Faslo el-khitab

Traite Des Etudes Et Des Recherches Scientifiques, Critiques,
Linguistiques, Littéraires Et Rhétoriques En langues,
Arabe Et étrangères

ISSN 2335-1071

E-ISSN 2602-5922

N° De Dépôt Légale: 2012 - 1759

Volume n° 06
Revue n° 24

Décembre 2018

Université Ibn Khaldoun Tiaret
Algérie

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
Zerroukikader@gmail.com أو عبر:

ISSN :1071-2335 : ردمد

decembre 2018
Volume 06
Revue N 24

Laboratoire du discours argumentatif
Ses origines, ses références, ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Revue périodique à vocation scientifique ,traitant
des domaines de la critique littéraire, la Linguistique et la rhétorique
en langues arabe et étrangère

فصل الخطاب العدد 24 ديسمبر 2018
Revue N 24 decembre
Faslo El-Khitab

ردمد : ISSN :1071-2335
ديسمبر 2018
المجلد السادس
العدد 24

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون – تيارت

فصل الخطاب

ملف العدد:

- حِجَاجيّة المنجز الكلامي في لامية الأمير عبد القادر الجزائري.
- الحِجَاج في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر في ضوء المنهج التداولي.
- الخطاب الحجاجي ودلالته في الفكر النقدي العربي المعاصر.
- القرائن اللغوية والعقلية في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم، دراسة نقدية.
- الأفعال اللغوية في اللغة القانونية، مرافعة جنائية أنموذجا .

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية
النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

فصل الخطاب العدد 24 ديسمبر 2018
Revue N 24 decembre 2018
Faslo El-Khitab

ردمد : ISSN :1071-2335
decembre 2018
Volume 06
Revue N 24

Laboratoire du discours argumentatif
Ses origines, ses références, ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Revue périodique à vocation scientifique ,traitant
des domaines de la critique littéraire, la Linguistique et la rhétorique
en langues arabe et étrangère